نقد أدبي

شرح المنتقى

من ديوان عنترة

أحمد النجار

دار حروف منثورة للنشر الإليكترونى

مؤسس الدار

مروان محمد

نوع العمل: كتابات نقدية

اسم العمل: شرح المنتقى من ديوان عنترة

اسم المؤلف: أحمد النجار

الناشر: حروف منثورة للنشر الإليكترونى

الطبعة: الأولى

تصميم الغلاف : فريق الدار

تنسيق داخلي: فريق الدار

تدقيق لغوى: بمعرفة الكاتب

Website: https://horofpdf.wixsite.com/ebook

Fan page: http://facebook.com/herufmansoura

Email: herufmansoura٢٠١١@gmail.com

دار حروف منثورة هي دار نشر إلكترونية لخدمات النشر الالكتروني المجاني ولا تتحمل أي مسئولية اتجاه المحتوى الذي يتحمل مسئوليته الكاتب وحده فقط وله حق استغلاله كيفما يشاء

شرح المنتقى

من ديوان عنترة

تأليف:

أحمد النجار

إهداء عام

إلى كل محب للأدب ومحب للشعر ومتذوق له

وكـل طالـب للعلـم فـي مجـال اللغـة العربيـة

وكل عاشق للغة الضـاد بمـا فيـهـا مـن فنـون

الـــجـــمـــال

إهداء خاص

إلى (والديَّ) من قاما بتربيتي واعنتوا بتقديم الدعم لـي وحرصا دوما على الخير لي وإلى (حماي) ووالدي العزيز من أفنى عمره معلماً للغة الضاد

إلى شيخي وأبي الروحي ومن لست أملك رد أي جزء من أفضاله عليّ سيدي وشيخي (مصطفى زغلول القادري) وشقيقه ورفيق دربه سيدي وشيخي السيد (جمال أنور القادري)

إلى من اعتبرني ولده واعتبرته والدي واعتنى بي في أوائل سِنِيِّ دراستي ومن علمني ولم يأل جهدا في تقديم النصح والدعم لي أبي وشيخي

(الدكتور الأمير محفوظ أبو عيشة)

إلى صديقي وخليلي من عرفته وعهدته صادقاً طيب القلب مخلصاً لا غل عنده ولا حسد

(عبدالرحمن سيد رشاد)

الفهرس

إهداء عام ٣
إهداء خاص ٤
مُقَدِّمَة ٨
تمهيد ١١
قافية الهمزة ١٤
مَا زِلتُ مُرتَقِياً ١٥
قافية الباء ٢٠
تُرى هذه الريح ٢١
لِغَيرِ العُلاَ ٢٧
سَلَا القَلْبُ ٣٣
حسناتي عند الزمان ٣٨
أُعاتِبُ دهراً ٤٦
قافية التاء ٥٠
إذا قنع الفتى بذميم عيش ٥١
قافية الحاء ٥٦
دهراً لا يلين لناصحِ ٥٧
الظباءُ السوانح ٦١
قافية الدال ٦٩
إذا جحد الجميل ٧٠
صحا فؤادي ٧٦
أُعادي صرف دهر ٨١

لأي حبيب ٨٧
إذا فاض دمعي..... ٩٥
فخر الرجال ١٠٣
قافية الراء ١٠٧
فيافي الفَلَا..... ١٠٨
إذا لَعِبَ الغرامُ..... ١١٣
إذا كان أمر الله..... ١١٦
قولُ المُفتري ١٢٠
قافية السين..... ١٢٥
شَرِبتُ القَنَا ١٢٦
قافية العين..... ١٢٩
جفون العذارى ١٣٠
قف بالمنازل ١٣٦
إذا كشَفَ الزمانُ..... ١٤٠
قافية الفاء ١٤٤
أَمِن سُمَيَّة؟..... ١٤٥
يا عبلُ قَرِّي ١٤٨
قافية القاف..... ١٥١
لقد وجدنا زَبيداً..... ١٥٢
تُرَى عَلِمَت عُبَيلَة؟..... ١٥٥
صحا من سُكرهِ قلبي..... ١٦٠
قافية الكاف ١٦٤
يا عبلُ إن كان ١٦٥

ريحُ الحجاز ١٦٧
قافية اللام ١٧١
طال الثَّواءُ ١٧٢
دموعٌ في الخدود ١٧٨
حَكِّم سيوفَكَ ١٨٠
قافية الميم ١٨٦
هل غادر الشعراء (المُعَلَّقَة) ١٨٧
أتاني طيف عبلة ٢١٢
قِفا يا خليليَّ ٢١٧
سأُضمرُ وجدي ٢٢٠
قافية النون ٢٢٤
سَلِي يا عبلة الجبلين ٢٢٥
البرق اليماني ٢٢٩
يا أيها الملك ٢٣٣
كل يوم مع زماني ٢٣٨
قافية الهاء ٢٤٤
صِح إلى بيداها ٢٤٥
كتيبةٌ شهباء ٢٥١
قافية الياء ٢٥٧
الطلول البواليا ٢٥٨
لقينا يوم صهباء ٢٦٣
خاتمة ٢٦٨
المصادر والمراجع ٢٦٩

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد النبيين وخاتم المرسلين، سيدنا ومولانا مُحَمَّدْ، (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين) وبعد :

كان الناس حتى عهد قريب، يعنون بالأدب عناية شديدة، كانت متمثلة في نظم الأشعار، وكتابة المسرحيات والقصص القصيرة والروايات، وإقامة الصالونات الثقافية التي كان يحضرها كبار الكتاب والشعراء والمثقفين، لإبراز مواهبهم وما تجود به قرائحهم، وللنقض والمناقشة لمختلف الأعمال الأدبية .

فكان أغلب العوام من الناس في ذلك الزمن يضاهون المثقفين في هذه الأيام، وكانوا يتمتعون بذوق أدبي عالي وملكة نقدية جيدة نوعا ما، نظراً لكثرة ما عاصروه من رواج أدبي وفكري في ذلك العصر، أما الآن فلم تعد العناية بالنشاطات الأدبية مثل سابق عهدها، فأحببت أن أقوم بمحاولة لإعادة الربط والصلة، بين الأدب والناس، وكانت اللبنة الأولى في هذه المحاولة، هذا

الشرح لديوان الشاعر الكبير عنترة بن شداد العبسي، وقد بحثت كثيراً عن شروح سابقة لديوان عنترة، لأنه من البديهي أن يكون لديوان عبقري مثله شراح كثيرون، فوجدت أن أئمة كبار قاموا بشرح هذا الديوان قبلي، إلا أنني لم أعثر على الكثير من هذه الشروح.

وكل ما وجدته هو شرح للإمام اللُّغَوِي الكبير الخطيب التبريزي، إلا أنه كان شرحاً معجميا، يوضح معنى اللفظ والمعنى الظاهري للقصيدة دون التعمق أو التعرض، لأي لون من ألوان الدراسة النقدية واستنباط ما في بطن الشاعر، والكشف عن مواضع البلاغة والجمال، التي احتوتها هذه القصائد وهذه الأبيات، وذلك في رأيي لا يعيبه، لأن الناس في ذلك الزمان كانوا قريبي عهد بالفصاحة والبلاغة، فلم تكن الشروح اللغوية بحاجة للتعمق أكثر من ذلك، وإلا عُدَّت إهانة لأهل ذلك الزمان.

أما الشرح الآخر، فكان شرحاً قامت به مكتبة القاهرة التجارية الكبرى، وكان على غرار شرح مولانا الخطيب وربما زاد عليه قليلا، ومما لا شك فيه أنه قامت دراسات منفصلة، لبعض أشعار عنترة وربما لمعلقته, اشمتلت على إبراز المعاني البيانية

الرفيعة وهي متواجدة في مكتبات وأرشيفات الكليات والمعاهد المتخصصة في هذا المجال، وقد قمت بكتابة هذا الشرح بما وفقني الله إليه من فهم، وحرصت على أن يكون شرحا سهل الألفاظ سريع الوصول للأفهام، وانتقيت أفضل النماذج في ديوان عنترة لذلك الشرح، راجيا الله ـ سبحانه ـ أن يكون شرحا نافعاً مفيداً لمن يُطالعُ فيه، وقمت بتسميته (شرح المنتقى من ديوان عنترة) .

تمهيد

عنترة بن شداد

بطل الأبطال وعظيم الشعراء، ذلك الفارس الذي جابت أشعاره وأمجاده الآفاق والأقطار، هو صاحب تلك الأسطورة التي قامت عليها الكثير من الأعمال الأدبية والشعبية والدرامية، ومنها قصص عنترة التي كانت تتلى عندنا هنا في الديار المصرية، كـ سير ملحمية مثل سيرة أبو زيد الهلالي .

هو عنترة بن شداد بن معاوية بن ذهل بن قراد العبسي، والده شداد بن معاوية بن ذهل من سادة بني عبس وأحد فرسانها المبرزين، في إحدى غارات بني عبس قام بأسر جارية تسمى زبيبة، ويُذكَرُ أنها كانت أميرةً حبشية وكان في عادات العرب أن الجارية التي تلد لسيدها، تكون حرة هي وولدها، فولدت له عنترة ولكن ساء شداد أن كان عنترة أسود اللون مثل أمه فأنف منه، فعاش عنترة عيشة العبيد يرعى الغنم ويحلب الإبل ويحمل المتاع، ولكنه اكتفى من هذه الحياة لأنه يعلم أنه سيد وابن سيد،

فاعتزل قومه وصار يقضي جل وقته في المرعى، حتى أنه كان يبيت وحده هناك.

وفي إحدى الأيام أغارت سرية من قبيلة طيئ على بني عبس، وكادوا أن يقضوا عليهم فهرع شداد إلى عنترة وطلب منه أن يقاتل، حيث كان عنترة معروفا بقوته وشدته وبأسه في القتال والطعان، فقال عنترة مستهزئا: العبد لا يجيد الكر والفر ولكن يجيد الحلب والصر، فقال له شداد كُرَّ وأنت حر ففرح عنترة بهذه البشرى وهرع لإغاثة قبيلته، وأسقط كثيرا من فرسان طيئ فتشجع فرسان بني عبس عند رؤيتهم له، وقاموا معه فهزموا فرسان طيئ فولوا مدبرين، وعاد فرسان بني عبس ظافرين ونال عنترة حريته، ونسبه والده شداد لنفسه فصار يدعى عنترة بن شداد .

شارك عنترة مع قبيلته في حروب كثيرة منها داحس والغبراء، وكان يعشق ابنة عمه عبلة بنت مالك بن معاوية، فنكاد لا نجد قصيدة تخلوا من ذكر عبلة، ولكن عمه كان يأنف منه ويرفض تزويجها له، ولم تذكر المصادر التاريخية أن عنترة تزوج بعبلة، ورُوِىَ عنه أنه تزوج بتسع نساء وأنجب منهن جميعا،

وعاش عنترة عمراً طويلاً مليئاً بالبطولات والمفاخر، إلى أن كانت منيته في إحدى غاراته حيث أُصيب بسهم مسموم مات على إثره، قبل البعثة وقبل ظهور الإسلام بسبعة أعوام، وخلف وراءه الكثير من الأشعار والبطولات والأمجاد، التي لا يزال العرب يحتفون بها إلى يوم الناس هذا، وقبل أن نشرع في شرح ديوانه, أحببت أن أذكر هذه النبذة البسيطة الموجزة من حياته .

قافية الهمزة

* ما زلت مرتقياً

مَا زِلتُ مُرتَقِياً

مَا زِلـتُ مُرتَقِيَـاً إِلَـى العَلْيَـاءِ * حَتَّى بَلَغتُ إِلَى ذُرَى الجَـوْزَاءِ

فَهُنَاكَ لَا أَلوِي عَلَى مَنْ لَامَنِـي * خَـوفَ المَمَـاتِ وَفُرقَةُ الأَحْيَاءِ

يتحدث عنترة عن نفسه ويوضح كم هي همته عالية، وكم هي صلابته وشدته في مواجهة الصعاب، فبالرغم من كل ما يواجهه من استهزاء الآخرين به ومعايرتهم له بلون جلده، وتسفيههم لطموحاته وأحلامه لا يزال ساعياً وراء تحقيق مأموله وغاياته، فيقول أنه لا يزال سائراً في طريق العزة وعلو الشأن، حتى يبلغ غايته مشبها سيره وعلو مكانته بوصوله للجوزاء، والجوزاء هو اسم لفلك من الأفلاك أو هو برج من الأبراج الفلكية، ولاعجب من معرفة عنترة لذلك، فعلم الفلك من العلوم التي مارسها العرب وتفوقوا فيها.

ولا يخفى على المتأمل كم في تشبيه عنترة من العبقرية، حيث شبه رغبته في الوصول إلى رفعة القدر وعلو الشأن، بأعلى مكانة يمكن ان يتصورها المرء وهي بين النجوم، وكم فيه من

الإشارات التي تعبر عن مكنون نفسه، ورغبته الشديدة والملحة في الترقي إلى معالي الأمور، ولا عجب فهذا هو المردود الطبيعي, لمن نشأ وتربى بين العبودية والسخرة، وهو يعلم أنه سيد وابن سيد، ثم يستطرد واصفاً حاله عند وصوله إلى هذه الدرجة العالية وهذه المكانة الرفيعة، بأنه صار لا يعبأ ولا يهتم بل لا يلتفت إلى لوم لائمٍ، أو سخرية ساخرٍ أو سفاهة سفيه، وفي وصفه لون من ألوان الأسف عليهم، فهو يعلل لسخريتهم وسفاهتهم بأن البعض يفعل ذلك بدافع من الغيرة والغضب الشديد من عنترة، وأنه رحمة بهم لا يرد عليهم، خوفاً من أن ينهي أعمارهم ويقضي عليهم ولا أيسر عليه من ذلك.

فَلَأُغْضِبَنَّ عَوَاذِلِي وَحَوَاسِدِي * وَلَأَصْبِرَنَّ عَلَى قِلَىً وَجَوَاءِ

ولأجهدن على اللقاء لكي أرى * ما أرتجيه أو يحين قضائي

ثم ها هو بعد أن التمس العذر للائميه ينقلب عليهم ويؤكد ما ينوي عليه، فيقول (لأُغْضِبَنَّ عَوَاذِلِي) و(العَذْل) هو اللوم، والمعنى أن عنترة يقسم ويؤكد أنه سيزيد من غضب لائميه وحاسديه بالمزيد من الترقي وعلو الشأن، وليحترقوا بنار حسدهم، ثم ها هو يوضح كم أن هذا الطريق الذي يسلكه فيه

الكثير من العنت والشطط، وأن هذا الطريق يستلزم التجلد والتصبر على ما يلاقى فيه، وبعد أن قام بتوضيح صعوبة السير في هذا الطريق يلزم نفسه التجلد والتصبر، فيقول أنه سيصبر على الـ (القِلَى)، وهو البغض والحقد ولن يعبأ بمن يبغضه ويحقد عليه ويتمنى له السوء والشر، و يشبه حاله وما يترتب على كثرة المبغضين له من الوحدة والإنفراد بالـ (الجَوَاء) وهو الواسع من الأودية، وهذا كان دوما حال من يسعى للمجد وله طموحات تصل للنجوم .

ثم يعبر عنترة مرة أخرى عن مدى صلابته وارتفاع همته، ورغبته الصادقة في الوصول إلى ما يرجوا ويبتغي، ويؤكد ذلك فترى في قوله (لأَجهَدَنَّ) مدى عزمه وإصراره وسعيه الدؤوب على ما يريد الوصول إليه، ويبين أن سعي المرء وراء أحلامه وآماله غاية تستحق الجهد والعناء في سبيل تحقيقها والوصول إليها، وإن لم يقدر على ذلك فيكفيه شرف المحاولة وذلك ظاهر جلي في قوله (أَو يَحِينُ قَضَائِي) .

وَلأَحمِيَنَّ النَّفسَ عَن شَهَوَاتِهَا * حَتَّى أُرَى ذَا ذِمَّةٍ وَوَفَاءِ

مَن كَانَ يَجْحَدُنِي فَقَد بَرِحَ الخَفَا * مَا كُنْتُ أَكتُمُهُ عَنِ الرُّقَبَاءِ

مَـا سَـائَنِـي لَونِـي وإِسـمُ زَبِيبَـةٍ * إَن قَصَّرَت عَن هِمَّتِي أَعدَائِـي

يظهَرُ لنا في هذه الأبيات جانب طيب وخلق كبير من أخلاق العرب، وهو مجاهدة شهوات النفس وكبح جماحها وقد أقره الإسلام وحث عليه، ويظهر لنا لون آخر من ألوان الأخذ بالفضائل وكريم الأخلاق التي عهد عنترة أن يأخذ بها نفسه، ويؤكد أنه رجل صاحب ذمة مأمون الجانب، والوفاء فيه طبع متأصل وهذه هي سمات من يليق بهم وصف الرجال، ثم يعود عنترة ويصف حاله مع مبغضيه وحاسديه، ويقول أنهم قد أوضحوا منهجهم في أذيته عن طريق معايرته بلونه واسم والدته، وذلك معنى قوله (فَقَد بَرِحَ الخَفَا) وهو يقول أن ذلك أمر واضح جلي مسلم، به فلا حيلة له في لون جلده واسم والدته وأنه لم يكن لينكر ذلك، وذلك معنى قوله (مَا كُنتُ أَكتُمُهُ) .

ثم يوضح لهم أنه قد خاب ظنهم وبطل زعمهم، بأنهم قد يؤذونه بأمور لا حيلة له فيها ولا اختيار، ويبين أنه إن كان بهذا اللون ووالدته بهذا الإسم، فهو رجل كريم الأخلاق ذو همة عالية فارس وشجاع، شديد البأس في الحروب والطعان ويهزم أعدائه

ويجندلهم، وإن لم يكن كذلك فقد استحق أن يعاب بلون جلده ونسب أمه .

فَلإِنْ بَقِيتُ لأَصْنَعَنَّ عَجَائِبَاً * وَلأُبْكِمَنَّ بَلاَغَةَ الفُصَحَاءِ

وفي ختام حديثه يقول عنترة: أنه إن أمهله الزمان وأسعفته الأيام، ليكونن له من الأفعال التي يكون فيها من المجد وارتفاع الشأن وصعوبة النيل ما يثير الحيرة والتعجب، ويكون له من الأشعار والأقوال ما يتغنى به العرب ويحكونه في أمثالهم، ولا يستطيعه الكثير من أرباب الفصاحة والبيان وقد كان له ذلك، والجدير بالذكر أن عنترة قال هذه الأبيات بما تحتويه من بلاغة وحسن بيان وبراعة في التصوير وقد جادت بها قريحته في أيام صباه فلله دره ذلك الرجل .

قافية الباء

* تُرَى هذه الريح

* لغير العُلا

* سلا القلب

* حسناتي عند الزمان

تُرى هذه الريح

تُرَى هَذِهِ الرِيحُ أَرضُ الشَربَه * أَم المِسكُ هَبَّ مَعَ الرِيحِ هَبَهْ

وَمِن دَارِ عَبلَةَ نَارٌ بَدَت * أَمِ البَرقُ سَلّ مِنَ الغَيمِ عَضبَهْ

في هذه القصيدة يتكلم عنترة عن حالة الشوق التي تعتريه لمن يهواها قلبه، ويحن إلى أن يمتع ناظريه برؤيتها بعد غياب ليس بالكثير لكنه على المحبين مديدٌ طويل، ويستخدم عنترة في هذه الأبيات أسلوبا يستخدمه أكثر الشعراء في ذلك العصر، وفي العصور التي نسجت القصائد على نفس المنوال، يسمى الـ (التجريد) وهو: أن يجرد الشاعر من نفسه شخصاً أو أكثر ويخاطبه، فعنترة يصور لنا حاله وهو راكب جواده أثناء عودته من غيبته والريح تداعب وجهه، فيحن للمكان الذي كان يرى فيه محبوبته عبلة وهو (أَرْضُ الشَرْبَهْ) المذكور في البيت الأول، فيخاطب نفسه ويقول: هل هذه الريح التي تداعب وجهي ريح أرض الشربة؟ ثم يعبر عن مكانة هذا المكان في قلبه، ويصف هذه الريح بأنها طيبة على نفسه وروحه، مشبها إياها بأفضل الروائح والعطور ألا وهو المسك .

وقد بلغ الشوق من عنترة مبلغاً جعله كأنه يرى دار عبلة أمامه، ويتخيل النار التي توقد أمام المنازل عادة، ويصف لنا مدى أطيبية هذه النار عنده وكم هي شديدة الوقع والإحساس في نفسه، مشبها ذلك بوقع البرق ومستعيرا لوقع البرق صورة تخييلية لبرق سحب من الغيم سيفه، جاعلاً الغيم كالغمد لذلك السيف ويهوي به، واصفاً ذلك السيف بقوة القطع وذلك معنى قوله (عَضْبَهْ)، في تصوير بديع النسج والتركيب .

أَعَبْلَةُ قَد زَادَ شَوقِي وَمَا * أَرَى الدَّهْرَ يُدنِي إِلَى الأَحِبَّهْ

وَكَم جَهدَ نَائِبَةٍ قَدْ لَقِيتُ * لأَجلِكِ يَا بِنتَ عَمِّي وَنَكْبَهْ

بعد الشعور بالحنين يتخلص عنترة إلى المرحلة التي تمثل التطور الطبيعي لذلك الشعور، وهي مخاطبة من يحن إليها ويهواها قلبه فتراه يشكوا لمحبوبته عبلة، شدة ما ألمّ به من ألم الوحشة والشوق إلى لقياها والتمتع بالنظر إليها، ويصف لنا أنه سأم من ذلك البعد وذلك الفراق وذلك الشوق فمتى يتنهي كل ذلك، ومتى يكون اجتماع الأحبة؟ إلا أن الدهر يحول دون ذلك، فترى عنترة يشكوا ذلك الدهر وينقم منه تفريقه وإبعاده عن محبوبته، في نبرة يغلب عليها السأم والتعب ونظرة تقر بما

يفرضه عليه ذلك الواقع، فيا له من تعب ألمّ به ويا له من بؤس أحاط به يتحفه به ذلك الدهر، ولم يكتف ذلك الدهر بإتحاف عنترة بذلك الألم وذلك العناء ولكنه يزيده عنتاً فوق عنت، فها هي المصائب تتوالي عليه وتُفرَضُ عليه تحديات وصراعات شديدة الوقع شديدة الصعوبة، وذلك واضح في قوله (جَهْدَ نَائِبَةٍ) وقوله (وَنَكْبَهْ) ولكنه يصبر على ذلك، فيتحدى هذه الصعاب ويتجاوز تلك المصائب والصراعات، كُرْمَى لمحبوبته وابنة عمه عبلة .

فَلــو أَنَّ عَيْنَــكِ يَومَ الـلِّـقَـاءِ * تَرَى مَوْقِفِي زِدْتِ لِي فِي المَحَبَّهْ

وَأَفرَحُ بِالسَّيـفِ تَحتَ الغُبَـارِ * إِذَا مَـا ضَرَبْـتُ بِـهِ أَلـفَ ضَربَــهْ

نرى عنترة في هذه الأبيات يلفت نظر محبوبته إلى بطولته وفروسيته وقوته، التي لو أدركت مداها لازدادت له حبا وعشقا حيث أنها تصير آمنة على نفسها من أي غائلة، ما دامت في كنفه وتحت رعايته، ونرى فيها أن عنترة بعد ما قام بإظهار مدى تعنت الدهر معه يقول لمحبوبته أنه لا يعبأ بذلك، وإلا فكيف يكون بطلا صنديدا في المعارك والحروب ولا يصمد أمام تفريق الدهر بينه وبين محبوبته، ثم يدلل عنترة على مصداقية

ما يقول عن طريق الإفصاح بما يشعر به أثناء مشاركته في المعارك والحروب، فالطبيعي لمن يكون في حرب لا يعلم أيخرج منها ظافراً أم يلقى فيها مصرعه أن يكون قلقا مضطربا أو مشغول الذهن، بالتخطيط والتدبير والتأهب لخوض هذه المعركة أو الحرب إلا أن عنترة ليس كذلك، فهو عندما يقوم بارتداء درعه وتقلد سيفه ورمحه واعتلاء فرسه واقتحام ميدان المعركة والقيام بجندلة الفرسان والأبطال، يتملكه شعور قوي بالفرح والرضا عند القيام بذلك، وكيف أن سيفه غطاه الغبار المثار من خيول الفرسان وهو يطيح بمن يلقاه أمامه، مصورا ذلك في مشهد بديع مهيب يملأ النفس قوة ويشعلها حماسا .

وَتَشهَدُ لِي الخَيلُ يَومَ الطِّعَانِ * بِأَنِّـي أُفَـرِّقُهَـا أَلـفَ سِربَـهْ

وَإِن كَانَ جِلدِي يُـرَى أَسـوَدَاً * فَلِي فِي المَكَارِمِ عِزٌ وَرُتبَهْ

لم يكتفِ عنترة بالإفصاح عن حقيقة مشاعره في المعارك والنزالات، كدليل على قوة بأسه وقدر فروسيته، فنراه كأنه يقول لحبيبته إن لم يكن إخباري لكِ عن بلائي وقوتي كافيا فهناك الخيول التي روَّعتُها وفرقت جمعَهَا، فاسأليها إن كانت تنطق ولتخبركِ هي عن قوتي وبلائي، فبالرغم من كثرة الخيول

الدالة على كثر الأعداء إلا أنهم أمام قوة عنترة وثباته في المعركة يتملكهم الخوف والرعب، فنرى هذه الأعداد المهولة التي حُشِدَت لحربه يتفتت شملها ويتفرق جمعها خوفا من الوقوف أمام عنترة، وذلك معنى قوله (أفرقها ألف سربه) والسرب: هو اسم لمجموعة من الحيوانات وتطلق على الطيور أو الحيوانات المجتمعة، والتي يتراوح عددها من الـ ٢٠ إلى الـ ٣٠، وبعد أن أثبت لمحبوبته مقدار قوته متحدثا عن بطولته وعن بلائه، يقول أن الشرف والعزة لا يكون أبداً لمن جلده أبيض ومن عنده مال كثير، ولكن الشرف الحق يكون لمن عنده مكارم الأخلاق يتحلى ويتصف بها، فيقول: إنني يا ابنة عمي وإن كان لون جلدي يبدوا أسودا فإنني رجل كريم الطبع طيب الخلق، لا أتصف بأخلاق الأراذل وشرفي وعزتي في ذلك وذلك معنى قوله (في المكارم عزٌ ورتبة) .

وَلَو صَلَّت العَرَبُ يَومَ الوَغَى * لِأَبْطَالِهَا كُنتُ لِلعَرَبِ كَعبَهْ

وَلَو أَنَّ لِلمَوتِ شَخصَاً يُـرَى * لَرَوَّعتُـهُ ولَأَكثَرتُ رُعبَـهْ

يُظهِرُ لنا عنترة جانباً آخر من صفاته البطولية ومظهراً من مظاهر الفخر والاعتزاز بالنفس، فيقول أنَّهُ في أوقات الحروب

وهي المقصودة بقوله (يوم الوغى)، عندما يذهب العرب ويدعون لأبطالهم وفرسانهم كي ينتصروا على أعدائهم ويعودوا ظافرين و محملين بالغنائم والأسلاب، وهذه عادة العرب عند كل نائبة وطارئة من الأمور والاحداث أكون أنا أملاً من آماله, التي يُعَوِّلونَ عليها في النصر على أعدائهم، كما الكعبة أملٌ لهم يدعون لأبطالهم ويتقربون لآلهتهم عندها، وذلك معنى قوله (كُنتُ لِلعَرَبِ كَعبَهْ)، ثم يتابع وصف قوته وبطولته فيقول أن الموت ذلك الشبح الذي يتملكهم الرعب منه عند ذكره، وبسببه يجبن الشجعان ويفر الأبطال، إن كانت له صورة يتمثل بها وشخصٌ يُرَى لذهبت إليه وأدخلت الرعب إلى نفسه، وَلَرَوَّعتُ قلبه ولا أعبأ به، وبالطبع هذا من قبيل المبالغة الغير محمودة من عنترة .

لِغَيرِ العُلاَ

هذه القصيدة قالها عنترة متوعداً لعمارة وأخيه الربيع ابني زياد العَبْسِيِّيَن .

لِغَيرَ العُلاَ مِنِّي القِلَى و التَّجَنُّبُ * وَلَولَا العُلَا مَا كُنتُ فِي العَيشِ أَرغَبُ

مَلَكتُ بِسَيفِي فُرصَةً مَا استَفَادَهَا * مِنَ الدَّهرِ مَفتُولُ الذِّرَاعَينِ أَغلَبُ

لَئِن تَكُ كَفِّي مَا تُطَاوِعُ بَاعَهَا * فَلِي فِي وَرَاءِ الكَفِّ قَلبٌ مُذْرَبُ

إِنَّ التَعَزُّزَ أمام من يتكبر عليك ويأنف من وجودك معه ويعتبرك أقلُ شأناً منه حقٌ وواجب، وهذا هو ما فعله عنترة في هذه الأبيات فهو يصف نفسه بصفات فيها لون بارز من الإعتزاز بالنفس أمام ابني زياد، فيقول أنَّ هذه الحياة في نظره لا تساوي كل هذا الجهد والتعب من أجلها، وليس فيها شئ ذو قيمة يفني اللبيب عمره من أجل تحصيله إلا المجد وعلو الشأن والكرامة، وغير ذلك لا يستحق من عنترة إلا التجنب والإبتعادن، وأنه لولا طلبه لمعالي الأمور لما رغب في البقاء في هذه الدنيا الوضيعة ، ويصف عنترة نفسه أمام من يتكبرون عليه ويرون أنه أقل شأناً منهم، فيقول أنه بقوته وشجاعته بلغ من العزة والفخر وهو المقصود بقوله (فُرصَةً)، ما لا يستطيع أن يبلغه كل بطل

شديد قوي الذراع وهو معنى قوله (مَفتُولُ الذِّرَاعَينِ)، يظن أنه ذو شأن والحقيقة أنه خلاف ذلك فهو ما نال من الكرامة شئ، ولعله يُعَرِّضُ بعمارة وأخيه وذلك معنى قوله (مَا استَفَادَهَا)، ثم نراه يقول أن بلوغ المعالي هو غايته وهمه الشاغل والذي يسعى إليه ويمد إليه ذراعه، فإن لم تكن كفه تسجيب لباعه (والباع) هو: طول مد الذراعين، وذلك التصوير كناية عن جهده وسعيه إلى العلا والمعنى أنه إن لم تكن كفي ممدودة مع ذراعي، فإن لي قلباً من قوته وهمته حادٌّ كالسيف لا يجبن ولا يرجع وذلك هو معنى قوله (قَلبٌ مذرَبُ) .

وَلِلحِلـمِ أَوقَـاتٌ وَلِلجَهـلِ مِثلُهَـا * وَلَكِـنَّ أَوقَاتِـي إِلَـى الحِلـمِ أَقـرَبُ

أَصُولُ عَلَى أَبنَاءِ جِنسِي وَأَرتَقِي * وَيُعجِـمُ فِـيَّ القَائِلُـونَ وَأُعـرِبُ

يَـرَونَ احتِمَالِـي عِفَّـةً فَيَرِيبُهُـم * تَوَقُّرُ حِلْمِـي أَنَّنِـي لَستُ أَغضَـبُ

تَجَافَيتُ عَن طَبعِ اللِّئَامِ لِأَنَّنِـي * أَرَى البُخلَ يُشنَا وَالمَكَارِمُ تُطلَـبُ

وَأَعلَمُ أَنَّ الجُودَ فِي النَّاسِ شِيمَـةٌ * تَقُـومُ بِهَـا الأَحرَارُ وَالطَّبعُ يَغلِبُ

يواصل عنترة وصف الأخلاق والشمائل التي يجب على الكريم من الرجال أن يتحلى بها كي يليق به وصف الرجال, وأغلب

الظن كله تعريض بعمارة الزيادي الذي تجرد من كل صفات وشمائل الرجال، فيقول أن الإنسان بطبيعته تتفاوت مشاعره ما بين (الحلم) وهو لون من ألوان الصبر ويعلو عليه، وبين (الجهل) والمقصود به الغضب الذي يدفع المرء لأخلاق السفهاء والأراذل، وعنترة إنسان له نفس الطبيعة وتتأرجح مشاعره بين الحلم والغضب، إلا أن الناس تختلف قدرات التحمل عندهم فهناك من يملك نفسه فلا يجهل على من يسيئ إليه، وهناك من لا يملك نفسه فيغلب عليه غضبه وهناك من هو بين هذا وذاك، أما عنترة فهو رجل كريم تميل أخلاقه إلى الحلم، إلا أنه في بعض المواقف يغضب وهذا معنى قوله (إلى الحلم أقرب)، وفي هذا الوصف لون من ألوان الصدق مع النفس .

ثم يصف نفسه بالقوة التي يتحلى بها والتي لا يستطيعها أحد من أقرانه وبني جلدته من العرب، وأنه لو أراد أحدٌ أن يصارعه أو يغالبه فإنه يتفوق عليه ويغلبه فهو رجل شديد البأس، وبطبيعة الحال كل من هم مثل عنترة لديهم أعداء، إلا أنهم من قوته يجبنون حتى عن الجهر بمسبته والنيل منه بسيئ الألفاظ والكلمات، فيكتفون بالتعريض به وذلك معنى قوله (ويعجم في القائلون) والعجم: هو الإبهام وعدم الوضوح، إلا أنه يجهر

بعداوتهم ويرد عليهم بقوله وفعله بكل صراحة ووضوح، وذلك معنى قوله (وأعرب) فهو رجل شجاع لا يلجأ إلى الأساليب الملتوية التي يلجأ إليها الجبناء، ثم يلتفت لمن يجهرون بعداوته ويحقرون من شأنه ويستفزونه بالأقوال والأفعال، سواءاً كانوا من قبيلته أو من سائر العرب، وهو يتصف بالحلم معهم بالرغم مما يصدر منهم من إساءةٍ وفحش وهو قادرٌ على الرد والعقاب، فتصيبهم الريبة والقلق لأنهم يعرفون قوته وغلظته وذلك معنى قوله (فيريبهم)، ولكن لا يعلمون أنه يفعل ذلك تجنبا لأخلاق الأراذل وتجملاً بأخلاق الكرام الأفاضل، ويتضح موقف عنترة من التحلم عليهم وعدم مؤاخذتهم بالرغم من جهالاتهم وسفاهتهم أكثر في البيتين التاليين، فيقول أنه ما فعل ذلك إلا تجافياً عن أخلاق وطباع اللئام لأن طبع اللئيم السفه والجهالة ودناءة النفس، وغير ذلك فهذه الأخلاق دائما مكروهة ولأن عنترة يعلم ذلك ترفع عنها، فيقول: (أرى الجهل يشنا) ويشنا هي تسهيل لـ يشنأ والشنأ: معناه الكره وفي مقابل ذلك مكارم الأخلاق تُحمَدُ وتُطلَب، ولأن عنترة يعلم أن من أفضل الأخلاق الجود والترفع عن الإساءة لمن أساء إليك، وأن هذا الخلق من شيم وطباع الرجال تحلى واتصف به لأنه رجل، ولأن الكرم فيه

طبع متأصل وسجية وكل إنسان يتصرف بما طبع في نفسه، إن كان خيرا فخير وإن كان شراً فشر وهذا معنى قوله (والطبع يغلب) .

فَيَا ابنَ زِيـادٍ لَا تَـرُم لِـي عَـدَاوَةً * فَـإِنَّ اللَّيَالِـي فِـي الـوَرَى تَتَقَلَّـبُ

وَيَـا لِزِيَـادٍ انزِعُـوا الظُّلـمَ مِنكُـمُ * فَلاَ المَاءُ مَورُودٌ وَلَا العَيشُ طَيِّبُ

لَقَـد كُنتُـمُ فِـي آلَ عَبسٍ كَوَاكِبَـاً * إِذَا غَابَ مِنهَا كَوكَـبٌ لَاحَ كَوكَـبُ

خُسِفتُم جَمِيعَاً فِي بُرُوجِ هُبُوطِكُم * جَهَـارَاً كَمَـا كُـلَّ الكَوَاكِـبِ تُنْكَـبُ

تحذير ووعيد لعمارة الزيادي والذي كان فيما يُروَى يرغب بعبلة زوجةً له، ولكنها كانت ترفضه وتريد عنترة ولذلك يقوم بمضايقته واستثارة غضبه، فيقول له عنترة لا ترم عداوتي يا ابن زياد ومعنى ترم: أي تتمنى وترغب، والمعنى لا تطمع يا عمارة في أن تعلوا وترتقي لدرجة أن تكون عدواً لي، ولا تغتر بحلمي وتختبر صبري عليك فكما أن الليالي لا تبقى على حالها وتتغير كذلك صبري وحلمي عليك، ثم يقوم بتوجيه الخطاب لبني زياد بصفة عامة ويقول لهم كفاكم ضلالاً وكفاكم ظلماً، عودوا إلى رشدكم واقتلعوا جذور الظلم والبغي من بينكم، ولعله

يقصد سيدهم عمارة وأطماعه وفساد أخلاقه، انزعوا جذور الظلم من بينكم فلا ماؤكم مورود أي مقصود ومرغوب، وأظنه يقصد بالماء قربهم ومودتهم ولا عيشكم بين الورى طيب، أي صار وجودكم بين الناس غير مرغوب فيه لظلمكم وبغيكم، ويستمر عنترة في تأنيبهم وعتابهم ويقوم بتذكيرهم بما كانوا عليه فيما مضى عَلَّهُم يستحون ويعودون عمَّا هم فيه من ضلال، ويقول لهم لقد كنتم فيما مضى من خيرة العرب وخيرة بطون بني عبس، كانت لكم مكانة عالية تُرَى مثل الكواكب أي النجوم إذا غاب من هذه الكواكب أحدها يخلفه غيره، فكنتم نجوماً ترثون المجد كابراً عن كابر، ولكن بسبب ظلمكم وضلالكم وحيادكم عن الطريق وجادة الصواب، فقدتم هذه المكانة التي كانت عالية مرتفعة كالنجوم، وكما أن النجوم يأتي عليها الوقت وتخسف وتختفي أنتم صرتم كذلك لترديكم في ضلالات بغيكم، فغاب مجدكم وأفل نجمكم .

سَلَا القَلْبُ

هذه القصيدة من أطرف القصائد في ديوان عنترة فقد قالها بعد ما أغضبته عبلة وبالغت في مضايقته.

سَلَا القَلبُ عَمَّا كَانَ يَهوَى وَيَطلُبُ * وَأَصبَحَ لَا يَشكُوا وَلَا يَتَعَتَّبُ

صَحَا بَعْدَ سُكْرٍ وَانتَخَى بَعدَ ذِلّةٍ * وَقَلبُ الَّذِي يَهوَى العُلَى يَتَقَلَّبُ

(سَلَا القَلبُ): وسَلَا من السلوى والسُلوان الذي هو دواء الحزين، والمعنى أن عنترة يُشَبِّهُ حبه لعبلة بالمرض الذي لا يفارقه ولكنه الآن قد شُفِيَ من هذا المرض والتهى قلبه وانصرف عنه، وصار لا يشكوا فراق هذا الحب لعبلة ولم تعد نفسه تعتب عليه هجره لها، والآن صحا قلبه واستفاق مما كان فيه ومن غيبته وسكره الذي أغرقته فيه محبته، تلك المحبة التي سببت له الغفلة والمذلة لكنه الآن استوعب وأدرك خطأ ما كان فيه، وتعزز بعد ما كان يتذلل لعشقه وهواه، وذلك معنى قوله (وانتخى بعد ذلة) وعاد لرغبته الأساسية وهي طلب العُلا

والمجد، ويعتذر عنترة عن غيبته بأن قلوب راغبي المجد والعظمة دائمة التقلب والتغير.

إلى كم أداري من تريد مذلتـي * وأبذل جهدي في رضاها وتغضبُ

عبيلــة أيــام الجمــال قليلــةٌ * لهــا دولــة معلومــة ثــم تذهــبُ

إن من طبائع النساء الدلال على من يحبون من الرجال ولعل عبلة قد بالغت في التدلل على عنترة، وهو يصبر إلى أن فاض به الكيل ولم يعد يحتمل ويقول أن الإستمرار في السكوت على هذا التدلل مذلة كبيرة لرجل مثله، وأنه لا يرى فيما يفعله الكفاية لإرضاء عبلة وفوق ذلك تغضب وتتمنع وتأبى عليه نفسه التذلل أكثر من ذلك، ومن ثم يخاطب عبلة ويناديها باسمها مصغراً وفي هذا إشارات الإشارة الأولى: أنه تعمد مناداة عبلة باسمها مصغراً، ليقول أنها ليست بهذا القدر وهذا المقام وتلك المكانة التي تعتقد أنها تحتلها في فؤاد عنترة، وهذا هو الراجح في رأيي، والإشارة الثانية: أنه أتى باسم عبلة مصغراً مراعاة للوزن والقافية وهذا رأي قوي إلا أنه مرجوح بسابقه، ويقول عنترة لعبلة مُنَدِّماً لها على ما تسببت به من الهجر والفرقة بعد ما كان بينهما من وُدٍ ومحبة وأيام جَمَّلَتها

تلك المشاعر المتبادلة، أن تلك الأيام قليلة لا تدوم فكما هو حال دول السابقين وأيامهم تبقى إلى ما شاء الله ثم تذهب ويطويها النسيان يكون حال هذه الأيام التي كانت بيننا، ويوجد هنا سؤال يطرح نفسه وهو: كيف يصدر هذا القول من لسان عنترة بالرغم من المعاناة التي لحقت به جَرَّاءَ حُبِّه لعبلة، وعندما غضب منها يقول ذلك ؟ والجواب في رأيي أن ذلك أمرٌ طبيعي، فعنترة بطبيعة حاله عزيز النفس لا يقبل الإساءة بكل ألوانها وإن كان يتغاضى عنها أحياناً، ولا أرى كلامه هذا إلا نتيجةً لغضبه فهو عندما يهدأ تعود إليه صبابته ومحبته ومشاعره الأولى تجاه عبلة، والتي تأصلت في داخله.

وَقَد قُلتُ إِنّي قَد سَلَوتُ عَنِ الهَوَى * وَمَن كَانَ مِثلِي لَا يَقُولُ وَيَكذِبُ

هَجَرتُكِ فَامضِي حَيثُ شِئتِ وَجَرِّبِي * مِنَ النَّاسِ غَيرِي فَاللَّبِيبُ يُجَرِّبُ

لَقَد ذَلَّ مِن أَمسِي عَلَى رَبعِ مَنزِلٍ * يَنُوحُ عَلَى رَسمِ الدِّيارِ وَيَندُبُ

وَقَد فَازَ مَن فِي الحَربِ أَصبَحَ جَائِلاً * يُطَاعِنُ قِرنَاً وَالغُبَارُ مُطنِبُ

رُبَّمَا قَد سَاوَرَ عبلة بعض الشك من مدى صدق الذي يزعمه عنترة من أَنَّهُ تخَلَّى عن محبتها وصار لا يعبأ بها، وقالت في

نفسها إنَّهُ غاضبٌ ولا بد أنَّه سيعود عما يقول، ولأجل هذا الظن الذي قد يرد في خاطر عبلة نرى عنترة يؤكد ما يقول ويزعم، وأنَّه من كان مثله من الرجال صاحب عزة وقوة وشجاعة أبداً لا يكذب، لأنَّه لا يخاف من البوح بما هو حق وبما هو كائن ويقول لها كما أنَّه سبق منك الهجر والتكبر، فإنِّي بالهجر أولى فاذهبي وجربي صنوف الرجال واختبريهم، لعلك تجدين من ينيخ ركبه لكي ويسلم زمام نفسه إليكي، ابحثي وجربي فاللبيب أي صاحب العقل والحكمة سيمته الإكشاف والتجربة، أما أنا فيكفيني ما كان من مزلة الوقوف على ربوع المنازل وربع المنزل هو المكان الذي يقصده العاشقون لمراقبة معشوقيهم، يقول وكفى أيضا ما كان من نوحٍ على رسم الديار أي: آثار الديار التي أخلاها ساكنوها، وكان دأب العاشقين الوقوف عند ديار معشوقيهم، التي لم تعد مسكونة ويتذكرون ما كان بينهم, فتأخذهم عبراتهم ويبكون، ثم يقول عنترة أنَّ من كان مثله شأنه أن يجول في وسط الحروب والمعارك، وليس في تقفي آثار النساء والوقوف على ربوع المنازل، وأن من كان شأنه أن يجول ويصول ويطاعن أي يحارب الأبطال والفرسان وسط غبار

الخيل وتحت مضارب السيوف والرماح، هو بالتأكيد أعز وأكرم ممن أعمى العشق بصيرته وأذهب عقله وفطنته .

نَدِيمِي رَعَاكَ اللهُ قُم غَنِّ لِي عَلَى * كُؤُوسِ المَنَايَا مِن دَمٍ حِينَ أَشرَبُ

وَلاَ تَسقِنِي كَأسَ المُدَامِ فَإِنَّهَا * يَضِلُّ بِهَا عَقلُ الشُجَاعِ وَيَذهَبُ

مقارنة موجزة بين ما كان من حال عنترة وما يريد أن يكون من حاله أيام عشقه وغرامه وحاله في الحرب والكر والفر، يخاطب نديمه والنديم: هو الجليس والأنيس وهو أيضا من يحمل الخمر، ينادي عنترة نديمه ويقول له غن لي أي: شجعني واحتفي معي بكؤوس المنايا أي: مذاق الحروب ولذة القتال، ودع عنك كأس المُدام والمُدام هو: اسم من أسماء الخمر ويقصد بها هنا محبته التي سلبت عقله تماماً مثل الخمر، يقول دع عنك هذه الأمور فلا جدوى منها غير تغييب العقل وقلة الشأن، وبها يضل عقل الشجاع عن أهدافه ومآربه ويغيب .

حسناتي عند الزمان

حَسنَاتِي عِندَ الزَّمَانِ ذُنُوبُ * وَفِعَالِـــي مَذَمَّـــةٌ وَعُيُـــوبُ

وَنَصِيبِي مِنَ الحَبِيبِ بِعَـادٌ * وَلِغَيرِي الدُّنُـوِ مِنـهُ نَصِيبُ

كَلَّ يَومٍ يَبرِي السَقَامَ مُحِبٌّ * مِن حَبِيبٍ وَمَا لُسُقمِي طَبِيبُ

فَكَأَنَّ الزَّمَانَ يَهوَى حَبِيبَـاً * وَكَأَنِّـي عَلَى الزَّمَـانِ رَقِيبُ

يشكوا عنترة حاله ويعبر عن حُزنِهِ بأبياتٍ تفيض بالأسى، فيقول: حسناتي أي كل ما فعلته وحققته وكل مجد نلته كان من المفترض أن يكون حسناتٍ لي عند الزمان، فتنصلح أحوالي وتُحمَدُ خِصَالِي وأفعالي ولكن العكس هو الواقع، فكل ما ينسب لي من عزٍ ومجدٍ هو بمثابة الذنوب عند الزمان، فكان منه كل هذه البلايا والأحزان، ومن بلايا هذا الزمان أن كان لعنترة نصيبٌ وفير وقدرٌ كبير من البعد والفراق عن حبيبته عبلة، ومن ظلم الزمان لعنترة أن جعل لكل شخص وكل شئ سواه نصيب من الدنو أي القرب من عبلة، ويُشَبِّهُ عنترة بُعدَ الحبيب عن حبيبه بالمرض فكما أن التداوي فيه الشفاء من السقم أي المرض، كذلك اللقاء بالحبيب فيه الدواء من داء البعد والفراق،

إلا أن داء عنترة من شدته وتعذر علاجه صار كأنه لا دواء له ولا خلاص منه وذلك معنى (وَمَا لِسُقمِي طَبِيبُ)، ثُمَّ يُشَبِّهُ أيضاً حال الزمان معه وموقفه منه بأن الزمان محب وأن عنترة يحول بينه وبين محبوبه، فصار الزمان يكن له كل بغض وكل غضب وصارت جميع فعال عنترة الحميدة والكريمة ومحامده، مثالب يستحق عليها العقاب والعناء، ولله دره عنترة كيف أتى بمثل هذه الصورة العبقرية لحاله وحال الزمان .

إِنَّ طَيفَ الخَيَالِ يَا عَبلُ يَشفِي * وَيُدَاوَى مِنهُ فُؤَادِي الكَئِيبُ

وَهَلَاكِي فِي الحُبِ أَهوَنُ عِندِي * مِن حَيَاتِي إِذَا جَفَانِي الحَبِيبُ

طيف الخيال: هو الصورة الذهنية التي تتكون وقت ذكر الشئ، وهو عند عنترة ذكر الحبيب ومثول صورته في الذهن، ذلك الحبيب الذي أصاب عنترة الإعياء والهوان بسبب ابتعاده عنه، فيقول: إن مجرد ذكر الحبيب وتصوره ماثلاً ظاهراً أمام عينيه يخفف عنه ما به شوق، ويرتاح قلبه الذي أصابه الإكتئاب جرَّاء هذا الابتعاد والفراق، وكما أن كل داءٍ شديدٍ قد يموت منه صاحبه فإن داء عنترة وهو الحب قد يكون سبب موته، وبما أن موته بسبب محبته فهو غير ساخط وغير حزين، بل هو راضٍ

سعيدٌ بذلك الموت فهو على الأقل أهون بكثيير من جفوة الحبيب: أي ابتعاده وانطفاء نار المحبة بداخله، فإنه إن كان الأمر كذلك ستكون حياته أشبه بعذاب لا خلاص منه.

يَا نَسِيمَ الحِجَازِ لَولَاكَ تَطفِى * نَارَ قَلبِي أَذَابَ جِسمِي اللَهِيبُ

لَكَ مِنّي إِذَا تَنَفَّستُ حَرٌ * وَلِرَيَّاكَ مِن عُبَيلَةَ طِيبُ

ينتقل عنترة ليخاطب نسيم الحجاز حيث منزل عبلة ومكان إقامتها، ويوضح كيف أن هذا النسيم عزيز القدر عنده لأنه قادم من عند عبلة، وليس هذا فقط فهذا النسيم لولا تواجده لذاب جسم عنترة من نار ولهيب عشقه ومحبته، فهذا النسيم يطفئ هذه النار قليلا لأنه من عند عبلة، وبلغ من عنترة الشوق أن صار نَفَسُهُ الذي يخرجه حاراً ولا يطفئه غير هذا النسيم الذي صار طيب الرائحة بعد أن اختلط بأنفاس عبلة، وهذا معنى قوله (وَلِرَّيَاكَ) أي ريحك .

وَلَقَد نَاحَ فِي الغُصُونِ حَمَامٌ * فَشَجَانِي حَنِينُهُ وَالنَحِيبُ

بَاتَ يَشكُو فِرَاقَ إِلفٍ بَعِيدٍ * وَيُنَادِي أَنَا الوَحِيدُ الغَرِيبُ

يَا حَمَامَ الغُصُونِ لَو كُنتَ مِثلِي * عَاشِقَاً لَم يَرُقكَ غُصنٌ رَطِيبُ

فَاترُكِ الوَجدَ وَالهَوَى لِمُحِبٍّ * قَلبُهُ قَد أَذَابَهُ التَعذِيبُ

كُلَّ يَومٍ لَهُ عِتَابٌ مَعَ الدَهـ * ـرِ وَأَمرٌ يَحَارُ فِيهِ اللَبِيبُ

وَبَلَايَا مَا تَنقَضِي وَرَزَايَا * مَا لَهَا مِن نِهَايَةٍ وَخُطُوبُ

وما أن ينتهي عنترة من مخاطبة نسيم الحجاز حتى ينتقل بنا لمشهدٍ آخر، حيث رأي الحمام ينوح فوق الأغصان ليثير نواحه في نفس عنترة لوعته وغرامه، ويشعل في قلبه نار الاشتياق، وكان دأب شعراء العرب وعادتهم أن يستعيروا في تصوير الشجو والأحزان بصورة الحمام الذي ينوح فوق الأغصان مثلما فعل عنترة، ويكمل حديثه مُعللاً ومُوضحاً سبب نوح ذلك الحمام وهو أنه يشكوا ما به من ألم الفراق الناتج عن ابتعاد إلفه، والإلف: هو الحبيب الذي تألفه النفس وتميل إليه، ومع هذه الشكوى ينطق لسان حاله وحال عنترة ويقول: أنا الوحيد الغريب، ونرى عنترة يعيب على الحمام موقفه وتخاذله وأنه اكتفى بالنواح على الأغصان دون السعي للقيا إلفه الذي يشكوا ابتعاده، ونراه يصفه بعدم الصدق في عشقه لتخاذله وضعفه ولو كان صادقا في حبه لسعى للقيا محبوبه، وذلك معنى قوله (لم يرقك غصن رطيب) ثم يقول له دع أمور العشق لمن هو

أهلٌ له، دعه لشخصٍ مثل عنترة قد ذاب قلبه من عذاب الفراق والابتعاد، شخصٌ له في كل يوم وليله عتاب على الدهر ذلك الدهر الذي يتفنن في التفريق بينه وبين من يعشقها قلبه وتسكن إليها روحه، ولا يزال كل يوم يبليه بمصائب وصعاب يبدو أن لا نهاية لها، وذلك معنى قوله (ما لها من نهاية وخطوب).

سَائِلِي يَا عُبَيلَةَ عَنِي خَبِيرَاً * وَشُجَاعَاً قَد شَيبَتهُ الحُرُوبُ

فَسَيُنبِيكِ أَنَ فِي حَدِ سَيفِي * مَلَكُ المَوتِ حَاضِرٌ لَا يَغِيبُ

وَسَنَانِي بِالدَّارِعِينَ خَبِيرٌ * فَاسأَلِيهِ عَمَّا تَكُونُ القُلُوبُ

كَم شُجَاعٍ دَنَا إِلَيَّ وَنَادَي * يَا لِقَومِي أَنَا الشُّجَاعُ المَهِيبُ

مَا دَعَانِي إِلا مَضَى يَقضِمُ الأَر * ضَ وَقَد شُقَّت عَلِيهِ الجُيُوبُ

عودٌ للإفتخار والتعزز يخاطب عنترة محبوبته عبلة ويقول لها: إن شئتِ أن تعرفي مدى قوتي وشجاعتي في الحروب، فدونك الأبطال والشجعان اسأليهم واستخبريهم عني، فسيخبروكِ بالخبر الصادق الذي لا شك فيه، وذلك معنى قوله (فسينبيك) من النبأ: وهو الخبر الصادق اليقين، سيخبركِ أن من يلقاني في

الحروب لا محالة هالكٌ وما ذلك إلا لأن ملك الموت حاضر عند حد سيفي الذي أقاتل به أعدائي وأهلكهم، ويوجد هنا سؤال: وهو أن عنترة كان من الجاهليين الذين لا يدينون بدين التوحيد، فكيف علم عنترة بمسألة ملك الموت ؟ وهذا الأمر له احتمالين، الإحتمال الأول: هو أن عنترة في حياته الطويلة ربما التقى ببعض أهل الكتاب وسمع منهم، وربما التقى ببعض العرب الذين يتعبدون بحنيفية سيدنا إبراهيم عليه السلام، وهذا الاحتمال هو الراجح في رأيي، أما الاحتمال الثاني: فهو أن هذه القصيدة قد نالها شئ من التحريف، وهو ضعيف في رأيي حيث أنه لا مبرر لذلك ولا داعي له، وعندما نعود للقصيدة نجد عنترة يخبرنا ويقول لنا أن سنانه أي: رمحه خبيرٌ بالدارعين أي: المحاربين الذين يرتدون الدروع، صار رمحه خبير بالدارعين من كثرة ما لقيهم وقاتلهم، فلتسألي يا عبلة أحدهم وليخبرك كيف تكون قلوبهم عندما يقفون أمامي ويتلقون سيفي وسناني، من شدة ما يعتريهم خوفٍ وقلق، فكم شجاعٍ دنا إلي أي: اقترب مني ليقاتلني وينادي قومه متافخراً بقوته وشجاعته، حتى جعلته جثة هامدة يقضم الأرض أي: يعضها بفمه، كنايةً عن الهيئة التي يكون عليها حال هزيمته أمام عنترة، وبعد أن كان قومه

فرحين به متهللين بقوته وشجاعته، صاروا الآن ينوحون عليه وتشق النساء الجيوب.

وَلِسُمرِ القَنَا إِلَيَّ انتِسَابُ * وَجَوَادِي إِذَا دَعَانِي أُجِيبُ

يَضحَكُ السَيفُ فِي يَدي وَيَنَادِي * وَلَهُ فِي بَنَانِ غَيرِي نَحِيبُ

وَهُوَ يَحمِي مَعِي عَلَى كُلِّ قِرنٍ * مِثلَمَا لِلنَّسِيبِ يَحمِي النَّسَيبُ

فَدَعُونِي مِن شُربِ كَأسِ المُدَامِ * مِن جَوَارٍ لَهُنَّ ظَرفٌ وَطِيبُ

وَدَعُونِي أَجُرُّ ذَيلَ فَخَارٍ * عِندَمَا تُخجِلُ الجَبَانَ العُيُوبُ

في ختام القصيدة يعدد عنترة مظاهر شجاعته ويظهر فضائل أخلاقه، فنراه يقول الأشياء تعرف بنسبها وأصلها، فكما أن بعض الخيول لها نسب وأصل تمتاز به عن البعض الآخر، السيوف كذلك تعرف جودتها وأصالتها إذا ما كانت منسوبة لعنترة، وليس معنى ذلك أنه يصنع السيوف ولكن السيف الذي يمسكه بيده ويقاتل به، يكون له فخرٌ وفضلٌ على باقي السيوف وذلك معنى قوله (ولسمر القنا إلي انتساب)، وعندما يكون السيف في يدي عنترة فإنه يضحك فرحاً ومسروراً بقوة حامله وشجاعته، وينادي الأعداء متحدياً لهم متفاخراً باليد التي

تمسكه، وإذا ما كان في يد غيره يكون له بكاءٌ وانتحابٌ حزناً وألماً لأنه ليس في يدي عنترة، وعندما يكون في يدي عنترة تأخذه الحمية ويدفعه الحماس للقتال والهجوم على كل قرن، أي: محارب قوي وكما أن النسيب يتعصب لنسيبه ويغضب له يكون سيف عنترة، ويخاطب عنترة أعداءه ويقول لهم فدعوني مما أنتم غارقون فيه من شرب كأس المدام، أي: الخمر التي تقدمها لكم الجواري الحسان في مجالس لهوكم وفسادكم، فلست كذلك ودعوني أجر ذيل الفخار علي كل جبان، ينتقص قدري ويقلل من شأني وهو يملؤه الخجل مما ينسب إليه من عيوب ورذائل.

أُعاتِبُ دهراً

أُعـاتِـبُ دهـراً لا يليـنُ لِعاتِـبِ * وأطلُبُ أمناً من صُروفِ النوائِبِ

وتُوعِدُنِي الأيامُ وعداً تَغُرُّ بِي * وأَعلـمُ حقـاً أنَّــهُ وعــدُ كَــاذِبِ

في هذه القصيدة يبث عنترة خواطره التي تملأ عقله وقلبه وتكاد تفتك بروحه، ولا متنفس له غير الشعر فنجده، قد ابتدأ القصيدة بعتابه للدهر ذلك الدهر الذي لا يسأم ولا ينفك عن إيذاء عنترة، ولكنه بالرغم من كل هذا العتاب، لا يلين ولا يرق لعنترة الذي أنهكته صروف النوائب أي: صنوف وأشكال الصعاب والمعاناة، لدرجة أنه صار يطلب الأمن والأمان منها، وكما يعاتب عنترة ذلك الدهر يشكوا حال الأيام معه ،وما كان منها من وعود وآمال أطمعته بها وهي في الحقيقة لا تزيد على أن تغريه بتلك الأحلام، فتستنفذ عمره وتهلكه وما ذلك إلا لأنها من جنود ذلك الدهر الذي يعادي عنترة، ولكن عنترة يعلم جيداً أنه ليس لتلك الأيام وعدٌ صادق وأن الزمان دوار، ولذا لا يغتر بتلك الوعود لأنه يعلم علم اليقين أنها وعود كاذبة.

خَـدمـتُ أُنـاسـاً واتخَـذتُ أَقاربــاً * لِعَونِـي وَلكِـن أَصبَحُـوا كَالعَقَـارِبِ

يُنَادُوننِي فِي السِلمِ يا ابن زَبيبـةٍ * وَعِندَ صِدامِ الخَيلِ يَا ابنَ الأَطَايِبِ

وَلَولا الهَوى مَا ذَلَّ مِثلِي لِمِثلِهم * وَلا خَـضَعَت أُسـدُ الـفَـلا لِلثعالِـبِ

إن صاحب الغاية العظيمة والآمال البعيدة في أول سعيه وسيره لتحقيق هذه الآمال والغايات، في حاجةٍ للعون والمؤازرة من القريب والبعيد، وهذا ما فعله عنترة فكم أدى خدماتٍ جليلةً لمعارفه وكم أدنى إليه من أقاربه، كل هذا رجاء أن يكونوا معه وعزاً لهُ إذا ماتطاول عليه سفيه، ولكن لم يكن إلا غير الجحود والنكران حتى من أقاربه الذين لا يُنتظر منهم ذلك، فكانوا كالعقارب كناية عن الغدر وذلك معنى قوله (أصبحوا كالعقارب)، ولم يكن الغدر فقط من صفاتهم بل النفاق من أبرز تلك الصفات، ذلك أن من مظاهر هذا النفاق إذا ما كانت الحرب واشتد القتال، وكانت الغلبة للأعداء يأتون إليه مهرولين راجين أن يعينهم ويقاتل معهم، ويَتَمَلَّقُونَهُ بأطيب الأسماء والألقاب، وإذا ما كانوا في حالة سلم يُعَيِّرُونَهُ بسوادِ جِلدِهِ وينادونَهُ باسم أمه، فيا لهم من أقارب ويا لهم من أعوان اتخذهم عنترة، ثم نرى عنترة يعتذر لنفسه في المقام الأول ثم لمن يلومه على اتخاذ مثل

هؤلاء الأنذال أعواناً له، فيقول أنه لولا الهوى ما تذلل إليهم ولا احتاج لأمثالهم، لكن ما الذي يقصده عنترة بقوله الهوى؟ أرى أنه يقصد رغبته وطموحاته وأحلامه وآماله التي كان يرجوا أن يعينوه على تحقيقها والوصول إليها، وربما كان يقصد حبه لابنة عمه التي كان دوماً يتودد لأبيها مالك بن معاوية بن قراد العبسي، رجاء أن يزوجه بها ولكنه ما زال يصر على أن يحول بينه وبينها، ولولا كل ذلك ما ذلت أسد الصحاري وسباعها لمثل هؤلاء الثعالب .

فَيا لَيتَ أنَّ الدَهرَ يُدنِي أَحبتِي * إلَيَّ كَما يُدنِي إلَيَّ مَصَائِبي

وَليتَ خَيالاً مِنكِ يا عَبلُ طَارِقاً * يَرى فَيضَ جَفنِي بِالدُّموعِ السَّواكِبِ

سِأصبِرُ حَتَّى تَطرَحُنِي عَوَاذِلي * وَحتَّى يَضِجُّ الصبرُ بَينَ جَوَانِبِي

مَقَامُكِ فِي جو السماءِ مَكَانُهُ * وَباعِي قَصِيرٌ عَن نَوَال الكَوَاكِبِ

استعطاف وحنين ومناجاة للمحبوب ومن ثم عتاب على الدهر، ذلك الدهر الذي ما يزال مستمراً في التفريق بين عنترة ومحبوبته عبلة، كأن لاشاغل له إلا ذلك، وكما يباعد بين عنترة وبين أحبته يسعى للتقريب بينه وبين المصائب والمحن، فليته

كان يقرب أحبة عنترة إليه مثل تقريبه لتلك المصائب والبلايا، وقد بلغ الحزن من عنترة على فراق محبوبته، أن صارت عيناه تبكيان حتى فاض البكاء أي زاد وكثر، فليت خيالُكِ يا عبلة يسموا بِكِ فترينَ حالي وترثينَ لحزني وبكائي، ولكن اعلمي يا عبلة وليعلم من يلومني في محبتي، أنني صأصبر وأجتهد في الصبر حتى يمل مني من يلومونني، وحتى يتعب الصبر من صبري وذلك معنى قوله (تطرحني عواذلي)، وقوله (يضج الصبر بين جوانبي)، وفي النهاية يختم عنترة حديثة مع عبلة موضحا أنه لا عجب في صعوبة الوصول إليها، لأن من كانت مثلها مقامها في جو السماء بين النجوم العاليات، وأن يا عبلة باعي أي: ذراعي قصير عن الوصول لهذا المقام.

قافية التاء

*إذا قنع الفتى بذميم عيش

إذا قنع الفتى بذميم عيش

قال عنترة هذه القصيدة مُتَوَعِّدَاً وَمُحَذِّرَاً لبني زبيد، الذين كانوا في حربٍ مع بني عبس.

إِذَا قَنِعَ الفَتَى بِذَمِيمِ عَيشٍ * وَكَانَ وَرَاءَ سَجفٍ كَالبَنَاتِ

وَلَم يَهجُم عَلَى أُسدِ المَنَايَا * وَلَم يَطعَن صُدُورَ الصَّافِنَاتِ

وَلَم يَقرِ الضُيُوفَ إِذَا أَتَوهُ * وَلَم يَروِ السُّيُوفَ مِن الكُمَاةِ

وَلَم يَبلُغ بِضَربَ الهَامِ مَجداً * وَلَم يَكُ صَابِرَاً فِي النِّائِبَاتِ

يوضح عنترة في هذه الأبيات شمائل وأخلاق الرجال التي ينبغي أن يكونوا متصفين بها، والعيوب التي ينبغي عليهم تجنبها، ومن ضمن هذه الصفات عدم الرضا بالحياة التي هي مقرونةٌ بالذُلِّ والقهر، وعدم الرضا بها والتمرد عليها، وألا يكونَ المرءُ راضياً بالتستر من وراء سجف، والسجف: هو الذي يُتَّخَذُ سِتاراً وساتِرَاً أي: لا يُصبحُ خَاضِعَاً ليس له من أمره شئ، كحال البنات والنساء، وليس من ضمن العيوب التخاذل والرضا بذميم

العيش فقط، وإنما التخاذل عن مواجهة الصعاب والشدائد التي عَبَّرَ عنها عنترة بقوله (أسد المنايا)، واصِفاً مدى صعوبتها وأنها من السبل التي نهايتها الموت والهلاك ولعله يقصد الحروب والمعارك، وأيضاً لم يواجه الفرسان الذين يركبون الخيول الأصيلة وهي المقصودة بقوله (الصافنات)، ثم يذكر جانباً آخر من المحامد والمكارم، وهو أن يَقرِي الضيوف أي: يكرمهم إذا نزلوا عنده ولا يقصر معهم في طعام أو شراب أو مبيت، وهذه كانت عادة سائدة عند قبائل العرب، (ولم يرو السيوف من الكماة) أي: لم يشبع سيفه من لابسي الدروع من الفرسان، والمعنى أنه لابد له من أن يقاتل المحاربين والفرسان الأعادي الذين يريدون السوء له ولأهله وأرضه، ثم يبين عنترة أن الضرب بالسيوف ليس كله خير، فهناك ضربٌ وقتالٌ يُورثُ صاحبه مجداً وعزاً وشرفاً إذا ما كان دفاعاً عن الأرضِ والأهلِ والنفسِ، وهناك ضربٌ بالسيوفِ لا يُورثُ إلا ذُلاً ودناءةً إذا ما كان تَجَبُّرَاً على الضعفاء وَسَلبَاً للحقوقِ، فيجِبُ على المرءِ أن يكون ضربه بالسيف لغاية نبيلة تُورِثُهُ مجداً وعزاً وشرفاً، وأيضاً عليه أن يكون صابراً متجلداً في وجه النائبات، أي: الشدائد والمصائب والمحن.

فَقُـل لـلنَّـاعِيَـاتِ إِذَا بَـكَـتــهُ * أَلا فَـاقصُـرنَ نَـدبَ النَّـادِبَـاتِ

وَلَا تَـنـدُبــنَ إِلا لَـيــثَ غَــابٍ * شُجَاعَاً فِي الحُرُوبِ الثَّائِـرَاتِ

إذا لم يكن الرجل متحلياً بكل هذه الشمائل والصفات ومتجنباً لكل هذه العيوب والنقائص، فلا خير منه لنفسه أو لقومه ولا يستحق أن تنعيه وتبكيه النادبات، وليقصرن الندب أي: ليكففن ويتوقفن عن ندب مثل هذا الجبان، وإذا أرادت النادبات ندب أحدٍ فليندبن رجلاً كـ ليثِ الغاب أي، أسد الغاب شجاعاً كريماً لا يجبنُ ولا يتراجع، مقدامٌ في الحروب الثائرة أي الطاحنة البالغة في القتال والطعان مبلغا كبيرا.

دَعُونِي فِي القِتَـالِ أَمُـت عَزِيـزَاً * فَمَـوتُ العِزِّ خَيـرٌ مِـن حَيَاتِـي

لَـعَمـرِي مَـالفَخَـارُ بِـكَسـبِ مَـالٍ * وَلَا يُدعَى الغَنِّـي مِـن السُّـرَاةِ

ومن ثم يقول عنترة دعوني من كل هؤلاء الذين لا شرف لهم ولا شجاعة لديهم، فأنا لست من أمثالهم، ودعوني أموت وأنا أقاتلُ عزيزاً غير ذليلٍ أو متخاذلٍ، فالموت لي في هذه الحالة أشرف لي وأعزُّ عندي من حياةٍ قد أكون فيها ذليلاً مُهاناً، ثم يُقسمُ عنترة ويقول أُّن الفخر للرجل ليس أبداً بكسب المال بغض

النظر عن وسائل هذا الكسب، وليس الفخر بوفرة الأموال والغنى ولكن الفخر الحق في الكرم وسماحة الأخلاق والطباع، ولذلك فليس كل غني يكون من السُراة أي: الكِرامِ الأماجِد أصحاب الأخلاق العالية والشمائل الرفيعة.

سَتَذكُرُنِي المَعَامِعُ كُلَّ وَقتٍ * عَلَى طُولِ الحَياةِ إِلَى المَمَاتِ

فَذَاكَ الذِّكرُ يَبقَى لَيسَ يَفنَى * مَدَى الأَيَّامِ فِي مَاضٍ وَآتِ

وليعلم الجميع أنني حتى وإن فنيتُ وهَلكتُ ومضت علىَّ الأيامُ والليالي، فسيَظَلُّ ذِكري قائِماً عند كل معركةٍ وكل نائبةٍ، وستكون حكايتي على ألسن العرب طالما حييت وبعد أن أموت، وخير الذكر للمرء الذي تعرفه الناس به، ذلك الذكر الذي يبقى ويبقي صاحبه وليس ذلك الذي يفنى وينتهي كما انتهى سابقه، ولا يدوم الذكر الطيب إلا لشجاعٍ عظيمِ الشأنِ فارِساً مثل عنترة.

وَإِنِّي اليَومَ أَحمِي عِرضَ قَومِي * وَأَنصُرُ آلَ عَبسَ عَلَى العِدَاةِ

وَآخُذُ مَالَنَا مِنهُم بِحَربٍ * تَخِرُّ لَهَا مُتُونُ الرَّاسِيَاتِ

وَأَترُكُ كُلَّ نَائِحَةٍ تُنَادِي * عَلَيهِم بِالتَّفَرُقِ وَالشَّتَاتِ

وفي الختامِ يقولُ عنترة ولتعلموا يا آل زبيد أنني اليوم مُدافِعٌ عن قومي وناصرهم ورادٌّ كيدكم عليكم، وأنني اليوم أحمي عِرضَ قَومِي ومُدَافِعٌ عنه وليس لكم طاقةٌ بحربي، واعلموا كذلك أنني جئت لأسترد ما سلبتموه من آل عبس ظلماً وعدواناً، ولا يكون ذلك إلا بحربٍ من شدتها وقوتها تَخِرُّ من هولها تلك الجبال الراسيات الشامخات، فما ظنكم بما سَيَحِلُّ بِكُم من غضبي وبأسي، اعلموا يا آل زبيد أنني لن أترككم إلا وأنا مهلككم ومن ورائي نسائكم تنوح عليكم، وتبكي تفرقكم وشتاتكم .

قافية الحاء

***أعاتب دهرا لا يلين لناصح**

*** الظباء السوانح**

دهراً لا يلين لناصحِ

أُعَـاتِـبُ دَهـرَاً لَا يَـلِـينُ لِـنَـاصِـحِ * وَأُخفِي الجَوَى فِي القَلبِ وَالدَّمعُ فَاضِحِي

وَقَومِي مَعَ الأَيَّامِ عَونٌ عَلَى دَمِي * وَقَـد طَـلَـبُـونِـي بِالـقَـنَـا وَالـصَّـفَـائِـحِ

وَقَـد أَبـعَدُونِـي عَن حَـبِيـبٍ أُحِـبُّـهُ * فَـصِـرتُ فِـي قَـفـرٍ عَـنِ الإِنـسِ نَـازِحِ

أحوال العشاق دائما ما تكون شديدة وصعبة ولا يعلم بها إلا الله، فالعاشق لا يهدأ له بال ولا تغمض له عين، يكون غريباً بين الناس ووحيداً وسط الجموع، يعتريه حزنٌ دائمٌ وقلقٌ لا يزول إذا ما كان بعيداً عن معشوقهِ يكون قلقه حيال اللقاء والوصال، وإذا ما كان معه يكون قلقه من التفرق والإبتعاد وهذا هو حال عنترة، فنراه في هذه القصيدة يبكي فرقته وابتعاده عن عبلة ويعاتب دهره كما هي العادة، ذلك الدهر الذي هو موسوم وموصوف بالقسوة والغلظة لدرجة أنه لم ينظر لدموع عين عنترة ولم يرق لحاله ولا يلين لنصح ناصح، وليس لعنترة إلا أن يكتم الجوى في قلبه والجوى هو: شدة العشق، ولكن ليس ينفعه ذلك لأن دموع حزنه وفراقه تفضح حاله وتفيض من

عينيه رغما عن تماسكه وتجلده، ما أسوأ حال عنترة وما أشد تعاسته فليس الدهر وحده من يؤذيه ويبعده عن عبلة ويبتليه بأنواع المصائب والصعاب، بل صار معه قوم عنترة من بني عبس الذين صاروا عونا للأيام ضد عنترة، وصاروا يطاردونه بالقنا والصفائح أي: الرماح والسيوف، ولعله يقصد ما كان من محاولات إبعاده وإهلاكه التي سعى إليها كل من عمه مالك وعمارة والربيع ابني زياد العبسيين، قوم عنترة الذين كان من شرهم وإيذائهم لعنترة أن سعوا لإبعاده عن الحبيب الذي يهواه ويحن إليه ويبذل كل غال ونفيس طمعا في وصاله، وقد نجحوا في ذلك فصار حال عنترة كأنه في قفر أي: مكان مهجور، مبتعداً عن الناس وعن شرورهم وفساد أنفسهم، لا فرق بينه وبين الأموات لأن حياته كانت في قربه من الحبيب.

وَقَد هَانَ عِندِي بَذلُ نَفسٍ عَزِيزَةٍ * وَلَو فَارَقَتنِي مَا بَكَتهَا جَوَارِحِي

وَأَيسَرُ مِن كَفِّي إِذَا مَا مَدَدتُها * لِنَيلِ عَطَاءٍ مَدُّ عُنُقِي لِذَابِحِ

قيمة الحياة عند كل شخص تكمن فيما يطمح أن يكون عليه وأن يصل إليه، فإذا ما فشل في ذلك لأي سبب كان لم تعد للحياة أي قيمة تذكر، فيكون بذل النفس والروح أهون ما يكون على

الشخص وذلك حال عنترة، فقيمة الحياة في نظره كانت متمثلة في شيئين الشئ الأول: هو عشقه ومحبته لابنة عمه عبلة، والشئ الثاني: هو رغبته في إثبات نفسه وتفوقه على كل من يحقر شأنه ويقلل قيمته، ومن ثم فبعد أن تم إبعاده عن محبوبته كان ذلك ضرباً له في قيمتيه فلم يُجعَل له أي اعتبار، وتم التفريق بينه وبين عبلة فصار بذل النفس أمراً هيناً، لدرجة أنه لو فارقته روحه لم تبكي عليها بقية جوارحه أي: أعضاء جسده، ومِن تَجَلُّدِ عنترة في هذه القصيدة وصبره أنه يصف لنا خُلُقَاً كريماً ألزم به نفسه وهو التعفف، فهو رجل عزيز النفس دائما ما يكون صاحب اليد العليا، وإذا ما ضاقت به الدنيا فهو رجلٌ عفيفٌ لا يمد يده لعطاءٍ من أحد، بل أكرم لنفسه وأيسر عنده أن يمد عنقه للذبح على مد يده لمنة يُتَفَضَّلُ عليه بها.

فَيَارَبِّ لَا تَجعَل حَيَاتِي مَذَمَّةً * وَلَا مَوتِي بَينَ النِّسَاءِ النَّوَائِحِ

وَلَكِن قَتِيلاً يَدرُجُ الطَيرُ حَولَهُ * وَتَشرَبُ غِربَانُ الفَلَا مِن جَوَانِحِي

وبعد كل ما صار وما حدث صارت غاية عنترة وأمنيته أن يعيش ما تبقى له من حياته كريماً عفيفاً غير متدنس برذيلة أو فساد نفس، وقد كان من قناعات العرب بصفة عامة والمحاربين

منهم بصفة خاصة أمثال عنترة، أن موت الرجل في غير ساحات الحروب والقتال فيه ذل له وإهانة، ولذلك كان يقال "مات حتف أنفه" أي: على سريره دون قتال وطعان، ولأن عنترة محارب فتأبى عليه نفسه أن يموت إلا محارباً ومقاتلاً، وليس في فراشه تنوح حوله النساء، والعجيب أنه كان له ذلك فعنترة مات مقاتلاً شامخاً على ظهر جواده، ويقول أنه يفضل أن تكون نهاية حياته وختام أجله قتيلاً في ساحات الحروب، تحوم حوله الطيور وتنقره غربان الجثث فهذا هو الموت الذي يكون مشرفاً ويكون به عزٌ وكرامةٌ للمحارب، والمتأمل في ختام قصيدة عنترة يشعر بروح اليأس التي اعترت عنترة نتيجة لما أَلَمَّ به من أحزان وآلام.

الظباءُ السوانح

قال عنترة هذه القصيدة في إغارته على بني ضبة وتميم.

طَرِبتَ وَهَاجَتكَ الظِبَاءُ السَّوَانِحُ * غَدَاةَ غَدَت مِنهَا سَنِيحٌ وَبَارِحُ

تَغَالَتْ بِيَ الأَشوَاقُ حَتَّى كَأَنَّمَا * بِزندَينِ فِي جَوفِي مِنَ الوَجدِ قَادِحُ

وَقَد كُنتَ تُخفِي حُبّ سَمرَاءَ حِقبَةً * فَبُحْ عَنكَ مِنهَا بِالذِي أَنْتَ بَائِحُ

لَعَمْرِي لَقَد أَعذَرْتُ لَو تَعذِرِينني * وَخَشَّنتُ صَدرَاً غَيبُهُ لَكِ نَاصِحُ

كان التفاؤل والتشاؤم من العادات المجتمعية المنتشرة بشكل كبير في جزيرة العرب، فكان من مظاهر التفاؤل أنه إذا خرج أحدهم للصيد يراقب ما يمر بجانبه من طير وحيوان فإذا كان هذا الذي يمر من على يمينه يكون ذلك مبعثا للتفاؤل ويسمى هذا المار بالسانح، وإذا كان الذي يمر من على يساره يكون ذلك مبعثا للتشاؤم ويسمى ذلك بالبارح، وعنترة الآن سائر في جيش ليغير على بني ضبة وتميم وقد مر من على يمينه ويمين الجيش بعض الظباء فكانت سوانح، وكان ذلك مبعثا للتفاؤل وتبشيراً

بالنصر لعنترة ومن معه، والبعض الآخر من تلك الظباء مرت من على يساره ويسار الجيش فكانت بوارح وكان ذلك مبعثاً للتشاؤم ونذيراً بالهزيمة، فيقول في مطلع القصيدة طربت أي: صرت في حالة من التناغم والسلام الداخلي، عندما كانت الظباء السوانح وهاجتك أي: جعلتك منفعلاً ومضطرباً، نفس تلك الظباء عندما كان بعضها بوارح، والذي يكون في حال حربٍ وغربة يشتاق لأهله ووطنه وأحبابه وما بالك بعاشق واله مثل عنترة، كيف يكون حاله لقد زادت أشواقه وتعالت وتغالت أي: صارت مبالغاً فيها، حتى كأن في داخل جوفه زندين: أي عودين قد اشتعلا ناراً من شدة الوجد أي شدة العشق، ثم يعاتب نفسه معاتبة لينة ويقول لقد مكثت زمناً طويلاً تخفي في قلبك ما به من عشق ومحبة لتلك السمراء، -ويقصد بها عبلة- ألا يكفيك هذا الخفاء والكتمان؟ ألا تنظر إلى ما سببه من احتراق وألم، فبح بمحبتك ولا تخفيها وليكن ما يكون، ومن ثم ينتقل من مخاطبة نفسه إلى مخاطبة السمراء معتذراً لها، أنه قد أّعذّر في كتمانه أي: بالغ وتمادى -والعرب تقول أعذر في الشئ أي: بالغ فيه- ويتمنى لو تعذره عبلة، أي تلتمس له العذر في كتمانه للمحبة ويقر بأنه تحامل على نفسه وخشن صدره أي: عنفه كي

لا يبوح بما يخفيه ذلك الصدر، الذي غَيبُهُ أي: المختفي فيه عشقٌ وولهٌ للسمراءِ عبلة.

أَعَاذِلَ كَمْ مِن يَومِ حَربٍ شَهِدتُـهُ * لَـهُ مَنْظَـرٌ بَـادِي النَّواجِـذِ كَالِـحُ

فَلَم أرَ حَياً صَابَرُوا مِثْـلَ صَبرِنَـا * وَلَا كَافَحُـوا مِثْـلَ الذَيـنَ نُكَافِـحُ

والآن ينتقل عنترة ليخاطب عذاله أي: حاسديه ومن يلومونه على كل كبيرة وصغيرة، وكأنه يقول لهم من أنتم أو ما أنتم أتعرفون كم حرباً شهِدتُهُا وحاربت فيها ولقيت الموت فيها آلاف المرات، وأنت متكئون على أسرتكم في لهوكم ومجونكم، تلك الأيام التي شبهها عنترة بوحش بادي النواجز، أي: ظاهر الأسنان والأنياب كالح أي: متجهم وحاجبه معقد كل هذا كناية عن مدى وحشية الحروب وصعوبة أيامها، ومن ثم يقول عنترة أنه لم ير قوماً أو أناساً صابروا أي بالغوا في الصبر والتحمل مثله ومثل قومه، ولم ير قوماً كافحوا عدواً في الحرب مثل الذي كافحه عنترة هو وقومه وواجهوه، وفي هذا تَعَزُّزٌ وافختارٌ من عنترة بنفسه وبقومه.

إِذَا شِئـتُ لَاقَانِـي كَمِـيٌّ مُدَجَّـجٌ * عَلَـى أَعوَجِـيٍّ بِالطِعَـانِ مُسَامِـحُ

نُزاحِــفُ زَحفَــاً أَو نُلَاقِــي كَتيبَــةً * تُطاعِنُنا أَو يَذَعرُ السَّرحَ صَائِــحُ

فَلمَّــا التَقَينَــا بِالجِفَــارِ تَضَعضَعُــوا * وُرُدَّت عَلَــى أَعقَابِهِــنَّ المَسَالِــحُ

ويواصل عنترة وصف قوته وشجاعته في الحرب، فيقول أنه لو شاء يقاتل كمياً أي: فارساً شجاعاً مدججاً أي: محملاً بالأسلحة، من سيف ورمح وقوس وخنجر...الخ، مما يستخدم عادة في القتال عند العرب، ومن صفات ذلك الفارس أنه يكون على ظهر أعوجي: وهو نسب أصيل لنوع من الأحصنة، وذلك الفارس يقاتل ويطعن ويجود بالطعنات كرماً على من يقاتلهم، ومع كل هذه القوة وهذه الصفات فهو هالكٌ أمام عنترة، ويصف عنترة حاله وحال قومه في الحرب، فيقول أنهم من شجاعتهم يزحفون أي: يسارعون وينهضون لقتال العدو، فإما أن ينهض إليهم ويقاتلهم أو يكونون كمثل السرح أي: الإبل التي تسعى، أو قطيع الأنعام التي تفر وتتفرق إذا ما صاح فيها صائح، ثم يكمل لنا عنترة وصف هذه الملحمة فيقول: أنه عندما التقوا بجيش العدو عند الجفار: وهو مكان به ماء لبني ضبة وتميم، تضعضع جيش العدو أي: تفرق وتشتت خوفاً من عنترة وقومه، كما أن المسالح -وهي الأماكن التي تُتَّخذُ لوضعِ الأسلحةِ والجنودِ في مقدمة الجيش- ردت على أعقابها، أي تركت أماكنها وهربت مع الذين هربوا.

وَسَارَتْ رِجَالٌ نَحوَ أُخرَى عَلِيهِمُ الـ * حَدِيدُ كَمَا تَمشِي الجِمَالُ الدَوَالِــحُ

إِذَا مَا مَشَوا فِي السَّابِغَاتِ حَسِبتَهُمْ * سُيُولاً وَقَد جَاشَتْ بِهِنَّ الأَبَاطِحُ

فَأُشْرِعَ رَايَاتٌ وَتَحتَ ظِلَالِهَا * مِن القَوْمِ أَبْنَاءُ الحُرُوبِ المَرَاجِحُ

وكما هو حال الحرب تكون دائما ما بين كَرٍّ وفَرٍّ إلى أن ينتصر أحد الفريقين، كذلك حال الحرب التي يخوضها عنترة، فهو يصف لنا مشهد العودة إلى الإشتباك بين الجيشين، وكل رجل يحمل معه أسلحته ودرعه، فكانوا مثل الجمال الدوالح: وهي الجمال التي تكون محملة بالبضائع، ويصف عنترة ذلك المشهد المهيب الذي يسير الرجال فيه متجملين بالسابغات، أي: الدروع الكاملة فكانوا كأنهم أمواجٌ وسيول جادت بها الأباطح أي: الأماكن المرتفعة من الأرض، وذلك كنايةً عن تسارع مشيهم واضطرابهم مثل الأمواج التي تأتي من المرتفعات، وكل جيش يكون له الرايات الخاصة به، وعند الصدام والإشتباك ترى رايات كثرة مرتفعة ومن أسفلها رجالٌ كُثُر يتقاتلون ويتطاحنون، ويصفهم عنترة بأبناء الحروب ذلك أن الذي جمعهم تحت ظله وكنفه هو الحرب، فصاروا كأنهم إخوة والحرب أمهم وذلك وصفٌ معروفٌ عند العرب.

وَدُرْنَا كَمَا دَارَتْ عَلَى قُطبِهَا الرَّحَى * وَدَارَتْ عَلَى هَامِ الرِّجَالِ الصَّفَائِحُ

بِـهَـاجِـرةٍ حَتَّـى تَـغَّيـبَ نُـورُهَـا * وَأَقبَلَ لَيلٌ يَقبِضُ الطَّـرفَ سَائِـحُ

تَدَاعَـى بَنُـو عَبـسٍ بِكُـلِّ مُهَنَّـدٍ * حُسامٍ يُزيلُ الهَامَ والصَّـفُّ جَانِـحُ

وَكُـلُّ رُدَيْنِـيٍّ كَـأنَّ سِنانَـهُ * شِهَابٌ بَدَا فِي ظُلمَةِ اللَّيْلِ وَاضِحُ

مشهد آخر يصفه لنا عنترة يخلد لنا به انتصار بني عبس في هذه الحرب، فيقول أنه وقومه داروا على أعدائهم وأهلكوهم، وكما أن الرحى -وهي الآلة التي تتخذ لطحن القمح- تدور وتطحن ما تحتها، كذلك سيوفنا دارت على رؤوس أعدائنا وتهلكهم، وكان كل ذلك القتال بهاجرة أي، منتصف النهار، واستمر هذا القتال إلى أن غاب نور الصباح، وأقبلت ظلمة الليل تنشر أطرافها حتى عمت كل الأرجاء، أما بنو عبس فقد تداعوا أي: أسرعوا بكل مهندٍ حسامٍ أي: سيفٍ يزيلون هوام الرجال أي رؤووسهم، والصف جانح: أي متحمسٌ ومنفعلٌ ومقبلٌ دونما رجعة أو تردد، وكما أن السيوف كانت تدور على الهامات كذلك الرديني وهو رمح منسوب لامرأة تسمى ردينة، كانت مشهورة بصنع الرماح فقد كثرت الرماح وهي تسقط لتهلك الاعداء وشبهها عنترة بالشهب، لتوقدها ولمعانها في ظلمة الليل.

فَخَلُّوا لَنَـا عُـوَذَ النِّسـاءِ وَجبَّبُـوا * عَبَادِيـدَ مِنهُـم مُستَقِيـمٌ وجَامـحُ

وَكُلَّ كَعُوبٍ خَدلَةِ السَّاقِ فَخمَةٍ * لَهَا مَنْبتٌ فِي آلِ ضَبَّة طَامِحُ

وبعد كل هذه المعارك وهذه المشاهد لم يعد لبني ضبة وتميم طاقة لحرب بني عبس، فجببوا أي: لاذ الرجال بالفرار والهرب وتركوا ورائهم عوذ النساء: أي النساء الضعيفات، وكانوا عباديد: أي هاربين منهم من هرب باستقامة واتزان، ومنهم من هرب في جموحٍ أي: في ذعرٍ وقلقٍ واضطراب، كما تركوا ورائهم كل كَعُوبٍ خَدلَةٍ الساق -وصف للنساء الغنيات- لها منصب وشأن في آل ضبة، وهربوا فيا لهم من رجال ليس لهم من الرجولة شئ.

تَرَكنَا ضَرَاراً بَينَ عَانٍ مُكبَّلٍ * وَبَينَ قَتيلٍ غَابَ عَنهُ النَّوَائحُ

وَعَمْراً وَحيَّاناً تَرَكْنَا بقَفْرَةٍ * تَعُودُهُمَا فِيهَا الضّبَاعُ الكَوَالِحُ

يَجَرِّرْنَ هَامَاً فَلَّقَتهَا رِماحُنَا * تُزيَّل مِنهُنَّ اللِحَى والمَسَايِحُ

وفي الختام يصف لنا عنترة نصر بني عبس على ضبة وتميم، فيقول أنهم تركوا ضَرَاراً بن عمرو الضبي، سيدهم وقبيلته ما بين عانٍ أي: أسيرٍ وقتيلٍ ليس له من يبكي عليه ويرثي له، وممن تركوا عمراً وحيَّاناً من بني ضبة، تركوهم بقفرةٍ أي: مكانٍ مهجورٍ لا حياة فيه، وليس هناك من يعودهم فيه إلا

الضباع والوحوش ليتغذوا على أجسادهم ويجروا رؤوساً قد حطمتها رماح بني عبس، ويزيلون منهم لحاهم والمسايح أي: مقدمة شعر رؤوسهم .

قافية الدال

*إذا جحد الجميل

*صحا فؤادي

*أعادي صرف دهر

*لأي حبيب؟

*إذا فاض دمعي

*فخر الرجال

إذا جحد الجميل

تُظهِرُ لنا هذه القصيدة جانباً كبيراً من شخصية عنترة فقد قالها بدافع الغيرة، ذلك أنه قد تواعد مع عمه مالك بن معاوية بن قراد على أن يخطب له ابنته عبلة، ولكنه أخلف وعده وخطبها لعمارة بن زياد العبسي .

إِذَا جَحَــدَ الجَمِيـلَ بَنُـو قِــرادٍ * وَجَـازَى بِالقَبِيــحِ بَنُــو زِيــادِ

فَهُمْ ساداتُ عَبْسٍ أيْنَ حَلُّــوا * كَمَـا زَعَمُــوا وُفَرْسَــانُ البِــلادِ

إن هذا الموقف من مالك بن معاوية عم عنترة وخُلفِهِ للوعد كان دافعا لأن يغضب عنترة، خاصةً أن هذه الحادثة حصلت بعد هجوم فرسان من بني طيئ على نساء عبس وما نجدهم إلا عنترة، أهكذا يكون رد الجميل من بني قراد؟ أهكذا يكون جزاء المعروف؟ عتابٌ يعاتبهم به عنترة، وبالرغم من جحود بني قراد العبسي والفعل القبيح الصادر من بني زياد العبسي بتجاوزهم عنترة وعدم وضع أي اعتبارٍ له ولاتفاقه مع عمه، إلا أنهم ما زالوا قوم عنترة وعشيرته ونسبه فما هم إلا ساداتٌ

في أي مكان حَلُّوا وفي أي مِصرٍ نزلوا، وهم فرسان لا يشق لهم غبار وهذه أصالةٌ من عنترة وكرم أصلٍ وطِيبُ نسب.

وَلا عَيْبٌ عَلَيَّ وَلَا مَلامٌ * إِذَا أَصلَحتُ حَالِي بِالفَسَادِ

فَإِنَّ النَارَ تَضرُمُ فِي جَمَادٍ * إِذَا مَا الصَّخرُ كَرَّ عَلَى الزِنَادِ

وَيُرْجَى الوصْلُ بَعدَ الهَجْرِ * حِينَاً كَمَا يُرجَى الدُنُوُّ مِنَ البِعَادِ

ولكن ليس لأنهم قوم عنترة ولأنهم أهله ونسبه يكون لهم الحق بإذلاله والتقليل من شأنه، وما داموا قد أخلفوا معه الاتفاق وخانوا معه العهد فليس على عنترة حرجٌ ولا ملام، إذا ما أصلح هذا الأمر وعالجه بفِعلٍ من شأنه الفساد فقد دفعوه لذلك، وكما أن الحديد وهو جماد لا يؤثر به شئ وبالرغم من ذلك إذا زادت عليه النيران تؤثر فيه فكذلك عنترة، لا تؤثر فيه الكلمات والسفاهات إلا إن زادت عن الحد، فتكون مَدعاةً لغضبِهِ وتستوجِبُ منه رداً قاسياً قد يكون سبباً في فسادٍ عظيم، وكما يقال " أعظم النيران من مستصغر الشرر " وبعد كل ذلك فلن ييأس عنترة من تحقيق أمنيته والوصول لرغبته والزواج من ابنة عمه، وكما أن البعيد يرجوا القرب من وجهته فإن الوصل

والود يُرجى بعد الهجر والقطيعة، ولعله بذلك يعني عودة المودة بينه وبين بني أعمامه من بني زياد.

حَلُمْتُ فَمَا عَرَفتُمْ حَقَّ حِلمِـــي * وَلَا ذَكَــرَتْ عَشيرَتُكُـــمْ وِدَادِي

سأَجْهلُ بَعدَ هَذا الحِلمِ حَتَّـــى * أُريقَ دَمَ الحَواضِـرِ والبَـوادِي

وَيَشكُوا السَيفُ مِنْ كَفِّي مَــلَالاً * وَيسـأمُ عَاتِقِـي حَمــلَ النِجَـادِ

من الحقائق المؤسفة أن غالب بني البشر لا يعرفون قيمة الشئ أي شئ إلا بعد فقده وهذا حال قوم عنترة، فقد كان كريماً معهم حليماً مُدافِعاً وذائِداً عن أعراضهم، فما عرفوا حقه ولا قدروه قدره وليتهم إذ أرادوا أن يخلفوا عهدهم معه ذكروا له ما كان منه من وُدٍّ تجاههم، ولكن لم يفعلوا فاستحقوا أن يَجهَلَ عليهِم عنترة بعد ما كان منه من تَحَلُّم، ويريق دم أي معترضٍ يعترِضُ طريقه من الحواضر والبوادي، سيظل كذلك حتى يشكوا سيفه من كثرة الضرب والتقتيل، وحتى يمل عاتقه أي: ذراعه من حمل النجاد أي: السيف، وكل ذلك كناية عن مدى وشدة غضب عنترة.

وَقَـد شَاهَدتُـمُ فِـي يَـومْ طيَّ * فِعَالِـــي بِالمُهَنَّـــدِةِ الحِـــدَادِ

رَدَدتُ الخَيْـلَ خَاليَـــةً حَيــارَى * وَسُقْتُ جِيادَهَا والسَّيفُ حـادِي

يشير عنترة إلى اليوم الذي هجم فيه فرسان طيئ على قبيلة بني عبس وكانوا في غفلةٍ من أمرهم وما نجدهم إلا عنترة، وكيف أنهم تشجعوا به وقاتلوا معه حتى ردوا هذا الهجوم وهرب فرسان طيئ، يذكرهم كيف قاتلهم بالمهندة الحداد أي: السيوف القاطعة وكيف أنه قاتل فرسان طيئ وأهلكهم، حتى رجعت خيولهم فارغة ليس لها من يقودها فقادها عنترة وأتى بها غنائِماً يسوقها وحده، والسيف حادي أي: مكان الرجل الذي يغني للإبل ويسمى الحادي.

وَلَـو أنّ السَنَـــانَ لَـــهُ لســـانُ * حَكَى كَـمْ شَـكَّ دِرْعـاً بالفُـؤَاد

وَكَم دَاعٍ دَعَا فِي الحَربِ بِاسمِي * وَنَادَانِي فَخُضتُ حَشا المُنَـادِي

ولكي يثبت عنترة لهم صدق قوله ويبين لهم مدى قوة قتاله وحربه، يقول لهم لو أن السنان أي: الرمح له لسانٌ ينطق به لحكى لكم كم من فارسٍ متدرعٍ أتى إليَّ ليقاتلني، فثقبت بسناني درعه حتى نفذ إلى قلبه، وكم من داعٍ أي: مُنادٍ دعاني في الحرب وناداني باسمي ليتحداني، فكنت كالأسد وهو الفريسة وخضت في حشاه أي: قتلته في مقتل.

لَقَـد عَادَيـتَ يَـا ابـنَ العَـمِّ لَيثَـاً * شُجَاعَـاً لَا يَمَـلُّ مِـنَ الطِّـرَادِ

يَـرُدُ جَوَابَـهُ قَـولاً وَفِعـلاً * بِبِيـضِ الهِنـدِ وَالسُّمـرِ الصِعِـادِ

والآن يوجه عنترة الخطاب لعمارة بن زياد العبسي ويبين له خطأ ما سعى إليه والهم الذي استجلبه لنفسه، ويقول له يا ابن العم أنت لم تعادي شخصا عادياً بل عاديت ليثا أي: أسداً شجاعاً قوياً، ومن صفات هذا الليث أنه لا يمل من الطراد أي: لا يسأم ولا يتعب من مطاردة فرائسه، فبئس الوضع يا عمارة الذي وضعت نفسك فيه، ومن صفات هذا الليث أيضاً أنه لا يسكت عن إساءةٍ في حقه ولكن يرد على من يسيئ إليه بالقول وهو الشعر، وبالفعل ببيض الهند أي: السيوف البيضاء والسمر الصعاد أي: الرماح العالية.

فَكُن يَاعَمرو مِنـهُ عَلَـى حَـذَارٍ * وَلَا تَمـلأْ جُفُونَـكَ بِالرُّقـادِ

وَلَـوَلَا سَيـدٌ فِينَـا مُطَـاعٌ * عَظِيـمُ القَـدرِ مُرتَفِـعُ العِمِـادِ

أَقَمـتُ الحَقَّ فِـي الهِنـدِيَّ رَغمَـاً * وَأظهَرْتُ الضَّـلال مـنَ الرَّشـاد

ثم يوجه عنترة خطابه لعمرو بن مالك شقيق عبلة ويحذره مما يفعله وكي لا يناله غضب عنترة وكي لا يملأ جفونه بالرقاد،

وذلك كنايةً عن الموت ذلك أن عمراً كان يريد عمارة لعبلة بأي شكلٍ كي لا تتزوج من عنترة، حتى لا يُعَيَّرَهُ الناس هو ووالده بزواج عبلة من عنترة ويقولون تزوجت من عبدٍ أسود، ومن ثم نجد من عنترة حكمة في القول ورجوعاً إلى الصواب وإكباراً للكبير، فهو يقول أني أسكت الآن إكراماً لسيدٍ فينا مُطاع، ولعله يقصد الأمير زُهير بن جُزيمة سيد بني عبس، وإلا فإن عنترة قادرٌ على أن يقيم الحق بسيفه رغماً عن أي أحد، ويظهر بسيفه رشاد القول والفعل من ضلاله.

صحا فؤادي

قال عنترة هذه القصيدة في إغارته على قبيلتي كندة وخثعم، وهي قصيدة بَثَّ فيها عنترة بعضاً من همومه التي تزعجه وتقلق راحته.

صحا مِنْ بعْدِ سكرتـه فـؤَادي * وعـاود مقْلتـي طِيـبُ الرُّقـاد

وأصبـح مـن يعاندنـي ذليـــلا * كَثيـرَ الهَـمّ لا يَفْدِيــهِ فـــادي

يرى في نومهِ فتكـات سيفـــي * فَيَشْكُو مـا يَـرَاهُ إلـى الوِسـادِ

(صحا من بعد سكرته فؤادي) من سياق الكلام نفهم أن سكرة قلب عنترة هذه المرة، ليست بسبب الأحوال التي تعتري العشاق ولكنه سُكرٌ من كثرةِ الهموم التي تُضَيِّقُ على عنترة أنفاسه، وتحرمه طيب الرقاد أي: النوم المريح الهادئ، ولكن في هذه المعركة قد وجد عنترة متنفساً لغضبه وتفريجاً لهمه وطيباً لنفسه بالإنتصار على أعداءه من قبيلة كندة وقبيلة خثعم، ولذلك فقد عاود الرقاد الطيب مقلة عنترة والآن يعود عنترة لدأبه من

الافتخار فيقول: أن كل من يعانده ويحاربه ليس له مصير إلا المذلة التي تصاحبه ولا تفارقه حتى مماته، وبسبب هذه العداوة مع عنترة وهذه المزلة التي استجلبها لنفسه صار كثير الهموم والأحزان يتمنى لو يفتدي راحة باله بكل ما يملك، ولكن لا فادي له بل يكون عُرضةً للهموم حتى في منامه -إن كان يستطيع النوم- فهو لا يرى إلا فتكات سيف عنترة، أي: ضرباته المهلكة المميتة فيستيقِظُ فَزِعَاً ولا يجد من يشكوا إليه همه، إلا الوساد أي: ما يتخذه المرء تحت رأسه لينام عليه.

ألا يــاعبـل قـد عاينـتِ فعلـــي * وبانَ لكِ الضلالُ من الرَّشـاد

وإنْ أبْصَرْتِ مِثْلِي فاهْجُرينــي * ولا يَلْحَقْكِ عـارٌ مِـنْ سَـوادي

وإلاَّ فاذكري طَعنــي وَضَربــي * إذا ما لَـجّ قَوْمُـك فــي بِعـادي

يبدو أن عبلة قد زادت عليها الأحمال وكثر على أسماعها القيل والقال في حقها وحق عنترة، وقد زاد الضغط عليها ممن حولها لتتركه وتطوي صفحته وتنظر إلى غيره، فأحب عنترة أن يذكرها بما كان بينهما من ميثاق المحبة، وأن يبدد الشكوك التي تثار من حوله وحولها فيقول لها يا عبلة: أنتِ سمعتِ عني كذا وكذا وقد رأيتي حقيقة أفعالي وأقوالي، فلا يؤثر فيكِ قول قائلٍ

لأنه قد اتضح وبان عندك الضلال من القول والفعل من الرشاد، ومن ثم يوجه لها تحدياً ويقول لها: يا عبلة إن كنتِ تشعرين بالعار من سواد جلدي فدونَكِ القوم، إن رأيتِ أو سمعتِ عن رجُلٍ مثلي فأنتِ في حِلٍّ من عهودكِ معي، وفي حِلٍّ مما كان بيننا من محبة ولا يكون عليكِ أيُّ عارٍ منِّي ومن سوادِ جلدي، أما إن كنتِ باقيةً على العهد وعلى المحبة فتذكري حروبي ومعاركي إذا ما بالغ قومُكِ في التقليل من شأني، وفي التجنب والابتعاد عني.

طَرَقْتُ ديار كِنْدَةَ وهي تدْوي * دويَّ الرعدِ منْ ركضِ الجياد

وبَدَّدْتُ الفَوارِسَ في رُباها * بطعنٍ مثلِ أفواه المزادِ

ينتقل عنترة ليخبرنا ويقص علينا أحوال هذه الحرب والأحداث التي دارات فيها فيقول: أنهم اقتحموا ديار قبيلة كندة وهجموا عليهم وهم في عقر دارهم، فكانت هذه الديار في حال ذُعرٍ وقلق وتعالت أصوات خيول الفرسان من بني عبس، فكانت مثل دوي الرعد في شدتها تثير الرعب في قلوب أعدائهم، ويُجمِلُ لنا عنترة دورَهُ في هذه الحرب فيقول: أنهُ بدَّدَ فوارس الأعداء أي: أهلكهم وقضى عليهم وهم في أماكنهم يستعدون للقتال، وانهال

عليهم بطعناتٍ مثل أفواه المزاد أي: أفواه الأوعية التي تُتَّخَذُ لوضع الزاد من طعام وشراب، وذلك كناية عن مدى اتساع هذه الطعنات وكيف أن الإصابة بها قاتلة لا نجاة منها ولا شفاء.

وَخَثْعَمُ قد صَبَحْناها صَباحاً * بُكُوراً قَبْلَ ما نادى المُنادي

غدوا لما رأوا من حد سيفي * نذير الموت في الأرواحِ حاد

وعُدْنا بالنّهابِ وبالسَّرايا* وبالأَسرَى تُكَبَّلُ بالصَّفاد

وبعد أن قضوا على فرسان كندة ذهبوا إلى ديار قبيلة خثعم واتخذوا معهم نفس الأسلوب، فقد هاجموهم وهم في عقر دارهم وبعد أن كان من المفترض أن يصطبح الرجل من خثعم على أشعة الشمس، اصطبحوا على أصوات الخيول وقعقعة الفرسان من بني عبس، ويقول عنترة صبحناهم بالحرب حتى من قَبلِ أن ينادي مناديهم ليستعدوا لقتال بني عبس، ويبدوا أن هذه المعركة لم تدم طويلاً فقد أُخِذوا على حين غفلةٍ من أمرهم، فكان الفزع عاملاً كبيراً في هزيمتهم، وكيف لا يفزعون! وقد رأوا حد سيف عنترة وهو يهوي يميناً وَشِمالاً، فيهلك من يصيبه كأن على حد سيف عنترة نذيرٌ للموت، يحدوا الأرواح أي: يسوقها إلى مستقرها، ويقول عنترة مخاطبا عبلة أن بعد

كل هذه المعارك قد عدنا ظافرين منتصرين، ومحملين بالغنائم والأسلاب، ومعنا الأسرى من كندة وخثعم مكبلين في الأصفاد.

أُعادي صرف دهر

من القصائد الرائعة التي قالها عنترة بغرض الفخر والتي تشعل النفس حماساً، وتلقي فيها ألوان الكرامة والترفع عن الدنايا.

أُعادي صَرْفَ دَهْرٍ لا يُعادى * وأحتمــلُ القطيعـــة والبعـــادا

وأظهرُ نُصْحَ قَوْمٍ ضَيَّعُونــي * وإنْ خـانَــت قُلُوبُهُــمُ الــودَادا

ليست الحياة سهلة ولينة كما يتصور الكثير وليست الأيام آمنةً مطمئنةً دائماً، فتغير الأحوال سنةٌ من سنن الكون ولابد من تذوق قسوة الحياة والمعاناة من مصائب الأيام، فلا بد من الصبر والهمة في مواجهة هذه الصعوبات كما فعل عنترة، فها هو يتحدث مفتخراً بنفسه ومعتدا بذاته فيقول: أنه لا يعبأ ولا يهتم بصروف الدهر أي: مصائبه، لأنه رجل نفسه مشبعة بالبطولة وهذه النفس تحثه دائماً على مواجهة الصعاب والتغلب عليها، ومن مظاهر احتماله أنه يصبر على القطيعة والبعاد وهما أمران شاقان على كثير من الناس، ومن ثَمَّ يعلمنا عنترة خُلُقاً كريماً من أخلاق العرب والتي أقرها الإسلام ألا وهو حب

الأهل والوطن، حتى وإن لاقيت منهم الأذى فها هو يقول: أنني بالرغم من أذى قومي لي وعدم حفظ المودة تجاهي، فإني لا أتردد أبداً في فعل الخير لهم والنصح لهم في المصائب والملمات، فلله دره عنترة.

أعلـلُ بالمنـــى قلبـــا عليـــلا * وبالصبـــر الجميـــلِ وان تمـــادى

تُعيّرنـــي العِدى بِسـوادِ جلْـدي * وبيض خصائلي تمحـو السَّـوادا

ومن تكون حاله كحال عنترة الذي ألزم نفسه بكل هذه المكارم وهذه الأخلاق، لابد أن يتعب قلبه من حينٍ لآخر لأننا بشر ولنا قدرٌ معين نتحمله، فما كان من عنترة حين يحزن قلبه إلا أن يرضيه بتذكر المُنَى أي: ما يرغب فيه عنترة ويتمناه، ويسعى لتحقيقه وأن يقنعه بالصبر الجميل أي: الصبر الذي يكون بلا شكوى، حتى وإن تمادى هذا الصبر أي: طال وكثر، ومن ثَمَّ يعيب عنترة على أعداءه ومن يفعل فعلهم أنهم يعيرونه دائماً بسواد جلده، وأنه مهما فعل وقال فسواد جلده عيبٌ كافٍ لتجاهله وتقليل شأنه، فيقول لهم إنه وإن كان لون جلده أسوداً فإن بِيضَ أفعاله وكرم أخلاقه كافيان لأن يمحوا هذا السواد،

وفي هذا البيت لون جميل من ألوان البلاغة يسمى الطباق، وقد جاء في قوله (سواد جلدي ، بيض خصائلي).

سلي يا عبلَ قومك عنْ فعالـي * ومَـنْ حضَـرَ الوقيعَـةَ والطّـرادا

وردتُ الحربَ والأبطالُ حولي * تَهُــزُّ أكُفُّهــا السُّمْــرَ الصّعــادا

من عادة شعراء الجاهلية أن يجردوا من أنفسهم شخص أو اثنين يكون معه الحوار أثناء القصيدة، أما عنترة فلا يكون هذا الشخص عندَهُ أحدٌ غَيرُ عبلة، ويتحدث معها ليرد على ناقصي العقل قاصري النظر الذين يقللون من شأنه رغم أفعاله وأخلاقه فقط لأن لون جلده أسود، فيقول لها اسألي يا عبلة هؤلاء القوم عني في أوقات الحروب والأزمات كيف كنتُ وكيف كانوا، أخبريهم كيف أني وردت الحرب أي: دخلت فيها بين الفرسان والأبطال وصليل السيوف وصهيل الخيل، أخبريهم كيف دخلت في وسط ذلك والأبطال والفرسان تهز أياديهم السمر الصِعادا أي: السوف والرماح، وقد جعل عنترة في هذا التصوير للسيف والرمح روحاً وإرادةً خاصة وجعله هو من يهز كف صاحبه كأنه هو من يرغب في الحرب والقتال، وكل ذلك كناية عن شدة الحرب وما يحدث فيها،

وخُضْتُ بمهْجتي بحْرَ المَنـايا * ونـــارُ الحـــربِ تتقــدُ اتقــادا

وعدتُّ مخضبـاً بـدَم الأعـادي * وكَربُ الرَّكض قد خضَبَ الجودا

وكــمْ خلفــتُ مــنْ بكــرٍ رداحٍ * بصَـوْتِ نُواحِهـا تُشْجـي الفُـؤَادا

أخبري يا عبلة هؤلاء القوم وقولي لهم كيف أنني اقتحمت ميدان الحرب وهي بحر المنايا: من شدة ما يحصل فيها، من قتلٍ وسفكٍ للدماء أَصولُ وأَجولُ بين الفرسان ونار الحرب تشتعل وتزداد، وأنا في كل ذلك ثابتٌ وراسخٌ كالجبل لا أهتز أقاتل هذا وأجندل ذاك، وبعد كل ذلك عُدتُ من هذه الحرب منتصراً ومخضباً بدم الأعادي: والتخضيب عادة يكون بالحناء في الأفراح والأعراس، إلا أن عنترة هنا تخضب بالدم أما أعداؤه فتخضبوا بالخوف والكرب الذي تملكهم من هول هذه المعركة، وتخضبت خيولهم بِهَمِّ الركض أي الهرب والفرار، ألا يتذكر هؤلاء القوم أفعالي وأمجادي في الحرب؟ ألا يذكرون حربنا مع بني بكر كم قاتلت فيها وأهلكت الفرسان والأبطال، حتى تركت ورائهم الرداح أي: النساء الذين ينوحون على موتاهم من شدة حزنها على فقيدها؟ يشجي صوت نواحها الفؤادا.

وسَيفي مُرْهَفُ الحدَّينِ مـاضٍ * تَقُـدُّ شِفـارُهُ الصَّخْــرَ الجَمــادا

ورُمحي مـا طعنْـتُ بـه طَعينـاً * فعـــادَ بعينيـــهِ نظـــرَ الرشــادا

ولولا صارمي وسنانُ رمحي * لمـــا رَفَعَـتْ بنُـو عَبْـسٍ عمــادا

ومن ثم يمدح عنترة سيفه ورمحه اللذان يحارب بهما حيث إنهما قطعةٌ من نفسه وروحه، ومدحُهُم من مدحِهِ وذمهُمُ من ذمِهِ، أما سيفه فيصفه بأنه مرهف الحدين أي: رقيق الحدين كناية عن مدى حدته التي هي ماضية ونافذة في أي شئ، ذلك السيف الذي من صفاته أن شفاره أي: أطرافه تَقُدُّ الصخر الجماد أي: تقطعها بدون أي صعوبة، فيا له من سيفٍ سيفُ عنترة وأما رمحه فهو الذي يكون على أطرافه ملك الموت حاضرٌ ليقبض روح كل من يُطعَنُ به، فيقول عنترة أن هذا الرمح ما طعن به أحداً قط وسلم منه بل يذهب نور عينيه، فلا يميز بين الضلال والرشاد ويتيه في ظلمة الموت، وأخيراً يقول عنترة موجهاً خطابه لسفهاء بني عبس، أنه لولاً صارم عنترة أي: سيفه البتار ولولا سنان رمحه هذين العزيزن اللذين يقاتل بهما منافحاً عن هؤلاء القوم، ما كانت لتقوم لهم قائمة وما كان لهم من مجدٍ وعزٍ يتفاخرون به، وقد صدق عنترة فلولا وجوده

في هذه الفترة الزمنية من تاريخ بني عب، لهلكوا نتيجة التعرض للغزو، ولو بقوا لم يكن لهم ذكرٌ وتاريخٌ مثل ذكرهم وتاريخهم الذي هو بيننا اليوم.

لأي حبيب

لأَيِّ حَبيبٍ يَحْسُنُ الرَّأْيُ والوُدُّ * وأكثرُ هذا الناسِ ليس لهم عهدُ

أريدُ منَ الأَيَّامِ ما لا يَضُرُّها * فهل دافعٌ عنيَّ نوائِبَهَا الجَهدُ

وَمَا هَذهِ الدنيا لَنا بمُطيعةٍ * وليسَ لخلقٍ من مُدَارَاتِهَا بُدُ

تَكونُ المَوالِيَ والعبيدُ لعاجزٍ * ويَخدُمُ فيها نفسهُ البطلُ الفردُ

حوار مع الذات وتأمل في الواقع وفي السنين والأيام، يخاطب عنترة نفسه ويناقشها وهو عاتبٌ على الأيام، فيقول من هو الحبيب والرفيق الذي يَحسُنُ بالمرءِ أن يُكِنَّ له المودة وينصح له بالرأي والخير، وكيف لي أن أجد مثل هذا الحبيب بين هؤلاء الناس الذين ليس لأكثرهم عهدٌ ولا أمان، ولا خلق يردعهم عن كل مذمة ويحثهم على كل فضيلة، وما بالها هذه الأيام التي لا أجد من يدفع عني مصائبها وويلاتها وكل ما أريده منها هو مجدٌ وكرمٌ لا يُضيرُهَا في شئ، ثم لا عجب في ذلك فما هذه الدنيا إلا متمردةٌ عتية تُذل من يحيا فيها وتغر من كان فيها ضعيف عقلٍ قاصر نظر وتهلكه، فهل يعقل بعد ذلك أن تكون مطيعةً لما

أرجوا وأبتغي كيف ذلك وهذه الدنيا ليس لمخلوقٍ يعيش فيها أن يصل لكل ما يتمنى، وليس هنالك من سبيلٍ غير مداراتها أي: تجنبها، ويصف لنا عنترة بعضاً من أحوال من يعيش فيها فمن ضمن هذه الأحوال أن خير الدنيا ونعيمها يكون لعاجز، وليس المقصود بالعجز هو عجز الجسد ولكن عجز الهمة وقلة المروءة وضياع الكرامة، أما خيار الناس وأكارمهم شرفاً وخُلُقاً ليس لهم من يخدمهم إلا أنفسهم.

وَكُـلُ قَريـبٍ لِـي بَعِيـدُ مَـوَدةٍ * وَكُـلُ صَدِيـقٍ بَيـنَ أَضلُعِـهِ حِقـدُ

فِللـهَ قَلـبٌ لَا يَبُـلُ غَلِيلَـهُ * وِصالٌ ولا يُلْهِيـهِ مـن حَلّـهِ عَقْـدُ

ويصف عنترة بعض أحوال الأيام معه فمن هذه الأحوال أن كل من هو بقرب عنترة بعيدٌ عنه في المودة والصدق، وكل من حوله ممن يدعي أنه صديقه لا يُكِنُّ له في صدره إلا الحقد والكره، ومن ثَمَّ يمدح عنترة نوعاً من القلوب هذا النوع يتسم صاحبه بأنه قوي، لا يحركه الوصال والمودة ويفرح بها كثيراً كما أنه لا يكون هائماً حزيناً إذا انتهى هذا الوصال ولو لمدة طويلة من الزمان، فهو قلبٌ معتدل.

يكلّفنـي أن أطْلُـبَ العِـزّ بـالقنـا * وأيْنَ العُلا إنْ لـم يُسَاعِدنـيَ الجـدُّ

أُحِبُّ كما يَهْواهُ رُمحي وَصارمي * وَسابغـةٌ زغْـفٌ وسابغــةٌ نَهْـدُ

فيالكَ مـنْ قلـبٍ توقدَ فـي الحشـا * ويـالـكَ مـنْ دمـعٍ غزيـرٍ لـه مـدُّ

وقلب عنترة ليس مثل باقي القلوب فهو قلبٌ يمتلئ قوةً وحماساً، ويصفه عنترة بأنه يكلفه أي: يدفعه على سبيل الإلزام بأن يطلب العز وأن يسلك مسالكه بقوة السيف وبلا تراجع، ولكن يرد عليه عنترة ويقول: كيف لي بلوغ هذا العز إذا لم يساعدني الجد أي: الحظ، وإذا ما كان الحظ في جانبي فليس أَحَبَّ إليَّ من الجهاد برمحي وسيفي، وسابغةٍ زغفٍ أي: درع فيها سلاسل ذات منظرٍ حسنٍ جميل، وسابغة نهدٍ أي: درعٌ لها نتوءٌ تزيدها جمالاً وقوةً، ومن ثَمَّ يقارن عنترة بين حال قلبه وما يكلفه به وما يتمناه وبين العوائق والحواجز التي تحول بينه وبين كل ذلك، فيمدح قلبه ويقول يا لك من قلبٍ من قوتك تضيئ داخلي مثل النيران وتشعلني حماساً، ويا له من دمعٍ غزيرٍ لا ينقطع، وهذا الدمع الذي يتعجب منه عنترة ما هو إلا نتاج بعض اليأس والأسى على النفس الذي يصيب الإنسان عند تراكم الهموم، وهنا يظهر معدن كل إنسان فالقَوِيُّ هو من لا يبقى في هذه الحال ويستجمع قوته ويلم شتات نفسه.

وإنْ تُظهِـرُ الأيــامُ كُـلَّ عظيمــةٍ * فلـي بين أضلاعـي لهــا أسـدٌ وردُ

إذا كان لا يمضي الحسامُ بنفسـهِ * فللضــاربِ الماضــي بقائمــهِ حــدُ

وحَوْلـي مـنْ دُونِ الأَنـامِ عِصابـةٌ * تَوَدُدُهَـا يَخفَـي وَأَضغَانُهُـا تبــدو

وهنا يظهر معدن عنترة الذي يميزه عن باقي فرسان العرب، فبالرغم من تكاتل الهموم على نفسه وشكايته منها، إلا أنه استجمع نفسه وأشعل همته فها هو يقول: إذا كانت هذه الأيام تنوي أن تظهر لي كل همٍّ عظيمٍ وبلاءٍ شديد، فقد أعددت لها بين أضلاعي أَسَدٌ وَردٌ -والورد اسم من أسماء الأسد عند العرب- ويعني بهذا الأسد قوة قلبه، ومن ثم يستمر عنترة في سرد الحِكَم التي ترفع من الهمم ويقول: إذا كان الحسام أي: السيف لا يستطيع أن يقطع ويضرب بنفسه، فإن الذي يمسك هذا الحسام يستطيع بقوته وقائِمِهِ أي: ذراعِهِ أن ينهي هذا الأمر، ولَعَلَّ عنترة يقصد بهذا البيت أن القوة والشجاعة لا تكفي للفارس، فما هذه الصفات إلا مثل السيف القوي ولكن ما قوة السيف بدون سياف؟ فالسياف هنا هو الحكمة ووضع الأمور في نصابها، فمن كان قوياً دون عقلٍ أو تخطيطٍ كان من السهل أن يُغلَب وينتهي أمره، ومما يؤيد هذا الرأي قَولُ عنترة في البيت

التالي: أنه يصف من حوله من الناس، فهم إما بعضٌ من قومه يحقدون عليه أو أعداءٌ قد تسبب عنترة بالأذى لهم، فهم أيضاً يحقدون عليه ويكيدون له، فليس أمام عنترة إلا أن يستعمل حكمته بجانب قوته لكي يتغلب على كل هؤلاء الذين وصفهم بأن الود عندهم يخفى، ولا يظهر منهم إلا الحقد والكراهية.

يَسُرُّ الفتى دهْرٌ وقد كانَ ساءَهُ * وتَخْدُمُهُ الأَيَّامُ وهو لها عَبْدُ

ولا مالَ إلاّ ما أَفادكَ نَيْلُهُ * ثناءٌ ولا مالٌ لمنْ لا له مجدُ

ولا عاشَ إلا منْ يصاحبُ فتيةً * غَطاريفَ لا يَعْنيهمُ النَّحْسُ والسَّعد

إذا طُلِبُوا إِلَى الغزو شمروا * وإن نُدِبُوا يوْماً إلى غَارَةٍ جَدّوا

ويواصل عنترة حديثه عن حال الزمان وتقلب الأحوال والأيام، فمن هذه التقلبات أنه قد يسوئك من الزمان أحوالٌ تجعلك تكرهه، ولكنه نفس الزمان الذي تُسرُّ منه وتحبهُ لأحوالٍ أخرى قد أصابتك منه، فتعتقد أن الأيام في أفضل أحوالها تخدمك وما أنت إلا عبدٌ لهذه الأيام تقلبك كيف تشاء، ثم يوضح لنا عنترة حقيقةً هامة وهي أنه لا جدوى من جمع المال والتكالب عليه وأن يتفاخر الإنسان بما لديه من ثروة، طالما لم يفده ماله ذكراً

طيباً بين الناس ولم يورثه مجداً، والمال لا يورث المجد ولا يجعل للمرء ذكراً طيباً بين الناس إلا إذا استخدمه صاحبه في وجوه الخير للمجتمع والناس وغير ذلك فلا، ثم يتكلم عنترة عن حقيقةٍ أخرى وهي الصحبة الطيبة، فيقول أنه ما عاش أحد إلا من عاشر وصاحب أناساً غطاريفاً أي: ذوي مظهرٍ حسنٍ وأخلاقٍ حسنة، من صفات هؤلاء الكرام أنهم لا تلعب بهم الأيام فلا يعنيهم النحس والسعادة، بل يواجهون النحس ويطردونه ويستجلبون السعادة لهم ولغيرهم، وما ذلك إلا لعلو همتهم وطيب عنصرهم، ومن صفاتهم أيضاً أنهم ذوي شهامةٍ ومروءةٍ إذا ما احتاج الناس إليهم من أجل غزوةٍ شمروا أذرعهم واستعدوا، وإذا طُلِبُوا لغارةٍ لبُّوا هذا الطلب وهذا النداء وجَدُّوا واجتهدوا فلله درها من صحبةٍ ولله درهم من كرام.

ألاليت شعري هل تبلغني المُنَى * وَتَلقَى بِيَ الأعداءَ سابحةٌ تعدو

جوادٌ اذا شقَّ المحافلَ صدرهُ * يَرُوحُ إلى ظُعْنِ القَبائلِ أو يغْدو

خفيت على إثر الطريدةِ في الفلا * إذا هاجَتِ الرَّمْضاءُ واختَلَفَ الطِّرْدُ

(ألا ليت شعري) هو قسمٌ اعتاد الجاهليون استخدامه في قصائدهم وتبعهم في ذلك كل من جاء بعدهم، ويخاطب عنترة

نفسه مؤمِّلاً ويقول: هل سأنال من هذه الأيام ما أريد وأبتغي، وهل ستوصلني المُنَى أي: الأماني لغايتي وتقاتل معي الأعداء سابحةً تعدو، وهذا وصفٌ للخيل الراكضة في ميدان الحرب، فمن سرعتها صارت كأنها تسبح في مياه، وهذا تعبيرٌ غايةٌ في الدقة من عنترة وتشبيهٌ بالغ الأثر، حيث أنه جعل أمانيه شخصاً متمثلاً يقاتل معه أعدائه بخفةٍ وسرعةٍ كالخيل في ميدان الحرب، وكل ذلك كناية عن قوة رغبته وتمسكه بها، وينتقل عنترة إلى وصف نفسه بأنه في إقدامه وعدم تراجعه مثل الجواد الذي يشق المحافل أي: أماكن التجمع، يشقها بصدره غيرمبالٍ يروح إلى ظعن القبائل أي: أنعامها ومواشيها والمقصود هنا هو الغزو، ولا يرجع هذا الجواد إلا منتصراً غانماً ويمدح نفسه تارةً أخرى بمهارته في الصيد، فيقول أنه دقيقٌ في تتبع أثر الطريدة التي ينوى صيدها، وقد أستطاع أن يخفي نفسه فلا يشعر به أحدٌ بالرغم من أن الرمضاء هائجة، أي: الرياح المحملة بالتراب والطرائدٌ كثيرة ويختلط بعضها ببعض، ولكن عنترة لم يخطئ فريسته ولم تغب عن ناظريه.

وَيَصْحُبني من آلِ عَبْسٍ عِصابـةٌ * لهـا شـرفٌ بيـن القبائـل يمتـد

بَهاليلُ مثلُ الأُسدِ في كـلِّ مَوْطِـنٍ * كأنَّ دمَ الأعـداءِ فـي فمهـمْ شهـدُ

وفي الختام يمدح عنترة القلة التي تناصره من بني عبس ويتفاخر بهم ويقول: أنه يصحبه من بني عبس في غزواته ورحلات صيده رجال بهاليل، والبُهلول: هو السيد الكريم ذو الخُلُقِ من الناس، وهم أصحاب عنترة الذين من بسالتهم وشجاعتهم في المعارك كالأسود الضواري، يسفكون دم الأعداء دون تردّدٍ كأن هذا الدمَ عبارةٌ عن عسلٍ يتسارعون لنيله.

إذا فاض دمعي

من القصائد الحماسية التي عودنا عليها عنترة وهي مزيجٌ بين العتاب والفخر والإكتفاء بالذات والإعتداد بالنفس والاعتماد عليها.

إذا فاضَ دمعي واستهلّ على خدِّي * وجاذبني شوقي إلى العلمِ السّعدي

أُذَكّرُ قومي ظُلمَهُم لي وَبغيَهُم * وقلةَ إنصافي على القُربِ والبُعدِ

بَنَيْتُ لهمْ بالسَّيفِ مجْداً مُشيّداً * فلّما تَنَاهَى مجدَهُمْ هَدَّمُوا مجدي

يعيبونَ لوني بالسواد وإنما * فِعَالُهُم بالخُبثِ أسودُ من جلدي

في مطلع القصيدة يرثي عنترة نفسه ويشكوا حاله مع قومه، وقد بلغ به الحزن والأسى مبلغاً جعل دمعه غزيراً ينزل على خديه بالرغم من قوة عنترة وصلابته، وهذا إن دل فإنما يدل على مدى الألم الدفين في نفس عنترة، وفي لحظات الأسى هذه يتخلل لنفس عنترة شعور بالحنين للعلم السعدي، والعلم هو اسم للجبل والمراد هنا جبل لبني سعد، ولعل عنترة كان يلتقي بعبلة

هناك فحنت نفسه لهذا المكان، وبعد أن استجاب عنترة لمشاعره وأطلق لها العنان ليهون عن نفسه بعض ما هي فيه، يعود لصلابته ولرباطة جأشه ويعاتب قومه لَعَلَّهُ أن يحرك فيهم ساكناً وأن يَلمِسَ كَلَامُهُ ضَمَائِرَهُم، ويذكر قومه بما كان منه من جهادٍ وقتالٍ واستماتةٍ في الدفاع عن شرفهم وحماية أعراضهم، والسعي لمجده ومجدهم وما كان منهم إلا أن ظلموه وبخسوه حقه وقدره، واحتقروه وقللوا من شأنه وقيمته فيقول عنترة: كان منهم كل ذلك، وقد تناسوا أني بنيت لهم بسيفي ورمحي مجداً وعزاً بين العرب يتفاخرون به، فما كان منهم إلا أن نسبوه لأنفسهم وهدموا مجدي، وهنا لون لطيف من ألوان علم البديع يسمى الطباق في قوله (بنيت لهم ، وهَدَّمُوا)، ولم يكتفِ هؤلاء القوم بذلك بل قاموا بازدراء عنترة وتعييره بلون جلده أنه أسود، والحق أن قبح أفعالهم وسوء أخلاقهم وفساد عنصرهم أشد سواداً من لون عنترة، فبأي وجهٍ يتفاخر هؤلاء القوم وبأي وجه يتكلمون.

فواذُلّ جيراني إذا غِبتُ عنهُمُ * وطالَ المدَى ماذا يُلاقونَ من بَعدي

أَتحْسبُ قَيْسٌ أنَّني بعد طردِهِمْ * أخافُ الأعادي أو أُذَلُ من الطَّردِ

وكيفَ يَحِلُّ الذُلّ قلبـــي وصــارمــي * إذا اهتز قَلْبُ الضَّدِّ يخْفِقُ كالرَّعْد

ويضع عنترة أمام أعين هؤلاء القوم، أمراً لا شك فيه ولا جدال، وهو أنه لولا وجود عنترة بينهم، ودفاعه عنهم، وخشية العرب منه ومن بطشه، لما قامت لبني عبس قائمة، ولا كانوا بمثل هذا العز، وهذا المجد، الذي نالوه بوجود عنترة بين أظهرهم، فيا ذلهم لو تخلى عنهم، وهجرهم، وولى بلا رجعة، ثم يرد عنترة على ظن قبيلته، منادياً لهم بقيس، وهو قيس بن نزار بن معد بن عدنان، وهو الذي ينحدر من نسله بني عبس، فيقول لهم أتظنون يا بني قيس، أنكم بعد طردي قد أخاف من الأعادي، أو تَفتُرُ همتي وأشعر بالإهانة والذل؟ إنكم واهمون، كيف للذل والهوان أن يعرف الطريق إلى قلبي؟ وأنا الذي من قوتي، لو هززت صارمي أي: سيفي، يهتز قلب من يقف ضدي خوفاً، ويضطرب مثل الرعد.

متى سُلّ فــي كفِّــي بيــوم كَريهَــةٍ * فلا فَرْقَ مـا بيْنَ المشايـخ والمُرْدِ

ومـا الفخـرُ إلاّ أنْ تكـونَ عُمَامَتِــي * مُكَوّرةَ الأطرافِ بالصّـارمِ الهنـدي

ويواصل عنترة وصف قوته وأدائه في الحرب فيقول: إن سيفي ذاك الذي قمت بِسَلِّهِ من غمده بيدي، وقاتلت به في يوم كريهةٍ

أي: يوم حربٍ فأنا أقاتل وأجندل كل عدو أمامي، لا فرق عندي بين شيخٍ عجوزٍ وبين شابٍ أمرد، والأمرد هو: الشاب الذي نبت شاربه ولم تنبت لحيته بعد، ثم يقول عنترة: وما فخر الفارس في الحرب والقتال إلا أن تكون عمامته مكورة أي: مستديرة الأطراف، وذلك كناية عن الثبات والعزة أثناء القتال، ولا تكون العمامة هكذا إلا بالصارم الهندي أي: السيوف المصنوعة في الهند لأنها كانت أجود السيوف آنذاك، وكل ذلك كناية عن القوة والبسالة في الحروب والمعارك.

نديمَيَّ إمّا غِبتُمُا بَعدَ سَكرةٍ * فلا تَذكُرَا أطلالَ سلمى ولاهندِ

ولا تَذْكُرا لي غَيرَ خَيلٍ مُغَبَّرَةٍ * ونَقعْ غُبارٍ حَالِك اللّونِ مُسوَدِّ

فإنّ غُبارَ الصّافِناتِ إذا عَلا * نَشَقتُ لَهُ ريحاً أَلَذَّ منَ النّدّ

وفي مشهد خيالي يصفه لنا عنترة يجرد من نفسه صديقين يسكران معه، فيوصيهما بحرصٍ إن غابا عن الوعي واستغرقا في السكر فلا يفعلا مثل باقي الشعراء، فيحنوا للمحبوب ويذكروا الأطلال أي: منازل الأحباب مثل سلمى وهند، -وهما اسمان كَثُرا في شعر البكاء على الأطلال عند العرب- لا تذكروا ذلك، ولكن اذكروا في مجلسي أيام الحروب والمعارك وغبار

الخيل الراكضة هنا وهناك والغبار المتصاعد نتيجة الحركة المستمرة في الحرب، ذلك الغبار الذي هو لونه أسود حالك السواد وكل ذلك كنايةً عن شدة الحرب وما يتعلق بها، فعنترة فارسٌ لا تروق له مجالس البكاء على الاطلال ولكن يروقه ذكر الحروب والطعان، ويصف لنا عنترة السرور الذي يتملكه ساعة المعركة، فيقول: أن الغبار المتصاعد في أرض المعركة الذي تثيره الصافنات أي: جياد الخيل لهو أحب إلى نفسي وأدعى لسروري، وإن رائحة هذا الغبار المتصاعد ألذ عندي وأطيب من النَدِّ والنَدُّ هو: مزيجٌ بين المسك والكافور.

ورَيحَانَتِي رُمحِي وكاساتُ مَجلِسِي * جَمَاجِمُ سَادَاتٍ حِراصٍ على المجدِ

ولي منْ حُسامي كلّ يوْمٍ على الثَرَى * نقوشُ دمٍ تُغنِي النَّدامى عن الوردِ

وليْسَ يَعيبُ السَّيفَ إخلاقُ غِمْدِه * إذا كانَ في يوم الوغى قاطع الحدّ

ويُظهِرُ لنا عنترة المزيد من ألوان الفخر عنده فها هو يقول أن ريحانته أي: زهرته ذات العطر المميز، ما هي إلا رمحه الذي يقاتل به أعدائه وكاسات عنترة التي يشرب بها ليست كباقي الكاسات من الزجاج أو المعدن، بل هي عبارةٌ عن جماجم بشرية وهذا هو المعنى الظاهر، ولكن في تصوري أن المقصود

من هذا أن مجالس شرب عنترة ليست الحانات، وإنما هي عقول الفرسان والأماجد الذين سبقوه يتتبع سيرهم ويفيد من تجاربهم وأقوالهم وإلا ما كان عنترة ليمدح أناساً حاربوه، ويؤكد عنترة صدق ما يزعم من أن مجالس السكر واللهو والبكاء على الأطلال، لا تروقه ولا تستهويه إلا إن كان الحديث عن الحروب والمعارك، فها هو يقول أنه له معاركٌ وقتالاتٌ كل يومٍ بحسامه أي: بسيفه، هذه المعارك دائماً ما تترك أثراً على الأرض خلفها وهي نقوش الدم المترامية، فهذه الحكايات البطولية التي يحكيها عنترة فيها متعةٌ تُغنِي الندامى أي: شركاء مجالس الشرب عن الوِردِ، والمقصود به هنا ما يشربونه في هذه المجالس، وينتقل عنترة إلى الحديث عن من يظنون أن الفروسية والقوة بمظهر السيف ولمعانه وبهاء الدروع والخيول، ويضرب لهم المثل ليثبت لهم سوء ظنهم وفساد رأيهم بأن الفارس والمقاتل لا تكون قوته بهذه المظاهر، فكما أن السيف لا يُعاب بإخلاق غمده أي: يكون غمده قديماً بالياً إذا ما كان قاطع الحد نافذاً، فكذلك الفارس لا يعيبه اهتراء ملبسه إذا ما كان في القتال فارساً بطلاً لا يُشَقُّ له غبار.

فلِلَّـــهِ دَرِّي كـــمْ غُـبـــارٍ قطَعْتُـــهُ * على ضَامِرِ الجَنبَينِ مُعتَدلِ القدّ

وطاعَنتُ عَنهُ الخيل حَتَّى تبّددت * هِزاماً كأسرابِ القطاءِ إلى الوِردِ

فــزَارةُ قــد هيَجتُــم لَيــثَ غابــةٍ * ولم تُفرِّقوا بين الضَّلالةِ والرُّشدِ

فقولــوا لِحصْــنٍ إنْ تَعانَى عدَاوَتــي * يبيتُ على نارٍ من الحزنِ والوجــدِ

يمدح عنترة فروسيته وأدائه في المعارك فيقول لله دري كم من غبار معركةٍ أثارته الخيول والفرسان، خضت فيه على ضامر الجنبين أي: فرس ليس في أجنابه دهنٌ أو ترهل يعيق حركته، معتدل القد أي: متناسق الشكل سليم القوام، فيا له من فرسٍ يمتطيه عنترة يخوض به غمار الحروب، ويخرج منها ظافراً منتصراً، تلك الحروب التي يخوضها على ظهر فرسه يُطاعِنُ بها الفرسان ويهزمهم حتى يفروا خائفين مذعورين، كأسراب القطا: وهو نوع من الطيور يهرعون إلى الوِردِ: أي مورد الماء، ويوجه عنترة الحديث إلى بني فزارة بن ذبيان وقد كان بينهم وبين بني عبس حربٌ طويلة كانت معروفة بـ(داحس والغبراء)، ليعلمهم بمدى فداحة الخطأ الذي ارتكبوه بمعاداتهم لبني عبس وفيهم عنترة، ومدى الهلاك الذي استجلبوه لأنفسهم، فقد قاموا بمعاداة ليث غابٍ لا يرحم فريسته غير مبالين بعاقبة هذا الفعل، وغير مفرقين بن الضلالة والرشد،

فقولوا يا بني فزارة لولد سيدكم حصن بن حذيفة، أنه إن تَعَانى عداوتي أي: تكلف معاداتي فليس له مصيرٌ إلا أن يبيت على نارٍ تشعل صدره حزناً وألماً على ما سأجعله يعاني منه، ووجداً أي: شوقا لأيامٍ كان فيها سيداً رفيع الشأن عالي المقام.

فخر الرجال

مناسبة هذه القصيدة أنه كان هناك حرب بين العرب والعجم، وكان عنترة من جملة المقاتلين في جيش العرب، ولكنه وللأسف أُخِذَ أسيراً كما أن عبلة أُخِذَت كذلك فصعب عليه الأمر وضاقت به نفسه فقال هذه الأبيات:

فخْـرُ الرِّجـالِ سلاسـلٌ وَقيُـودُ * وكـذا النسـاءُ بـخانـقٌ وعقـودُ

و اذا غبـارالخيـل مـد رواقـة * سُكْري بـهِ لا مـا جنـى العُنْقـودُ

إن الوقوع في الأسر نتيجةً للدفاع عن الأهل والوطن ليس عاراً ومذلةً يُعابُ الرجال بها، فكما أن افتخار النساء يكون بلبس البَخَانِقِ وهي: خمارٌ صغيرٌ يغطي العنق والصدر ولبس العقود من الجواهر واللؤلؤ، فإن ارتداء المدافعين عن الأهل والوطن الذين وقعوا في الأسر للسلاسل والأصفاد افتخارٌ وعزٌ لهم، وإن رواق الغبار: أي مقدمته الذي تثيره الخيل في ميدان القتال لهو أحب لنفس عنترة من جنى العنقود: أي الخمر، وسُكرُ عنترة وانتشاؤه بهذا الغبار لا هذه الخمر، ولا يخفى على القارئ ما في هذه الأبيات من حسنٍ لمطلع القصيدة وبراعة الاستهلال.

يـادهـرُ لا تبـق عـليَّ فـقـد دنـا * ما كنـتُ أطلـبُ قبـلَ ذا وأريـــد

فالقتْلُ لي من بعد عبْلـةَ راحَـةٌ * والعَيـشُ بعـد فِراقهـا منكُــودُ

الآن ينتقل عنترة للغرض الأصلي من القصيدة وهو شكوى الدهر، فهو يشتكي الدهر على ما أَلَمَّ به من مصائبٍ وأحزان ويقول له لا داعي من الإبقاء على حياتي، فلم تعد ذات قيمةٍ وقد دنا أي: ابتعد ـولفظة دنا من ألفاظ الأضداد التي تدل على معنيين متضادين يفرق بينها سياق الكلام-كل ما كنت أرجوه من حياتي وأريده، وفوق كل ذلك كان ابتعادي عن عبلة وأظنه فراق لا لقاء بعده، فالموت قتيلاً خيرٌ لي وأحب إلى نفسي من العيش حزيناً منكوداً من بعد عبلة.

يا عبْلَ! قدْ دنتِ المَنيّـةُ فاندُبـي * ان كــان جفنـك بالدمـوع يجــود

يا عبلَ! إنْ تَبكي عليَّ فقد بكى * صَرْفُ الزَّمانِ عليَّ وهُوَ حَسُــودُ

يا عبلَ! إنْ سَفكوا دمي فَفَعائلي * فـــي كـــل يـــومٍ ذكرهنّ جديـــد

لهفى عليـك اذا بقيتـى سبيـة * تَدْعينَ عنْترَ وهـوَ عنـكِ بعيــدُ

وينادي طيف عبلة تلك المسكينة التي وقعت في الأسر ولا حول لها ولا قوة، فيخاطبها بقلبٍ يفيض بالأسى ويقول لها اعلمي يا

عبلة أن المنية أي: الموت قد اقترب ولا فرار منه، فاندبي ما كنا فيه من خير ولتبكِ هذه الأيام إن كانت عيونُكِ لا تزال فيها الدموع، وإن بكيتي عَلَيَّ فقد بكاني الزمان رغم ما بيننا من بغضٍ وحسد، وما ذلك إلا لأنه أشفق على حالي وما صِرتُ إليه، واعلمي يا عبلة أنهم إن سفكوا دمي وقضوا على حياتي فإن ذكري دائمٌ وسيرتي باقيةٌ وفعائلي لا تبلى، فهي دوماً ستُروى للناس جيلاً بعد جيل، ولكن أسفي وحزني عليكِ يا عبلة إذا بقيتي من بعدي سجينةً تنادين وتقولين عنتر وهو عنك بعيدُ.

ولقد لقيتُ الفُرْسَ يا ابْنَةَ مالكِ * وجيوشها قد ضاق عنها البيد

وتموجُ موجَ البحرِ إلا أنَّها * لاقتْ أسوداً فوقهنَّ حديد

جاروا فَحَكَّمْنا الصَّوارمَ بيْننا * فقَضتْ وأَطرافُ الرماحِ شُهُود

ويتكلم عنترة بما بقي له من رباطة جأشٍ ليقول أنه لم يُقَصِّر في حرب هؤلاء القوم، ولكنها الأيام التي لا تدوم على حال، اعلمي يا ابنة مالكٍ أني لقيت جيوش الفرس وقد ضاق عنها البِيدُ أي: ضاقت بهم الصحراء رغم اتساعها، وذلك لكثرة أعدادهم المهولة، فما أخافني ذلك وجيوشهم من كثرتها تموج أي: تتحرك كحركة موج البحر، ولكنهم وجدوا أمامهم رجالاً هم

كالأسود قوةً وشجاعةً، تغشاهم الدروع والسيوف والرماح، وهؤلاء الفُرس ما حاربونا إلا جائرين أي: ظالمين فما وجَدنَا من يحكُمُ بيننا غيرُ الصوارم أي: السيوف، فقضت بيننا بقتالٍ كنا فيه الغالبين وتشهد لنا أطرافُ الرماح، ولكنها الكثرة التي تهزم الشجاعة.

يا عبلَ! كم منْ جَحْفلٍ فرَّقْتُهُ * والجوُّ أسودُ والجبالُ تميدُ

فسطا عليَّ الدَّهرُ سطوة غادرٍ * والدَّهرُ يَبخُلُ تارة ويجُودُ

ولكي يا عبلة أن تتسائلي كم من جحفلٍ وهو: العدد العظيم في قوات الجيش، قمت بتفريقه عن طريق الخوض فيهم والضرب والتقتيل في فرسانهم، فما كان منهم إلا أن فروا هاربين وكل ذلك والجو أسود بسبب الغبار المتصاعد، والجبال تميد أي: تميل وتهتز من شدة الحركة والقتال، إلا أن الدهر كعادته لا تُؤمَنُ غوائله، فقد قلب الموازين ضدي وهجم عَلَيَّ هجمةَ غادِرٍ وهكذا هي أحوال الدهر مع الناس، تارة يبخل عليهم برغد العيش وتحقيق المأمول وتارة يجود.

قافية الراء

*فيافي الفلا

*إذا لعب الغرام

*إذا كان أمر الله

*قول المفتري

فيافي الفَلَا

قال عنترة هذه الأبيات في الحرب التي كانت بين بني عبس وبني زبيد، وكانت يهدد فيها خالداً الزبيدي ويتوعده بالهلاك.

أطْوي فيافي الفلاَ واللَّيلُ معْتكِرُ * وأقطعُ البِيدَ والرَّمضاءُ تَستعرُ

ولا أرى مؤنِساً غيرَ الحُسامِ وإنْ * قلَّ الأَعادِي غدَاةَ الرَّوع أَوْ كَثُروا

يصف عنترة حال سير الفرسان من بني عبس -وهو من جملتهم- إلى ديار بني زبيد ليُغِيرَ عليهم، وكيف أن الطريق لدارهم صعبةٌ وشاقة، فها هو يطوي الفيافي أي: يمر بالأراضي الصحراوية أرضاً بعد أرض دونما توقفٍ والليل معتكر أي: شديدُ الظلمة، وبعد أن قطع الفيافي يقطع البِيد وهي: الأراضي الصحراوية التي عادة ما تُهلِكُ من فيها وتبيده، وفوق كل ذلك الرمضاء أي: الأرض المليئة بالحصى مستعرة أي: شديدة الحرارة، فيا له من طريقٍ شاقٍ وعسيرٍ يقطَعُهُ عنترة.

فَحاذِري يا سباعَ البَّرِّ منْ رجلٍ * إذا انتضى سيفَهُ لا ينفعُ الحذرُ

ورافِقينـــي تَـــريْ هامـــاً مفلَّقـــةً * والطيْرَ عاكِفـةً تُمســي وتَبْتكـرُ

مـا خَالِـدٌ بعدمـا قـدْ سِـرْتُ طَالبَـهُ * بخالـــدٍ لاَ ولاَ الـجـيداءُ تفتخـــرُ

ولاَ ديـــارهُـــمُ بالأَهـــل آنِســـةٌ * يأوي الغرابُ بها والذئبُ والنمرُ

من البديهي أن مثل هذه الأراضي الصحراوية يعيش فيها السباع، وكل من له مخلَبٌ ونابٌ ويفترس غيره يسمى عند العرب بالسبع، يوجه عنترة لهم الخطاب ويقول لهم: احذروا أن تحاولوا افتراس رَجُلٍ مثلي، فإنه إذا أشهر سيفَهُ لا ينفع عند ذلك الحذَرُ صاحِبَهُ فهو هالكٌ لا محالة، ولكن إن شئتم رافقوني إلى ديار زبيد وهناك تجدون غايتكم، فسوف ترون هاماً أي: رؤوسا مفقلة أي:مكسورة دونكم إياها، وأما خالد بن محارب فليس له من اسمه أدنى نصيب، فبعد أن صرت طالبه لأقتله لن يعيش بعد هذا اللقاء، وكل امرأة جيداء أي: ذات حسن وجمال كانت تفتخر به لن تفتخر بعد اليوم، وأما ديار بني زبيد بعد أن كانت آنسةً أي: مطمئنةً بأهلها، لن تكون موطناً إلا للضواري والغربان، وكل ذلك من شدة الخراب الذي سيحل بهم.

يـا عبلُ يُهْنِئُكِ مـا يأْتيكِ مـنْ نِعَـمٍ * إذا رمانـي علـى أعدائـكِ القـدرُ

يا مَنْ رَمتْ مهْجتي من نَبْل مُقلتِها * بأسهمٍ قاتلاتٍ بروُها عسرُ

نعيمُ وصْلِكِ جنَّاتٌ مزَخْرفةٌ * ونارُ هجْركِ لا تُبقي ولا تَذَرُ

ويوجه عنترة الخطاب إلى عبلة متفائلاً بالنصر ويقول لها: فلتفرحي وليطب بالك، ولتقر عينك بما سآتيكِ به من غنائم هذه الحرب، وليست هي فقط بل غنائم كل قوم عَادَوكِ فأنا رسول القدر إليهم بالهلاك، وأموالهم مصيرها إليكِ لا محالة لكِ كل ذلك يا من أصبتِ مهجتي أي: روحي بسهامٍ من ناظرَيكِ قاتلة، والشفاء منها عسيرٌ إن لم يكن محال، وما أحلاها من سهامٍ ترميني بها تجعلني كأني في جنةٍ خضراءٍ نسيمها عليل، إذا ما كنتُ بجوارك، أما إن ابتعدتي عني فقد أشعلتي في جوفي ناراً لاتبقي على شئ ولا تذر.

سقتكَ يا عَلمَ السعديّ غاديةٌ * منَ السحابِ ورَوَّى ربعكَ المطرُ

كم ليلةٍ قد قطعنا فيكَ صالحةً * رغيدةً صفوهَا ما شابهُ كدرُ

مع فتيةٍ تتعاطى الكاس مترعةً * منْ خَمرةٍ كلَهيبِ النَّار تَزْدهر

ونظراً للسعادة التي يشعر بها عنترة بعد تصوره هذا اللقاء الحار بعبلة، ينشر السعادة والرضا ويشيد بكل ما هو متعلقٌ

بعبلة، فيمدح العلم السعدي أي: جبل بني سعد فيقول له أنك لابد سعيدٌ ومسرورٌ أيها الجبل السعدي، كأن مجموعةً من السحاب غاديةٌ أي: آتيةٌ سقتك بمائها، وارتوى بهذا الماء ربعك أي: أراضيك، فكم من ليلة هنيئةٍ صافيةٍ لا هم فيها ولا منغصات قد قضيتُهَا في ربعك، مع فتيةٍ ويقصد بهم رفاقه الذين يصحبونه يجلسون ويتسامرون ويتبادولون معه كؤوس الشراب، مملوءةً بخمرٍ من فرط لمعانها ظاهرةً مزدهرةً كأنك تنظر إلى لهيبٍ من النار، فأنعم بك من جبلٍ نسعد في رحابه.

تُدِيرُهـا مـنْ بنــاتِ العُـربِ جاريــةٌ * رشيقةُ القـدِّ فـي أجفانهـا حـورُ

إنْ عِشْتُ فهيَ التي ما عِشْتُ مالكتي * وإنْ أمتْ فالليالـي شأنهـا العبـرُ

ويصحب عنترة ورفاقَهُ في ليالي سهرهم جاريةٌ أي: فتاةٌ صغيرةٌ تدير بينهم الكؤوس وتناولهم إياها، وتقوم على خدمتهم يصفها عنترة بأنها على قدرٍ من الحسن والجمال، في أجفانها حور أي: عيونها متسعة وهذا النوع من العيون يضيف إلى صاحبه لوناً من الجمال، ولعل عنترة يقصد بهذه الجارية عبلة فقد قال في وصفها أنه إن عاش مهما عاش، ستكون هي مالكة

قلبه وكيانهُ، وأما إن مات فهذه من حوادث الأيام والليالي، وحوادِثِهُمَا من شأنها أن يَعتَبِرَ بها ذَوو الألباب.

إذا لَعِبَ الغرامُ

إذا لَعِـبَ الغــرامُ بكــلَّ حُــرَّ * حَمِدْتُ تجلُّدي وشَكَرْتُ صبري

وفضَّلـتُ البِعـادَ علـى التدانــي * وأخفيتُ الهوى وكتمـتُ سِرِّي

ولا أُبْقـــي لـعذَّالـــي مـجـــالاً * ولا أشْفي العدُوَّ بَهَتْـكِ سِتْـري

إذا كان الكرام من الناس يلعب بهم الغرام والشوق ويخرجهم عن دائرة الوقار ومكارم الأخلاق، فإني أَحمَدُ إلى نفسي شجاعتي وتجلدي وشكرت قوتي المستمدة من صبري الذي أتحلى به، وإن العاشقين مضطربون يود الواحد منهم أن يكون بقرب معشوقه عمره كله ولكن لما رأيت أن هذا القرب فيه لونٌ من المذلة، فضَّلت أن أبتعد عن أن أكون قريباً وأخفيت عشقي وهواي في نفسي وكتمت سري، كي لا أجعل لعذالي أي: حاسدِيَّ ولائِمِيَّ مجالاً وفرصةً لينالوا مني بألسنتهم، ولكي لا أشفي غليلهم وأريح نفوسهم عن طريق هتك الستر أي: كشفه عن مكنون نفسي.

عرَكْـتُ نَوائِـبَ الأَيــام حتــى * عَرَفتُ خيالها منْ حيثُ يسري

وذَلَّ الـدَّهــر لـمَّــا أن رآنـــي * أُلاقــي كــلَّ نائبــةٍ بصــدري

ولأن الرجل الحق يجب أن يكون حكيماً فإني قد عركت نوائب الأيام أي: عرفت أحوال الأيام، وخضت الكثر من التجارب حتى عرفت كيف أعيش وكيف هي حيل وغوائل الأيام فلم تعد تخدعني، وأما الدهر الذي اعتاد أن يذل الناس لما رآني قوياً ألاقي كل نائبةٍ أي: مصيبةٍ، بشجاعةٍ وحكمةٍ كان الذل من نصيبه.

وما عابَ الزَّمـانُ عَلَـيّ لوْنِـي * ولا حَـطّ السَّــوادُ رفيــعَ قَـدري

إذا ذُكِـرَ الفَخَــارُ بأرضِ قَــومٍ * فَضربُ السيفِ في الهَيجاءِ فخري

أما الزمان فلم يعب عَلَيَّ لون جلدي كما يفعل معي قومي لأنه عرف أني كريم الأخلاق رفيع الشمائل، وما كان السواد ليقلل من قدري وقيمتي إذا كانت صفاتي هكذا، وإذا ما ذُكِرَ الافتخار عند أي قومٍ فيما بينهم بالأخلاق وبالأفعال، فإن ضربي بالسيف في الهيجاء أي: الحرب وقوتي وشجاعتي وانتصاري، هم الفخر الذي أتفاخر وأعتز به على سائر العرب.

سَمَوتُ إلى العُلا وعَلَوتُ حتى * رأَيتُ النَّجمَ تَحتي وهو يجري

وقَوماً آخرينَ سَعَـوا وعـادُوا * حَيَارَى مـا رأوا أثــراً لأثــري

وقد ارتفعت مكانتي وعلوت بها حتى وصلت إلى عنان السماء، وبلغت في الارتفاع أن رأيت النجوم وهي تجري وتتحرك من تحت قدمي، وقد سعى الكثير وحاولوا أن يصلوا إلى مكانتي ولكن لم يفلحوا وعادى حياري، حيث أنهم لم يصلوا حتى لأثرٍ يدلهم على مكانتي.

إذا كان أمر الله

إذا كـــان أمـــرُ الله أمـــراً يُقَـــدّر * فكيـفَ يفرُّ الـمرءُ منْــه ويحـذَرُ

ومن ذا يردُّ الموتَ أو يدفــعُ القضـا * وضرْبتُــهُ محْتُومـةٌ ليــس تعثـرُ

هذه الأبيات تدل دلالة كبيرة على أن عنترة كانت له صلة بأهل الكتاب من العرب، وإلا ما كان ليذكر مثل هذا الكلام في شعره، فهو يقول: إذا كانت الحوادث والأيام والأحوال التي تعتري المرء أمراً قد قدره الله في الغيب ولا مفر منه، فما الداعي لكل محاولات السلامة والفرار من القدر، فما سمعنا أبداً عن أحدٍ استطاع أن يرد عن نفسه الموت، أو أن يغير من قضائه وكيف ذلك والموت إذا جاء لاتخيب ضربته، ولا تخطئ صاحبها فهي مصيبة دائماً.

لَقد هانَ عِنْـدي الدَّهْـرُ لمَّــا عرفْتُــهُ * وإنــي بمــا تأْتــي المُلمَّـاتُ أخبِـرُ

وليـــس سبــاعُ البَـرّ مثْـلَ ضِباعِــهِ * ولاَ كلُّ مَنْ خاض العَجاجةَ عَنْتَرُ

لقد هان عندي شأن الدهر لمَّا عرفتُ أحوالَهُ وسُننَهُ فلست أخاف مما تُخَبِّئُ لي الأيام، وإني على استعدادٍ تامٍ لكل ملمَّةٍ أي: مصيبةٍ تأتي، فقد صرت بالمصائب خبيراً أعرف كيف أستقبلها وأتعامل معها وأخرج منها ظافراً ولا تزيدني إلا قوةً وحكمة، ولا يقدر على هذا الفعل إلا قليل، فكما أن الضباع لا ترقى لمنزلة السباع فليس كل من خاض العجاجة أي: الحرب -وعبر بهذا الوصف لارتفاع الأصوات فيها- يكون مثل عنترة.

سلُوا صرْفَ هذَا الدَّهْر كمْ شَنَّ غارةً * ففرَّجْتُها والمَوْتُ فيها مشَمِّرُ

بصارِمِ عَزْمٍ لَوْ ضرَبتُ بحَدِّهِ * دُجى اللَّيلِ ولَّى وهو بالنَّجْم يَعثُر

فيا من لا تعرفون عنترة ولم تصلكم أخباره اسألوا عني صرف هذا الدهر أي: شدائده وصعابه، وكم من غارةٍ قام بشنها عَلَيَّ ليهلكني فرددتها جميعاً وانتصرت فيها، بالرغم من أن الموت كان حاضراً فيها مشمراً عن ذراعيه ليقبض روحي، ولكن لم يظفر إلا بأرواح الذين قاتلتهم بصارمٍ في يدي وصارمٍ بقلبي، من قوته لو ضربت به سواد الليل لفر هارباً ومن خوفه يتعثر في النجوم.

دعوني أجدُّ السَّعي في طلب العُلا * فأُدْرِكَ سُؤْلي أو أمُوتَ فأُعذَرُ

ولاَ تختشــوا ممــا يُقَــدَّرُ فــي غـدٍ * فما جاءَنا منْ عَالَمِ الغيبِ مُخبِرُ

وكمْ مــنْ نَذِيــرٍ قــدْ أَتَانــا مُحَــذِّراً * فكانَ رسولاً فـي السُّرور يُبَشّـر

فدعوني أيها القوم من تخاذلكم وخشيتكم مما لم يحدث بعد، ولأُجِدَّ السير والسعي في طلب المكانة العالية والمنزلة الرفيعة، فإما أن أنال بغيتي وأصل إلى مرادي وإما أن أموت في سبيل ذلك، وعذري أني سعيت وحاولت ولم أتخاذل وأنكمش خشيةً مما يُقدَرُ لي في الغد، فهو أمر لا نعلم عنه شيئاً ولم يأتنا رسولٌ من عالَمِ الغَيبِ ليُخبِرَنَا بما سَيِحلُّ بنا، كما أن الأيام من طبعها التغير والتبدل وفي أوقاتٍ كثيرةٍ يكون الخوف نِتاجاً لسوء الظن والتدقير، فكم من حادثةٍ نتعرض لها فتكون نذيراً بالهلاك ثم يتبين لنا فيما بعد أنها حدثت لخير، فكانت رسولاً بالسرور.

قفي وانظري يـا عبلُ فعلـي وعاينـي * طِعانــي إذَا ثَـارَ العَجـاجُ المكدّر

تَـرَي بطـلاً يَلقَــى الـفَوارِسَ ضاحِكَـاً * ويرجِعُ عنْهمْ وهو أشعثُ أَغْبَرُ

ولا ينثنـــي حتـــى يُخَلِّـــى جَمَاجِمَـــاً * تَمرُّ بـها ريحُ الجَنوبِ فتَصْفـــر

وأجْسـادَ قـوْمٍ يَسكـنُ الطَّيْـرُ حَولَهـا * إلى أن يرى وحشَ الفلاةِ فينفر

قفي يا عبلة وانظري ما يكون من أفعالي وبلائي إذا ثار العجاج المكدر أي: الصياح المتعالي في الحرب والقتال، فإنك إن أمعنتِ النظر رأيتِ أمامكِ بطلاً شجاعاً لا يعرف الخوف إلى قلبه منفذاً، فهو لا يلاقي أعدائه إلا ضاحكاً لفرط قوته وثقته في نفسه، ويرجع بعد قتالهم وهو أشعث أغبر أي: غير مرتب الشعر ويعلوه التراب لكثرة الكر والفر في القتال، كما أن هذا البطل لا ينثني أي: لا يتراجع عن القتال، حتى يترك ورائه جماجم أعداءه وقد مر من خلالها الريح فأصدرت صفيراً، ويترك كذلك من خلفه أجساد أناس قاتلهم وأهلكهم حتى صارت هذه الأجساد مسكناً للطير تأوي إليه، ولا تنفر منه إلا عند رؤية وحوش الصحاري والسباع.

قولُ المُفتري

يا عبلُ خلّـي عنـكِ قـوْلَ المفْتـري * واصْغي إلى قَوْلِ المحِبِّ المُخبِرِ

وَخُذي كلامـاً صُغْتُـهُ مـن عَسجَـدٍ * ومَعانيــاً رَصَّعْتُهــا بالجوْهــر

لا تهتمي يا عبلة بقول الذين يسعون للتفريق بيننا ويفترون علي بما ليس فِيَّ، ودعي هذا الإفتراء جانباً واسمعي قولي الذي أخبرك به فقول المحب دوماً صادق، اسمعي كلاماً قد ألَّفتُهُ ووضعت فيه معانياً راقيةً فكان عسجداً أي: ذهباً مرصعاً أي: مزيناً بالجوهر.

كَـم مَهْمَـهٍ قفْـرٍ بنفْسـي خُضْتُـهُ * ومفــاوزٍ جاوزتهــا بالأبجــر

كـم جحْفـل مثْـل الضَّبَـابِ هزمتُـهُ * بمُهنَّـدٍ مــاضٍ ورُمــحٍ أسمــر

كم فـارسٍ بيـنَ الصُّفـوفِ أخذْتُـهُ * والخيْـلُ تعْثـرُ بالقنــا المتكسـر

ألم تعلمي يا عبلة كم من مهمهٍ أي: صحراء بعيدة لا ماء فيها قد خضت عناء السير فيها، ومفاوزٌ أي: صحاري أيضاً قد عبرتها وجاوزتها بفرسي الأبجر ولم ينل مني التعب والإعياء، وكم من

جحفلٍ أي: عددٍ كبيرٍ من الفرسان كانوا مثل الضباب في الكثرة، قاتلتهم وهزمتهم بمهندٍ أي: سيفٍ قاطعٍ ورمحٍ أسمر، وكم من فارسٍ في صفوف الأعداء قد أخذته من بينهم وأهلكته، والخيل هاربةٌ بأصحابها وتتعثر أثناء ذلك بالقنا أي: الرماح المتكسرة في أرض المعركة.

يا عَبلُ دُونَكِ كلَّ حيٍّ فاسأَلي * إنْ كان عنْدكِ شُبْهةٌ في عَنْتر

يا عَبلُ هلْ بُلِّغتِ يوماً أنني * ولّيْتُ مُنْهزماً هَزيمةَ مُدبرِ

وإن كان عندكِ يا عبلة أدنى شك في عنترة وأفعاله وما يتحلى به من صفات، فها هم الأحياء من حولك اسألي من شئتِ منهم عن عنترة، يخبرك بالخبر اليقين وهل بَلَغَكِ يا عبلةُ يوماً أنني فررتُ هارباً منهزماً في أي معركة، مثل هزيمة الجبناء الذين يفرون أثناء القتال؟

كم فارس غادَرْت يأْكلُ لحْمَهُ * ضَاري الذّائبِ وكاسِرات الأَنسُر

أفري الصدورَ بكلَّ طعنٍ هائلٍ * والسابغاتِ بكلَّ ضربٍ مُنكَرِ

وإذا ركِبتُ تَرَى الجبالَ تضجُّ من * ركْضِ الخيولِ وكلَّ قُطْرٍ مُوعِرِ

وإذا غزوتُ تَحومُ عِقبانُ الفَلا * حولي فَتُطْعِمُ كَبْدَ كلِّ غَضَنْفَرِ

كم يا عبلة من فارسٍ تركته بعد قتالي معه وهو جسدٌ هامدٌ تأكل الذئاب الضواري والنسور الكواسر من لحمه، أما علمتِ يا عبلة أنني أفري صدور أعدائي إذا ما طعنت أحدهم تكون طعنةً هائلةً، حتى السوابغ أي: الدروع أفريها بكل ضربٍ أَضرِبُهُ مُنكَرِ أي: غريب لم يُعرَف مثل قوته، إني إذا ركبت الخيل قاصداً الحرب تسمعين من الجبال ضجيجاً من أصوات ركض الخيول في المعركة، وكل قطرٍ موعِرِ أي: منطقة يصعب التحرك فيها، وإذا ما خرجت للغزو تحوم من حولي العقبان -وهي طيور تصيد في الصحراء- لأن كل سبعٍ أو غضنفرٍ يواجهني يموت من فوره، فيكون طعاماً لهذه العقبان.

ولكم خطفتُ مُدَرَّعاً مــن سَرجِــهِ * في الحَرْب وهو بنَفْسهِ لم يَشْعُرِ

ولَكمْ وَرَدْتُ المَوتَ أعْظَمَ مَــوْرِدٍ * وصدرت عنهُ فكانَ أعظمَ مصدر

وكم من مرةٍ في الحرب قمتُ بخطف الفارس المدرع في صفوف الأعداء، ونزعته من فوق سرج فرسه حتى أنه لم يشعر بكل ذلك إلا عندما رأي نفسه مجندلاً تحت قدمي والدم يسيل من حوله، وكم من مرةٍ وردت الموت في هذه الحروب ثم صدرت

عنه أي: رجعت منه منتصراً، لم يمسسني سوء فكان رجوعاً عظيماً.

يا عبلُ لو عاينْتِ فِعلي في العِدَى * مـن كـلِّ شِلـوٍ بالتُّـرابِ مُعفَّـرِ

والخيْلُ في وسطِ المَضيق تبادَرَتْ * نَحْوي كمثـلِ العـارِضِ المتَفَجِّـر

منْ كـلِّ أدْهَـمِ كالرِّيـاحِ إذا جـرى * أو أشهبٍ عالي المطا أوْ أشقـر

فصرَخْـتُ فيهـمْ صرخـةً عَبْسيـةً * كالرّعدِ تَدوِي في قُلوبِ العَسْكر

كم أتمنى يا عبلة لو عاينتِ بلائي وأفعالي مع الأعداء في الحروب، لعلمتِ ما يحل بهم عند رؤية كل شِلوٍ أي: عضوٍ في الجسد معفرٍ وملقى على التراب، ولو رأيتِ الخيل في المضيق وهي تسرع نحوي فكانت مثل العارض المتفجر أي: أكوام الغيوم المتكتلة، وهم بين الأدهم أي: خيول لونها أسود والأشهبِ أي: خيول لونها خليطٌ بين الأبيض والأسود، كلها مقبلةٌ ومندفعةٌ تجاه عنترة، وإذ هم كذلك صرخت فيهم صرخةً عبسيةً أي: صرخة فارسٍ كَرَّارٍ من بني عبس، كانت كالرعد تثير الرعب في نفوسهم وتدوي في قلوبهم.

وعطفـتُ نحوَهُـمُ وصُلـتُ عليهِـمُ * وَصَدَمْتُ مَوْكِبَهُم بصَدر الأبجـر

وطرحْتُهُـــم فـوقَ الصّعيـد كأَنّهُـم * أعجَازُ نخلٍ في حضيض المحجر

ودِماؤُهـــمْ فوْقَ الـدُّروعِ تخضّبَـتْ * منـها فصـارت كالعقيـق الأحمـر

ولربمـــا عثـــر الـــجواد بفـــارس * ويخـــالُ أنَ جـــوادهُ لـــم يعثـــر

ثم عطفت نحوهم أي: توجهت ناحيتهم وكلي شجاعةٌ وإقدام، وصُلتُ عليهم أي: عملتُ فيهم الضرب والطعن الواحد تلو الآخر، واصطدمت بجيشهم وأنا على صدر حصاني الأبجر، وطرحتهم أي: ألقيتهم فوق الصعيد أي: البقعة المرتفعة من الأرض، أجساداً هامدين كأنهم بقايا نخلٍ متكسر في حضيض المحجر أي: المكان المنخفض من الأرض، ودماؤهم تخضبت بها الدروع التي كانوا يحملونها، فصارت كأنها عقيقٌ أحمر: وهو نوعٌ من الأحجار الكريمة، وربما مَرَّ الجواد بين هذه الأجساد فيتعثر بصاحِبِهِ فيتصور صاحِبَهُ أن جواده لم يتعثر به، وما ذلك إلا لأنه مُحتَضَرٌ قد فقد الإحساس بكامل جسده، جرَّاءَ ما فعله بهم عنترة.

قافية السين

*شربت القنا

شَرِبتُ القَنَا

قال عنترة هذه القصيدة عندما كان في نزالٍ مع عمرو بن ود العامري، وقد كان الأخير من صناديد فرسان العرب.

شَرَيْتُ القَنا منْ قبل أن يُشترى القَنَا * ونلتُ المُنـى منْ كلِّ أشْوسَ عابس

فما كلُّ مَن يَشري القَنا يَطْعنُ العِدى * وَلا كلُّ مَن يلقى الرِّجالَ بفَارسِ

لقد شربت القتال بالقنا أي: الرماح وخبرت أسرارها وبلغت فيها الغاية القصوى، حتى من قبل أن يشتري الفرسان الرماح ويقاتلوا بها، ونلت بغيتي عندما بارزت كل أشوسٍ عابسٍ أي: جريءٍ على القتال وقمت بهزمه، ولذلك ليس كل من يشتري رمحاً يحمله على كتفه بالضرورة يقاتل الأعداء ويطعنهم، وليس كل من يقف في الحرب في ملاقاة الرجال بفارسِ.

خرَجتُ إلى القَرْمِ الكمِّي مُبادراً * وقد هَجَسَتْ في القلب مني هواجسي

وقلتُ لمُهرِي والقنا يَقرَعُ القنا * تنبَّه وكن مستيقظاً غير ناعس

فجاوبني مُهرِي الكريمُ وقال لي * أنا منْ جيادِ الخيل، كُنْ أنتَ فارسي

وقد خرجت لملاقاة القرم الكمِيّ أي: السيد الشجاع المدرع ويحمل أسلحته لأقاتله، وقد أخذت زمام المبادرة بادئاً هذا القتال وقلبي قد امتلأ بالهواجس من قوة من ألاقيهم، ثم التَفَتُّ إلى مُهرِي أي: حصاني والرماح تتشابك في المعركة، وقلت له كن مستيقظاً لما حولك وتنبه ولا تأخذك الغفلة والنعاس فنهلك، فقال لي حصاني كريم الأصل والطبع، أنا من خيار الخيل وقد رضيت بك يا عنترة فارساً لي.

ولمَّا تجاذبْنا السُّيوفَ وأُفرِغَتْ * ثيابُ المَنايا كُنتُ أوَّل لابسِ

ورُمحي إذا ما اهتزَّ يَوْمَ كريهةٍ * تَخرُّ لهُ كلُّ الأُسودِ القناعِسِ

وما هالَني يا عَبلَ فيكِ مهالِكٌ * ولا راعني هولُ الكميّ الممارس

فَدُونَكَ يا عمرو بن وُدٍ ولاَ تَحُلْ * فرمحي ظمآنٌ لدّم الأشاوس

ولما احتدم القتال واشتد وتلاحمت السيوف، أقبل الموت وقد وُزِّعَت ثيابه فكنت من شجاعتي وقوتي أول لابسٍ مستعد للموت، غير مبالٍ وأقاتل أعدائي بإقدامٍ ورمحي إذا ما قمت بتحريكه في يوم كريهةٍ أي: يوم حربٍ، تخر له خوفاً الأسود القناعس أي: الكبيرة في الحجم والعظيمة في الهيئة، واعلمي

يا عبلة أنني ما تراجعت يوماً عن أي مكروهٍ في سبيل رضاكِ، ولا أقلقتني يوماً قوةُ الفارس المسلح الخبير بالحرب، لذا أَقدِم إِلَيَّ يا عمرو بن ود ولا تتراجع فإن رمحي به عطشٌ شديدٌ لدم الفرسان الأشاوس.

قافية العين

***جفون العذارى**

***قف بالمنازل**

***إذا كشف الزمان**

جفون العذارى

قال عنترة هذه القصيدة وهو في أسر المنذر بن ماء السماء، عندما صَعُبَت عليه نفسه وشق عليه ما هو فيه، وقد خرج عنترة إلى العراق حيث أراضي المنذر ليسوق من إبله مهراً لعبلة.

جفُونُ العذَارى مــنْ خِلال البرَاقــع * أحدُّ مـن البِيــضِ الرِّقــاق القواطــعِ

إذا جـــرِّدَتْ ذَلَّ الشُّجـاعُ وأصبحـتْ * محاجــرهُ قرْحــى بفَيــض المدَامِــعِ

جفون العذارى التي تظهر من تحت البراقع التي يرتدونها لتستر وجوههن، لها جمالٌ خاص وتأثيرٌ أكثر حدة من البيض أي: السيوف القاطعة، وحيث أنها مثل السيف وأكثر منه حدة فهي إن جُرِّدت من أغمادها يذل أمامها الشجاع القوي، وصارت محاجره أي: عظام وجهه التي تحت عينيه، قَرحَى أي: مُصابةً من كثرة الدموع.

سقى اللهُ عمِّي من يدِ الموتِ جَرعَةً * وشُلَّتْ يــدَاهُ بعــد قَطْــعِ الأَصابــعِ

كما قادَ مثْلي بالمحالِ إلى الرَّدى * وعلّقَ آمالي بذَيْل المطامع

وبما أن عمي مالك هو السبب فيما أنا فيه الآن من غربة وألم، فادعوا عليه أن يسقيه الله جُرعةً من يد الموت بعد أن تُقطَعَ أصابِعُهُ وتُشَلُّ يداه جزاء ما فعله بفارسٍ مثلي، وساقه إلى الردى أي: الهلاك وعلق آمالي في الزواج من عبلة بطمعه في نسب غيري، الذين أغروه بغناهم وكثرة أموالهم.

لقد ودّعتني عبلةٌ يوْم بَيْنِها * وداعَ يقينٍ أنني غَيرُ راجع

وناحتْ وقالت كيف تُصْبحُ بعدَنا * إذا غبتَ عنَّا في القِفار الشَّواسع

وحقِّكِ لاحاولتُ في الدهر سَلوَةً * ولا غيّرتني عن هواكِ مطامعي

وعند استعدادي للسفر جاءت عبلة لتوديعي وقد كان بَينُهَا أي: وداعُهَا، وداع شخصٍ على يقينٍ بأن من يودعه لن يرجع ولن يراه مرة أخرى، وناحت متأثرةً بهذا الموقف وقالت كيف تصبح بعد فراقنا ياعنترة، وكيف يكون حالك وأنت غائب عنا في القفار أي: الأراضي التي لا بشر فيها ولا ماء الشواسع أي: الشديدة الإتساع، فقلت لها وحقكِ علَيَّ يا عبلة لن أحاول أن أتسلى عنك

في أيامي ولياليَّ، ولن تغيرني عن عشقكِ وهواكِ شتى أنواع المطامع.

فكــنْ واثقــاً منّــي بحُســنِ مــودّةٍ * وعِشْ ناعماً في غبطـةٍ غيـرَ جـازع

فقلْــتُ لهــا يــا عَبــلُ إنــي مسافــرٌ * ولــو عَرَضَتْ دونــي حُـدُودُ القواطـعِ

خُلِقنا لهذا الحُــبِّ مــن قبــل يومنــا * فما يدخُــل التفنيــذُ فيــه مسامعــي

فقالت عبلة إذن كن على يقينٍ أنه سيكون مني حسن مودةٍ وحفظٍ للعهود، وعش طيباً مُرتاحاً مُغتبطاً أي: تشعر بالفخر والسعادة ولا تجزع أي: لا تيأس وتستسلم للأهوال أبداً، فقلت يا عبلة إني مصرٌّ على هذا السفر الذي سأحضر منه المُهر الذي يليق بكِ، حتى لو عرضت أي: وقفت في طريقي حدود القواطعِ أي: حدود السيوف، فإنا يا عبلة قد خُلِقنا ليكون بيننا هذا العشق وهذه المحبة من قبل أن نولد حتى، وإذا كان الحال كذلك فلن يدخل التفنيد أي: الكذب أبداً إلى مسامعي.

أيـا عَلَــمَ السّعـدي هـل أنــا راجــعٌ * وأنظُــرُ فــي قُطرَيــكَ زَهرَ الأراجــع

وتُبصِرُ عَيْنــي الرَّبوَتيْــن وحاجِــراً * وسُكَّــانَ ذاكَ الجَــزْعِ بيــن المَراتــع

وتجمعنــا أرضُ الشربَّــة واللــوى * ونَرتَــع فــي أكْنــافِ تلــكَ المرابــع

فيا أيها الجبل السعدي أخبرني هل أنا راجعٌ من هذا السفر الذي قد يكون فيه هلاكي، وهل سأنظر إلى زهور الأراجع -وهي زهورٌ تنبت في الربيع- التي تنبت في رحابك، ويا ترى هل ستبصر عيني وترى الربوتين وحاجراً -وهما مكانين بمكة- وسكان هذه المناطق بين المراتع أي: الحقول، وهل تَجمَعُنَا الأيام مع أرضِ الشربة واللوى -وهما مكانين بأرض الحجاز- ونمرح في رحاب تلك المرابع أي: المنازل التي فارقناها.

فيا نَسَمَاتِ البانِ بالله خبِّري * عُبَيلَةَ عنْ رَحلي بأَيِّ المَواضِعِ

ويا بَرْقُ بلّغْها الغدَاةَ تحيَّتي * وحيِّ دياري في الحمى ومَضاجعي

أيا صادحاتِ الأيكِ إن متُّ فاندُبي * على تُرْبتي بين الطُّيور السَّواجع

ونُوحي على من مات ظلماً ولم ينلْ * سِوى البُعدِ عن أحْبابِهِ والفَجائع

فيا أيتها النسمات التي تمر من الأغصان أقسم عليك بالله أن تذهبي لعبلة وتخبريها أين حططت رحالي وأين آل موضعي، ويا أيها البرق بلغها في وقت الغداة تحيتي، وحيِّ بالنيابةِ عنِّي دياري في حمى بني عبس، وأماكني التي آوي إليها وأضطجع فيها، ويا أيها الحمام الصادح فوق غصون الأيك اسمع ما أقول

لكَ، إن كان مصيري هو الموت فتعالَ عند تربتي واندبني بين الطيور السواجع أي: الطيور التي تردد الأصوات، ونوحي أيتها الطيور على رجلٍ مات مظلوماً ولم ينل من هذه الحياة إلا البعد عن أحبابه، والفجائع التي تأتي عليه الواحدة تلو الأخرى.

ويا خَيْلُ فابكي فارساً كان يلْتقي * صدور المنايا في غُبَارِ المَعَامِعِ

فأَمْسى بعيداً في غرامٍ وذِلَّةٍ * وقيدٍ ثقيلٍ من قيودِ التوابع

ويا أيتها الخيول إذا مِتُ فابكي على فارسٍ شجاعٍ، كان يلقى الموت في غبار الحروب الطاحنة بكل قوةٍ وشجاعةٍ، ولكنه أمسى بعيداً مغترباً بسبب غرامه والمذلة التي نالت منه، وهو في قيدٍ من القيود التي تُستَخدَمُ مع العبيد والتوابع، الذين يعصون أسيادهم.

ولَسْتُ بباكٍ إنْ أتَتْني منيَّتي * ولكنَّني أهْفو فتَجري مدَامِعي

وليس بفَخْر وصْفُ بأْسي وشِدّتي * وقد شاع ذكري في جميع المجامع

بحقّ الهوَى لا تَعْذِلُونيَ واقْصِرُوا * عن اللّوْم إنّ اللّوم ليسَ بنافع

وكيفَ أُطيقُ الصَّبْرَ عمَّنْ أحبُّه * وقد أضرمتْ نار الهوى في أضالعي

وليعلم من تَصِلُهُ أبياتي أنني لا أبكي عند مجيئ الموت فقد واجهته العديد من المرات، ولكنها هفوةٌ تصيبني فتجري بالرغم عني مدامعي، وعندما أصف قوتي وبأسي وشدتي في الحروب فليس هذا فخراً بعد أن انتشرت سيرتي وأخباري في كل مجمعٍ للناس يجتمعون فيه، فيا من يلومونني بحق الهوى عليكم إن كان له مقام عندكم، كُفُّوا عن لومي وانتهوا فإن اللوم لاينفع ويفيد بشئ، فكيف أطيق أن أصبر على مذلَّتي وبُعدي عن الذي أحبه وقد أشتعلت نار العشق والهوى بين أضلعي.

قف بالمنازل

قال عنترة هذه القصيدة وهو يتوعد فيها جيوش الفرس بالحرب والهلاك.

قف بالمنـازل إن شَجَتكَ رُبُوعُهَـا * فَلَعَلَّ عينَـكَ يستَهِـلُّ دُمُوعُهَـا

واسأَلْ عن الأَظْعانِ أينَ سَرَتْ بها * آباؤهـا ومتَـى يكـونُ رجُوعُهـا

دارٌ لعبلـةَ شـطَّ عنْـك مزارُهـا * ونـأْتْ ففارَقَ مُقْلتَيـكَ هُجوعُهـا

يخاطب عنترة شخصاً جَرَّدَهُ من نفسه ويقول له: إن حَنَّت نفسُكَ لمنازل الأحباب، وأصابك الشجو أي: الحنين والاشتياق إليها فاذهب وقف عندها وتأمل فيها، لعل الدموع تستهل أي: تستعد للنزول وتنهمر فتُخَفِّف عن نفسك بعض ما هي فيه، ثم اسأل عن الأظعان أي: المسافرين -ويقصد عبلة- أين ارتحلت ومشت، ومتى يكون موعد رجوعها واللقاء بها، فما أشد شوقك لدارٍ لعبلة شطَّ عنكَ أي: بَعُدَ عنك مكان زيارتها، ونأت أي: ابتعدت أيضاً فلم تعد تستطيع النوم لأن النوم قد فارق مقلتيك بمفارقة الأحباب.

فسقَتْكِ يا أرضَ الشَّربَّةِ مُزْنةٌ * مُنهَلَّةٌ يَروِى ثَرَاكِ هُجُوعُهَا

وَكَسَا الرَّبيعُ رُباكِ في أزهارِهِ * حُلَلاً إذا ما الأرضُ فاح ربيعُها

كم ليلةٍ عانَقتُ فيها غَادَةً * يَحيَى بِها عند المَنَامِ ضَجِيعُهَا

شمسٌ إذا طَلَعَت سَجَدتُ جلالةً * لِجمالِهَا وَجَلَا الظلامَ طُلوعُهَا

فلله يا أرض الشربةِ درُّكِ فقد قامت بسقيكِ مزنةٌ أي: سحابةٌ منهلةٌ أي: تفيض منها الأمطار بغزارة، فيرتوي يا أرضَ الشربةِ ترابُكِ بهجوع أي: نوم واستقرار هذه الأمطار فيه -وهذا تشبيه عبقري من عنترة- وعندما أتى الربيع قام يكسوك بحللٍ أي: أي أرديةٍ راقيةٍ من الأزهار بهية المنظر رائعة الجمال، فتفوح من الأرض رائحة الربيع، فكم عانقتُ في ليالي هذه الأرض غادةً أي: امرأةً حسناء -ويعني بها عبلة- يُسَرُّ بها من يتزوجها ويشعر بالرضا والحياة، فهي من جمالها كأنها شمسٌ إذا طلعت في الأفق سَجَدتُ إجلالاً وإكباراً لجمالها، وطلوعها الذي أزاح وطرد الظلام من الأفق.

يا عَبلُ لاَ تَخْشَيْ عليَّ منَ العِدى * يوْماً إذا اجْتَمَعت عليَّ جمُوعُها

إنَّ المَنيَّةَ يا عُبيلةُ دَوْحَةٌ * وأنا وَرُمحي أصلُها وفُروعُها

وغداً يَمُرُّ على الأعاجِمِ من يدى * كأسٌ أمرُّ منَ السُّمومِ نَقِيعُها

وأُذِيقُهَا طَعناً تُذَلُّ لوقعِهِ * ساداتُها وَيَشيبُ منْه رَضيعُها

اطمئني يا عبلة ولا تقلقي علَيَّ من أعدائي إذا ما اجتمعوا لحربي وقتالي، فما المنية أي: الموت يا عبلة إلا دوحةٌ أي: شجرةٌ عظيمةُ الحجم والهيئة، وما أنا ورمحي إلا جذور وفروع هذه الشجرة لأن كل من يواجهني هالكٌ لا محالة، وغداً ترين حينما أحارب هؤلاء الأعاجم كيف أنني سأسقيهم بيدي كأساً شرابها أشد مرارةً وألماً من نقيع السم، وسأذيقهم أيضاً هزيمةً نكراءَ من مرارة طعمها سَيَذِلُّ ساداتهم ويشيب صغارهم وأطفالهم.

وإذا جيوشُ الكِسرَوىِّ تَبَادَرتْ * نحْوي وأَبدَتْ ما تُكِنُّ ضلُوعُها

قاتَلتُها حَتّى تَمَلَّ وَيَشتَكي * كُرَبَ الغُبارِ رَفيعُها وَوَضيعُها

فيكون للأُسدِ الضَّواري لحمُهُا * ولِمَنْ صَحِبنَا خَيلُهَا ودُرُوعُهَا

وإذا ما حان وقت القتال بيننا وبين جيوش الكسروي -نسبةً لكسري وهو اسم لمن يملك بلاد الفرس- وتقدموا ناحيتي ليحاربوني، ثم ظهر عليهم ما تُكِنُّ ضلوعهم وصدورهم من

الكراهية والغضب، رأيتني يا عبلة أقاتلهم وأجندلهم وأوقع بهم الهزائم، حتى يشتكي من كُرَبِ الغُبارِ أي: الحرب الرفيعُ الشأنِ فيهِم والوضيعُ على حدٍّ سواء، فإذا ما انتهينا منهم تكون أجسادهم غنيمة للأُسدِ الضواري، ولنا خيلهم ودروعهم وأمتعتهم.

يـــا عبـــلُ لـو أَنَّ المَنيَّـةَ صُـوِّرتْ * لغدَا إلـــيَّ سُجُودُهَـا وَرُكُوعُهَـا

وَسَطَتْ بَسَيْفي في النُّفـوسِ مُبيـدَةً * من لا يجيـبُ مَقَالَهَـا وَيُطِيعُهَـا

واعلمي يا عبلة لو أن المنية أي: الموت تَصَوَّرَ وَتَشَكَّلَ بصورةٍ مرئيةٍ وملموسةٍ ما كان يَخضَعُ ويُطيعُ سِواي، وإذا ما عصاه أحدٌ وخالف أمره وقوله وأبى أن يطيع، يسطوا عليه الموت بسيفي يبيده ويهلكه.....وهذه مبالغة غير محمودة من عنترة.

إذا كشَفَ الزمانُ

من القصائد الحماسية التي تلهب نفس من يقرأها وقد قالها عنترة في يوم المصانع، وهي منطقة في بلاد اليمن وقد كان بين بني عبس وأهل هذه المنطقة بني مِسوَر، حربٌ قال عنترة هذه القصيدة بمناسبتها وقد ضمنها الكثير من الحكم والمعاني.

إذا كشفَ الزَّمانُ لك القِناعا * ومَدَّ إليْكَ صَرْفُ الدَّهر باعا

فلا تخشَ المنيةَ وإقتحِمهَا * ودافع ما استطعتَ لها دفاعاً

ولا تختَرْ فِرَاشاً من حريرٍ * ولا تبكِ المنازلَ والبِقاعا

إذا كَشَّرَ لك الزمان عن أنيابه وكشف لك القناع أي: أظهر لك حقيقته الغادرة والقاسية، ومدت صروف الدهر أي: مصائبه وأهواله إليك يدها، فلم يعد هنالك ما تخشى عليه فلا تجبن وتخاف من المنية أي: الموت إذا جاءك، واقتحم ميدان الموت وقاتل ودافع قدر ما تستطيع وقدر ما تملك من قوةٍ وبأس، ولا تفضل الكسل والجبن والفُرُشَ الناعِمة، عن المواجهة والقتال ولا تنتحب على المنازل والبقاعا.

وحَوْلَـكَ نِسْـوَةٌ ينْدُبْـنَ حزْنـاً * ويهتكــنَ البراقــعَ واللَّفاعــا

يقـولُ لـكَ الطبيـبُ دواك عنـدي * إذا مــا جـسَّ كفـكَ والذراعـا

ولــو عــرَفَ الطَّبيــبُ دواءَ داءٍ * يَـرُدّ المَوْتَ مـا قَاسَـى النّزَاعـا

وأنت في حال بكائك ونحيبك ساعة موتك يكون من حولك النساء يندبن ويهتكن أي: يمزقن البراقع واللفاع وهي: ملابس يستر بها النساء وجوههن، وعند مجيئ الطبيب ليداويك يقوم بتحسس كفك وذراعك ثم يقول لك دوائك عندي، ولو أنه كان صادقاً وكان يعرف دواءاً يرد الموت حين مجيئه، ما عانى الطبيب نفسه وقاسى الموت حين يأتيه، فكيف يرده عن غيره.

وفــي يــوْم المَصانــع قد تَركنـا * لنـــا بفعالنـــا خبــراً مُشَاعــاً

أقمنـا بالذَّوَابِــلِ سُــوقَ حَــربٍ * وصيَّرنا النُفُوسَ لهــا متاعــا

حصانـــــي كـــانَ دلاّل المنايـــا * فخاض غُبارها وشَرى وباعــا

وسَيفـي كـان فـي الهيْجـا طَبيبـاً * يداوي رأسَ من يشكو الصداع

وفي يوم حربنا مع بني مِسوَر في المصانع قد تركنا خلفنا بفعالنا وبلائنا في الحرب والقتال خبراً يشاع عنا، جعل كل من

يرغب بمعاداة بني عبس يعيد التفكير ألف مرة، فقد أقمنا بالذوابل أي الرماح: سوق حربٍ وجعلنا السلع والمتاع في هذا السوق نفوس أعداءنا، وحصاني كان دَلَّالَ الموت أي: صاحب سلعة الموت، يعطيها لمن يدفع أكبر ثمن في هذا السوق وقد خاض غبار الحرب واشترى أنفساً وباعها، أما سيفي فكان في الهيجا أي: الحرب مثل الطبيب لرؤوس الأعداء، فمن يشكوا ألماً برأسه يُخَلِّصُهُ منه نهائياً عن طريق قطع هذه الرأس.

أَنـا العبْـدُ الَّـذي خُبّـرْتَ عَنْـهُ * وقـد عاينْتَنـي فـدعِ السَّماعـا

ولـو أرْسلْـتُ رُمحـي مـعْ جَبـانٍ * لكـانَ بهيْبتـي يلْقـى السِّباعـا

ملأْتُ الأَرضْ خوْفاً منْ حُسامِي * وخصمـي لـم يجـدْ فيهـا اتساعـا

إذا الأَبْطـالُ فَـرَّت خـوْفَ بأْسـي * تـرى الأقطـار باعـاً أو ذراعـا

فيا من تنكر عَلَيَّ قوَّتِي وشجاعتي اعلم أنني ذلك العبد الذي سمعت عن قوته وفروسيته وقد رأيتني ماثلاً أمام ناظريك، فدع عنك ما تسمع فإنه لم يوفيني حقي وانظر بنفسك ما سيكون مني، واعلم أني لو أرسلت رمحي مع رجلٍ جبانٍ يقاتل به، لكان من هيبتي ومعرفته أنه يحمل رمح عنترة يلقى السباع غير مبالٍ

ولاخائف، فأنا الفارس الذي ملأتُ الأرضَ خوفاً ورعباً من قوة حسامي أي: سيفي، حتى أن خصمي لم يعد يجد متسعاً له في هذه الأرض، وإذا جمعتني المعارك بالأبطال والفرسان، رأيتهم يفرون بأنفسهم خائفين من بأسي وشدتي، وعند ذلك ترى المسافات الشاسعة كأنها بقدر الباع أو الذراع نظراً لشدة خوفهم، فهم يستهونون بعد المسافات ويرونها أرحم من قتال عنترة.

قافية الفاء

***أمن سمية؟؟؟**

***يا عبلُ قرِّي**

أَمِن سُمَيَّة؟

كان لشداد والد عنترة زوجة اسمها سمية، وقد أوغرت صدر شداد على عنترة وزعمت أنه يروادها عن نفسها، وقد حدث ذلك قبل أن ينسب شداد عنترة لنفسه وبعد أن حارب عنترة وَرَدَّ الغارة عن قبيلته، فضربه شداد ضرباً شديداً فأشفقت عليه سمية، وألقت بنفسها على عنترة لتنقذه وبكت عليه، فقال عنترة هذه الأبيات:

أَمِن سُمَيَّـةَ دَمـعُ العَيـنِ تَذريـفُ *١* لـو أَنَّ ذا مِنـكِ قَبـلَ اليَـومِ مَعـروفُ

كَأَنَّهَـا يَـومَ صَـدَّت مَـا تُكَلِّمُنِـي *٢* ظَبيٌ بِعَسفَانَ ساجي الطَّرفَ مَطروفُ

أُسلوب استفهام يستنكر به عنترة هذا الموقف، وردة الفعل الغير متوقعة من سمية زوجة أبيه، كيف تذرف سمية عَلَيَّ الدمعَ لمَّا رأتني مجروحاً هكذا وأشفقت عَلَيَّ، وهي السبب فيما وقع عَلَيَّ من ضربٍ وعذاب؟، وإذا كُنتِ يا سمية بهذا القدر من العطف والحنو والرأفة والشفقة، ألم يكن من الأفضل لو كان ذلك معروفاً عنكِ ومعهوداً مِنكِ قبل اليوم؟، كأنك في تصنعك الضعف والهلع حينما اتهمتيني زوراً، ظبيٌ صغيرٌ بمنطقة

عسفان ساجي الطرف مطروف: أي ضعيف النظر وقد طُرفت عيناه.

تَجَلَّلَتنِي إذ أَهوَى العَصَا قِبَلِي *٣* كَأَنَّهَا صَنَمٌ يُعتَادُ مَعكُوفُ

المَالُ مالُكُمُ والعبدُ عَبدُكُمُ *٤* فهل عَذَابُكَ عَنِّي اليومَ مصروفُ

عندما رأتني سمية مُلقىً جريحاً وشداد يهوي بالعصا ناحيتي، تجللتني أي: ألقت بنفسها عَلَيَّ لتُنقِذَنِي، فكانت في حُسنِ هيئتها مثل الصنم الذي يصوره صاحبه في أحسن صورة، وهذا الصنم يعكف عليه الناس ويعودوه أي: يزوروه، فيا شداد أَعلمُ أن المال مالُكَ وأنا العبدُ عبدُكَ وأُقِرُّ بذلك، فهل تصرف عني هذا العذاب وتَكُفَّ عن ضربي وتجريحي؟.

تَنسى بَلائِي إذا مَا غَارةٌ لَقَحَت *٥* تَخرُجُ مِنها الطُّوَالَاتُ السَّرَاعِيفُ

يَخرُجنَ مِنها وَقَد بُلَّت رحائِلُهَا *٦* بالماءِ يَركُضُهَا المُردُ الغَطَارِيفُ

قَد أَطعَنُ الطَّعنةَ النَّجلَاءَ عَن عُرُضٍ *٧* تَصفَرُّ كَفُّ أَخِيهَا وَهوَ مَنزوفُ

لَا شَكَّ للمَرءِ أنَّ الدَهرَ ذُو خَلَفٍ *٨* فِيهِ تَفَرَّقَ ذُو إلفٍ وَمَألُوفُ

ويعاتبه عنترة ويُذَكِّرُهُ بما كان منه ويقول له: أتفعل معي ذلك وتنسى بلائي واستماتتي في الدفاع عنكم، إذا ما لقحت أي: اشتدت غارات العرب على بني عبس، والمعارك التي ترى فيها الطوالات أي: الخيول التي تشبه السراعيف أي: الجراد في الخفة والسرعة، ترى هذه الخيول خارجة من هذه الحروب وقد ابتلت وابتل أصحابها بالعرق والدم، يركضها أي يجريها المرد الغطاريف أي: الشباب ذوو الكرم والشجاعة، وفي هذه المعارك قد أَطعَنُ الطعنة النجلاءَ أي: الواسعة، في سبيل الدفاع عن أعراض بني عبس، فترى العدو من أثر هذه الطعنة قد اصفرت يداه بعد أن نزف دمه ومات، ثم لا عجب من نسيانك كل ذلك مني، فهذه أحوال الدهر أنه ذو اختلافٍ وتغييرٍ يتفرق فيه كل صاحب إلفٍ أي: مودة ومن يألفه.

يا عبلُ قَرِّي

يـا عَبـلُ قَـرّي بـوادِي الرَّمـل آمِنــةً *١* مــن الـعُـداةِ وإن خُوِّفـتِ لا تَخَفِـي

فدونَ بيتِــكِ أُســدٌ فـــي أنــامِلِهَــا *٢* بِيْضٌ تقُدُّ أَعالــي البَيـضِ والحَجَـفِ

يخاطب عنترة عبلة ليطمئنها ويقول لها: لا تقلقي يا عبلة من شئ، ولا تخافي من عدوٍ إذا حاول أحدٌ أن يخيفَكِ وقرِّي أي: أقيمي في ديارك آمنةً مطمئنةً، فإن بين الأعداء وبين بيتك أُسودٌ شديدة البأس تحمل في أناملها أي: أصابعها، بِيضٌ أي: سيوفٌ تقض أي: تقطع كل بَيضٍ أي خوذة يرتديها الأعداء، وكل حَجَفِ أي: درع يتدرعون به.

لله دَرُّ بنـي عـبْسٍ لـقـــدْ بـلَغـــوا *٣* كلَّ الفَخَـارِ ونالـوا غايــةَ الشِّـرفِ

خافُوا من الحرْبِ لمّا أبصروا فرَسي *٤* تحتَ العُجَاجةِ يهْوي بي إلى التلفِ

ثمَّ اقْتفـوا أثـري مـنْ بعـدِ مـا عَلِمُـوا *٥* أنَّ المنيــةَ سهـمٌ غيـرُ مُنصَـرفِ

فلله در بني عبسٍ ما أعظم قدرهم وما أرفع شأنهم، لقد نالوا كل فخرٍ يُفتَخَرٌ به ونالوا أعلى مراتب الشرف، إلا أنهم لما رأوني أمتطي فرسي ومن فوقي العُجَاجَة أي: غبار الحرب، ورأوا فرسي يهوي بي إلى الموت وأنا أقتحم صفوف العِدى، خافوا على أنفسهم وتراجعوا ثم تفكروا، فأدركوا أن الموت سهمٌ لا بد أن يصيب صاحبه، سواءً كان في حربٍ أو سلمٍ فتتبعوا أثري وانضموا وحاربوا معي.

خضتُ الغبار ومُهري أدهمٌ حَلِكٌ *٦* فَعادَ مُخْتضِباً بالدَّمّ والجِيَفِ

ما زِلْتُ أُنْصِفُ خصْمي وهوَ يظْلمني *٧* حتى غدا منْ حُسامي غيرَ منتَصَفِ

وإنْ يعيبوا سواداً قد كُسيتُ بهِ *٨* فالدرُّ يسترهُ ثوبٌ من الصّدف

وقد اقتحمت في الحرب هذا الغبار أقاتل وأدافع وأمتطي مهراً أي: حصاناً أدهمٌ حَلِكٌ أي: أسودٌ شديد السواد، فعدت من هذه الحرب وفرسي ملطخ بدم الأعداء وأجسادهم، وعند قتالي الخصوم أنصفهم وأنزلهم منازلهم، وهم يظلمونني ويحقرون من شأني حتى جار عليهم حسامي أي: سيفي، وصاروا مظلومين منه غير منتصفين، وإن كان هناك أحدٌ يعيب عَلَيَّ

لوني الذي كسيت به، فإن الدُرَّ أي: اللؤلؤ مستورٌ داخل ثوبٍ من الصدف فلا يقلل ذلك من قيمته.

قافية القاف

***لقد وجدنا زبيداً**

***تُرى عَلِمَت عُبَيلة؟**

***صحا من سُكرهِ قلبي**

لقد وجدنا زَبيداً

قال عنترة هذه القصيدة في جملة القصائد التي قالها في الحرب التي كانت بين بني عبس وبني زبيد.

لقد وجـدنا زَبـيداً غيـرَ صابـرةٍ *١* يومَ التقينا وخيلُ المـوتِ تستَبِـقُ

إذ أدبـروا فَعَمِلنَـا فـي ظُهورِهُـمُ *٢* ما تَعمَلُ النارَ في الحَلفَي فتحتَـرِقُ

وخالـدٌ قـد تَرَكـتُ الطيـرَ عاكِفـةً *٣* على دِماهُ ومـا فـي جسْمِـهِ رَمَـقُ

عندما كانت الحرب مشتعلة بيننا وبين زبيد والتقينا بهم في ميدان المعركة، وكانت الخيل التي تسوق الفرسان إلى الموت تتسابق فيما بينها، وجدناهم غير صابرين على أهوال الحرب وغير محتملين لمشقتها، وأَدبَرُوا أي: هربوا فلحقناهم وعَمِلنَا فيهم الضرب والهلاك، فكنا مثل النيران التي تشتعل في نبات الحلفى فتحرقه ولا تُبقي عليه، حتى أن خالداً الزبيدي قد واجَهتُهُ في هذه الحرب وقاتَلتُهُ وهزمته، ثم تركته والطير تحوم حول جسده المغطى بالدم ولم يعد فيه رمقٌ من حياة.

خُلِقتُ للحربِ أُحْمِيهـا إذا بَـرَدَتْ *٤* وأصطلـي بلظاهـا حَيـثُ أَحتَـرِقُ

وألْتقي الطَّعْنَ تَحتَ النَّقْعِ مُبتسماً *٥* والخيلُ عابسةٌ قد بلَّها العرقُ

فما خُلِقَ رجُلٌ مثلي إلا ليُحارِبَ ويُقاتِلَ في المعارك والمعامع، وإذا ما كانت الحرب باردة أقوم بتحميتها بالكَرِّ والفَرِّ في الميدان، فتصيب نيرانها كل من فيها وأصطلي أي: أُصابُ أيضاً بالنيران فلا أعبأ بذلك، وألتقي بطعنات العدو من تحت النقع أي: الغبار المتصاعد، وأبادله بطعناتٍ أخرى وأنا أبتسم بينما الفرسان عابسون على خيولهم، وقد ابتلوا جميعاً بالعرق والدم.

لو سابقتني المنايا وهيَ طالبةٌ *٦* قبضَ النفوسِ أتاني قبلها السَّبق

ولي جوادٌ لدى الهيجاءِ ذو شغبٍ *٧* يسابقُ الطَّيرَ حتى لَيْسَ يُلْتَحَقُ

ولي حسامٌ إذا ما سُلَّ في رهجٍ *٨* يَشُقُّ هامَ الأعادي حين يُمتَشَقُ

وفي الحروب والمعارك إذا ما حدث وأراد المَوتُ أن يسابقني لقبض النفوس كان السبق لي والفوز من نصيبي، فأنا الفارس الذي لا يُشَقُّ له غبار ولي جوادٌ أي حصانٌ ذو شغبٍ أي: ذو شَرٍّ وأذى مع الأعداء، وقد بلغ من السرعة أنه إن سابق الطيور يسبقهم ولا يجارونه سرعة، كما أن لي سيفاً إذا ما قمت بسله أي: سحبه من غمده في رهجٍ أي: غُبارٍ مُتَصاعِدٍ في المعركة،

يقوم هذا السيف بشق هام أي: رؤوس الأعداء عندما يُمتَشَقُ أي: يُسحَبُ من جرابه ويُقَاتَلُ به.

أنــا الـهِزَبـرُ إذا خيـلُ العـدا طلعـتْ *٩* يومَ الوَغَى ودِماءُ الشُّوسِ تنْدفقُ

ماعَبَّسَتْ حَومَةُ الهيجاءِ وجه فتـىً *١٠* إلاّ ووجهـي إليهـا باسـمٌ طَلِـقُ

ما سابقَ الناسُ يوم الفضل مَكرُمَةً *١١* إلا بَــدَرتُ إليهـا حيـثُ تُستَبَـقُ

وإذا طلعت خيل الأعادي في أيام الوغى أي: الحروب، ورأيت الشوس أي: الفرسان الشجعان دماؤهم تتدفق من الحماس ورغبة القتال، فأنا الفارس الهزبر أي: الأسد الكاسر قوةً وشجاعةً أواجههم وأجندلهم، وإذا قامت حومة الهيجاء أي: أكثر بقعة فيها قتالٌ في الحرب، بجعل الفتى أي: القوي المليئ بالحيوية يعبس ويقلق من هول ما يحدث تراني باسماً طَلِقَ الوجهِ لا أعبأ بكل هولٍ أو شدة، وما سابق الناس إلى فعلٍ طيب يفعلونه أو خُلُقٍ كريمٍ يتحلون به، إلا كنت أول من ابتدر هذا الفضل وهذه المَكرُمَة.

تُرَى عَلِمَت عُبَيلَة؟

قال عنترة هذه القصيدة وهو في أسر المنذر بن ماء السماء ملك العراق، عندما ذهب إليها عنترة ليحضر مهر عبلة من نُوقِ المنذر.

تُـرى عَلِمـتْ عُبَيلـةُ مـا أُلاقـي *١* مِن الأَهــوالِ فــي أرضِ العـراقِ

طَغَانـي بالرِّيــا والمكـرِ عمّــي *٢* وجارَ علـيَّ فـي طَلــبِ الصَّــدَاقِ

يا تُرى هل تَرِدُ أخباري إلى عبلة؟ وهل تعلم ما ألقاه وأنا في الأسر عند المنذر في أرض العرق من أهوال وكُرَب، وكل ذلك راجعٌ إلى عمي مالك الذي طغاني أي: زاد في ظلمي، بالرياء والمكر والمبالغة في طلب صداقٍ لعبلة، يستحيل على أي أحد.

فخُضـتُ بمُهجَتِـي بَحـرَ المَنَايَـا *٣* وسِرتُ إلــى الــعِراقِ بــلاَ رِفَــاقِ

وسُقْتُ النُّوقَ والرُّعْيانَ وَحدِي *٤* وعُدْتُ أُجـدُّ مــنْ نــار اشْتياقــي

ومـا أَبعدتُ حتــى ثــار خلفــي *٥* غبارُ سنابِــكِ الــخيــلِ الــعِتــاقِ

وخضت بروحي وغامرت بحياتي في طريق السفر إلى العراق المليئ بالمشقة والصعاب، وسرت فيه بلا أنيسٍ أو صاحبٍ يصحبني ويُسَلِّي وحدتي، وما أن وصلت إلى أرض العراق حتى قصدت نُوقَ المنذر فهجمت عليها وعلى الذين يرعونها، وسقتهم جميعاً أمامي إلى طريق الحجاز ونار الشوق إلى الأحباب تشتعل بداخلي، وما أن ابتعدت بها قليلاً إلا وفرسان المنذر يسرعون خلفي يبغون اللحاق بي، وقد ثار الغبار أي: انتشر وارتفع من سنابك أي: حوافر خيولهم القوية العتيقة.

وطَبَّقَ كُلّ ناحيةٍ غُبارٌ *٦* وأُشعِلَ بالمُهَنَّدَةِ الرِّقاق

وضَجَّتْ تَحتهُ الفُرسانُ حتى *٧* حَسِبتُ الرعدَ محلولَ النِّطاقِ

فعُدْتُ وقد عَلِمْتُ بأَنَّ عمّي *٨* طغاني بالمُحال وبالنفاق

فعند ذلك قام غبارٌ كثيفٌ غطى النواحي كاملةً وامتلئت به الأرجاء، ثم اشتعلت المعارك بالسيوف الهندية الرقيقة السمك الحادة القطع، ومن تحت هذا الغبار تعالت أصوات الفرسان الآتون نحوي، فكان من علو صوتهم أني حسبت الرعد فك نطاقه: وهو قطعةٌ من قماشٍ ترتديه النساء حول خصرها، فلما فك الرعد غطائَهُ انساب وانتشر في الأرجاء -وذلك تصويرٌ بديعٌ

من عنترة- فعدت من الجهة التي كنت ذاهباً إليهت بمَهرِ عبلة، وأدركت أن عمي ظلمني وأهلكني بنفاقه أي: خداعه وطلبه المستحيل.

وبادَرتُ الفوارسَ وهي تَجري *٩* بطعنٍ في النحور وفي التراقي
وما قَصَّرتُ حتى كَلَّ مُهري *١٠* وقَصَّرَ في السِّباق وفي اللّحاق
نزلتُ عن الجوادِ وسقتُ جَيشاً *١١* بسيفي مثل سَوقِي للنِّياقِ
وفي باقي النَّهارِ ضَعُفتُ حتَّى *١٢* أُسِرتُ وقد عيَّ عَضُدِي وساقي

وقمت بمادرة الفرسان القادمون نحوي وأسرعت ناحيتهم، وابتدئتهم القتال والمناورة والكرُّ والفرّ، وانهلت عليهم بطعناتٍ في نحورهم أي: موضع الذبح من الإنسان، وفي تراقيهم وهي: العظام التي تعلو الكتف، وظللت هكذا معهم ولم أُقَصِّر في القتال ولم أتوانى، حتى كَلَّ أي: تَعِبَ حصاني وقَصَّرَ نتيجةً لذلك في الحركة ولم يستطع أن يجاريهم في السباق وفي اللحاق، فعند ذلك نَزَلتُ من عليه وحاربتهم وهم يُولون من أمامي، فكأني أسوقهم بسيفي كما أسوق النياق، حتى أصابني الضعف في

نهاية المطاف والتعب، فعند ذلك قاموا بأسري وقد عَيِيَ أي: تَعِبَ عَضُدِي أي: ذراعي وساقي، ولولا ذلك ما تمكنوا مني.

وفاضَ عليَّ بحرٌ من رجالٍ *١٣* بأَمواجٍ من السُّمْر الدّقاق

وقادُوني إلى ملكٍ كريمٍ *١٤* رفيعٌ قدرهُ في العزَّ راقي

وبعد ذلك فاض عَلَيَّ أي: أقبل عَلَيَّ جمعٌ كثيرٌ من رجال المُنذر، من كثرتهم كانوا كالأمواج تحمل السُمر أي: الرماح الدقيقة أي: الرفيعة، ثم قادوني وأخذوني إلى الملك الكريم المنذر بن ماء السماء، ذلك الملك الرفيع القدر الذي ارتقى في العز والملك، مبلغاً عالياً.

قَدْ لاَقَيْتُ بينَ يديهِ ليثاً *١٥* كريهَ المُلْتقى مُرَّ المذَاق

بوجْهٍ مثْلِ ظهر التُّرس فيهِ *١٦* لهيبُ النارِ يلمعُ فى المَآقِى

قَطَعتُ وريدَهُ بالسيفِ جَذرَاً *١٧* وعُدتُّ اليهِ أحَجِلُ في وثاقي

عَساهُ يجودُ لي بمُرادِ عَمِيّ *١٨* وينعمُ بالجمالِ وبالنياق

وقد قام المنذر بإحضار أسدٍ مخيف المنظر شديد القوة ليبارزني وأنا في أغلالي -وقد كان عادة عند الملوك مع الأسرى- وكان

هذا الأسد له وجهٌ مخيفٌ وصلبٌ مثل ظهر الترس أي: الدرع، وتستطيع أن ترى في مآقي عينيه أي: مجرى الدموع، لهيب النار وهو يشتعل، وبالرغم من أنه يتحلى بكل هذه الصفات المخيفة، وأني مقيدٌ في أغلالي وليس معي سوى السيف، قمت بمصارعته وقطعت وريده وهزمته، ثم عدت إلى الملك وأنا أحجل أي: أقفز وأنا في أغلالي، فلَعَلَّ الملك بعد ما رأى من شجاعتي وقوتي أن يجود لي بما يريده عمي مَهرَاً لعبلة، بل ويزيدني جِمَالاً ونِياقاً وهذا أملي منه وطمعي في كرمه.

صحا من سُكرهِ قلبي

صَحا منْ سُكْـرهِ قلْبـي وَفاقـا *١* وَزارَ النَّـوْمُ أجْفـانـي استِرَاقـا

وأسعَدَني الزمانُ فصار سَعْدي *٢* يشُقُّ الحُجـبَ والسبْـع الطِّبَاقـا

استيقظ قلبي من حالة السكر التي كان فيها وأفاق وعاد إلى وعيه وتركيزه، أما النوم فقد عاود الزيارة لأجفاني أي: عيوني ولكن استراقاً أي: خِلسةً، وأسعدتني الأيام وأحوال الزمان بعد حزنٍ طويل، حتى كان مقدار سعادتي من علوه أنه يجاوز السبع الطباقا أي: السماوات السبع.

أنـا العَبْدُ الـذي يلْقـى المَنايـا *٣* غـدَاةَ الرَّوعِ لاَ يخْشـى المَحَاقَـا

أكُرُّ على الفَوارِسِ يَومَ حَـربٍ *٤* ولا أَخشَـى الـمهنَّـدةَ الرِّقاقـا

وتُطرِبُنِي سيوفُ الهِنـدِ حتَّـى *٥* أهيـمَ إلـى مَضارِبِهـا اشْتياقـا

نعم أنا العبد الذي فاق الأحرار قوةً وشجاعةً ألقى المنايا أي: المصائب والأهوال المؤدية إلى الموت، غادة الروع أي: ساعة الحرب التي تُرَوِّعُ من فيها لشدتها ولا أخشى المَحَاقا أي: الهلاكا، فأنا الفارس الذي أَكُرُّ أي: أهجُمُ على الفرسانِ من

الأعداء في أيام الحروب ولا أخشى السيوف المهندة القوية النافذة القطع، بل أواجهها وكلي إقدام وكما تُطرِبُ الموسيقى أُذُنَ القومِ فإن قعقعة هذه السيوف تُطرِبُنِي كذلك، حتى أهيم من شدة الطرب وأطلب مواضع هذا الضرب اشتياقاً لصوتها، والقتال فيها.

وإني أعشقُ السمرَ العوالي *٦* وغيري يعشقُ البيضَ الرشاقا

وكاساتُ الأَسنَّةِ لي شرابٌ *٧* ألذُّ به اصطباحاً واغتباقا

وأطْرافُ القَنا الخَطّيِّ نَقْلي *٨* وريحاني إذا المضمارُ ضاقا

وإني لأعشق السُمر أي: الرماح العالية المرتفعة في ميدان الحرب والقتال، وغيري من الناس يعشقون النساء الجميلات، وأسنة الرماح بالنسبة لي هي كاساتي التي أشرب بها، ومذاق شرابها أتلذذ به إذا شربت صباحاً أو اعتباقا أي: شرب المساء، وأطراف الرماح هي طريقي إلى المجد، وراحتي إذا ما ضاق على الطريق.

جزَى الله الجَوادَ اليوْمَ عنّي *٩* بما يجزي بهِ الخيل العِتاقا

شَقَقتُ بِصدرِهِ مَوجَ المنايا *١٠* وخُضْتُ النَّقعَ لا أَخْشى اللِّحاقا

فلله دره جوادي الذي أركبه وأحارب به، وجزاه الله عني أفضل جزاءٍ يمكن أن يُجازَى به الخيل العتيق، فقد اخترقتُ بصدره وأنا على ظهره بحور المنايا أي: مواقع الحروب المميتة، وشققنا معاً غبار الحرب لا أخشى على نفسي أن يلحق بي أحد، أو أن يهزمني أحد.

ألاَ يا عبل لو أبصرتِ فعلي *١١* وخَيْلُ الموْتِ تَنْطَبِقُ انْطباقا

سَلي سَيْفي وَرُمحي عنْ قِتالي *١٢* هما في الحربِ كانا لي رفاقا

سَقَيتُهُمَا دَماً لو كانَ يُسقَى *١٣* بِهِ جَبَلاَ تِهامةَ ما أفاقا

وكم مِنْ سيدٍ خَلَّيتُ مُلقَى *١٤* يُحرِّك في الدّما قدماً وساقا

فليتك يا عبلة ترين ما الذي أفعله في الحروب وكيف يكون قتالي، وخيل الفرسان التي تحمل الموت تنطبق أي: تنغلق علَيَّ انغلاقا، ولكن دونَكِ سيفي ورمحي اسأليهم كما شئتي عن قتالي وبلائي، فهما رفيقاي في الحرب وشريكاي في الطعن والضرب، سيخبراكِ كم من مرة سقيتهما من دم الأعداء الذين أقاتلهم، لو سقيته الجبلان في تهامة لسكرا منه وما أفاقا، ولا أحصي عدداً كم من سيدٍ في قبيلته قد حاربني وقاتلني فهزمته وخليته أي:

تركته، ملقَىً في الأرض غارقاً في دمه، تتحرك قدماه من أثر خروج الروح.

قافية الكاف

***يا عبل إن كان**

***ريح الحجاز**

يا عبلُ إن كان

قال عنترة هذه القصيدة بسبب حربٍ كانت بين بني عبسٍ وطيئ.

يا عبْلُ إنْ كانَ ظلُّ القَسْطَلِ الحَلِـكِ *١* أخفى عليكِ قتالي يوم مُعتَرَكـي

فسائِلـي فرَسـي هـلْ كُنْـتُ أُطْلِقُـهُ *٢* إلاّ على مَوْكـبٍ كاللَّيـل مُحتبِـكِ

إن كان يا عبلة ظل القَسطَلِ الحَلِكِ أي: غبار الحرب الأسود حائلاً بينك وبين رؤية قتالي في يوم المعركة، فاسألي فرسي الذي أمتطيه هل اترك له العنان وحرية الجري في الميدان، إلا على موكب الأعداء الذي هو من سواده وكثرته، كالليل مُحتَبِك أي: متشابك.

وسائِلي السَّيفَ عنّي هلْ ضرَبتُ بهِ *٣* يـوم الكريهـةِ إلاّ هامـةَ الملـكِ

وسائلي الرُّمْحَ عنّي هلْ طعنْتُ بـهِ *٤* إلاَّ المُدَرَّعَ بينَ النَّحْـرِ والحَنـَكِ

ثم اسألي كذلك سيفي الذي أضرب به، هل ضربت به يوم المعركة إلا رأس ملك القوم وكبيرهم وسيدهم، واسألي رمحي عن الطعن الذي أطعنه به، هل طعنت إلا الفارس المدرع بالحديد

بين النحر والحَنَك أي: في موضع بين موضع النحر من رقبته وفمه، ذلك لأنه يكون عارياً من الحديد ولأن الإصابه فيه تكون قاتلة.

أسْقي الحُسامَ وأسقي الرُّمْحَ نَهْلَتَهُ *٥* وأتبعُ القِرنَ لا أَخشَى منْ الدَّرَكِ

كم ضربةٍ لي بحدّ السيف قاطعةٍ *٦* وطعنةٍ شَكَّتٍ القُربُوسَ بالكَرَكِ

لولاَ الذي تَرهَبُ الأملاكُ قدرتَهُ *٧* جعلتُ متنَ جوادي قُبَّةَ الفلكِ

فأنا يا عبلة أسقي حسامي أي: سيفي وأسقي رمحي النَهلَة أي: الشربة الأولى من دم الأعداء، وأتتبع القرن أي: العدو في الحرب لأقاتله ولا أخشى على نفسي أن يدركني أحدٌ ليغلبني، فكم من ضربةٍ ضربتها بحد السيفي قاطعةٍ وطعنةٍ طعنتها برمحي، فاخترقت القُربوس أي: طرف السرج الذي يكون على الحصان مع الكَركِ أي: الرداء الأحمر، ولولا الإله المليك الذي تخافه كل الأملاك وترهب من قدرته، لكنت جعلت جوادي السماء ومتنه أي: سيره الذي يُمسَكُ منه قبة الفلك.

ريحُ الحجاز

قال عنترة هذه القصيدة عندما كان في دمشق وأصابه الشوق لدياره ولعبلة.

ريــحَ الحجـازِ بحـقِّ مــنْ أنشـاكِ *١* رُدّي السلامَ وحيّـي مــنْ حَيَّـاكِ

هبِّي عسى وجدي يخِفُّ وتنطفي *٢* نــيـرانُ أشواقــي ببَـرْدِ هــواكِ

أيتها الريح الطيبة التي تاتي من الحجاز حيث تسكن عبلة، أقسم عليك بحق الذي خلقكِ وأنشأكِ أن تردي السلام، وتحيي من يلقي عليكي التحية، وهُبِّي عسى أن يَخِفَّ وجدي أي: عشقي قليلاً وتنطفئ النيران التي تشتعل بداخلي من الشوق، بالهواء البارد الذي أتيتي به من أرض الحجاز.

يــا ريــحُ لــولا أنَّ فيــك بَقيَّــةً *٣* مِنْ طيبِ عَبْلَةَ مـتُّ قبـلَ لِـقاكِ

كيف السلوُّ ومـا سمعتُ حمائمـاً *٤* ينْدُبْــنَ إلاّ كـنْــتُ أوَّل بـــاك

بَعُـدَ الـمزارُ فعَـادَ طيـفُ خيالـها *٥* عنّـــي قِفَــارَ مَهامِــهِ الأَعْنـــاكِ

لذا يا ريح الحجاز لولا أنك تحملين بقية من طيب أي: رائحة عبلة، لقتلتني نيران الأشواق حتى من قبل أن ألتقي بكِ، فكيف أتسلى عن عبلة وكلما سمعت الحمائم يندبن فوق الأغصان، إلا أخذني الوجد وخانتني العبرة وانسكبت مدامعي وكنت أول من يبكي، فقد بعدت أراضي الحبيب عن الزيارة حتى أصبح طيف خيال عبلة بعيداً عني، مثل بُعدِ أراضي قرية الأعناك الصحراوية التي لا زرع فيه ولا ماء.

يا عَبلَ ما أَخْشى الحِمامَ وإنما *٦* أخشى على عينيكِ وقت بُكاك

يا عبلَ لاَ يَحزُنْكِ بُعْدي وأبشِرِي *٧* بسلاَمتي واستَبشري بفِكاكي

فيا عبلة اعلمي أنني لا أخشى الحِمَام أي: النيران بل لا أعبأ بها، فكل ما أخشى عليه أن يصيب عينكِ أي مكروه بسبب بكائك علي، لذا لا تجعلي ابتعادي عنكِ يحزنكِ، وتفائلي وأبشري برجوعي وسلامتي من كل مكروه، وفكاكي من أي أسر يمكن أن أقع فيه.

هَلاَّ سأَلتِ الخيلَ يا ابنةَ مالكٍ *٨* إن كان بعضُ عداك قد أغراك

يُخبـرْكِ مـن حَضَـرَ الشـآمَ بأَننـي *٩* أصفيـتُ ودًّا مـن أرادَ هلاكـي

فهلا سألتي الخيول عني يا ابنة مالك، وعن قتالي وشجعاتي إن كان أحد أعدائك قد ضللك وأغراك بغير الصواب، فسيخبرك من حضر مواضع الشؤم في القتال، بأني قد أضمرت في نفسي الود لمن أراد أن يهلكني، وما ذلك إلا لطيب أخلاق عنترة.

ذلَّ الألى احتالـوا علـيَّ وأصبحـوا *١٠* يتشفعـون بسيفـي الفتَّـاك

فعفَـوتُ عـن أموالهـم وحريمهـم *١١* وحميتُ رَبعَ القومِ مثل حِمـاك

ولقد ذلت الجموع التي أرادت أن تقضي عَلَيَّ وتهلكني أمام قوتي وبأسي، فما وجدوا إلا أن يحتالوا عَلَيَّ ويخدعوني، وصاروا يتشفعون إلَيَّ بقوة سيفي الفتاك، فمن كرم أخلاقي عفوت عنهم وتركت لهم أموالهم ونسائهم، وقمت بحماية ربوعهم أي: منازلهم بإخلاصٍ كأنني أحميك يا عبلة.

ولقد حَمَلتُ علـى الأعَاجِمِ حَملَـةً *١٢* ضَجَّتْ لها الأَمْلاكُ في الأَفلاك

فَنَثَرْتُهُـم لمَّـا أَتُونـي فـي الفَـلاَ *١٣* بِسَنَـانِ رُمـحٍ للدّمـا سفَّـاك

ولقد قمت بشن حملة أي: هجمة على الأعداء من الاعاجم، بلغت من قوتها أن ضَجَّت لها الأملاك التي في السماء

واضطربت، ولما أتتني جموع الأعادى ليقاتلوني، قاتلتهم ونثرتهم أي: فرقتهم في الفلا أي: الصحراء، بقوة رمحي الذي هو لدم الأعادي سفاك.

قافية اللام

*طال الثواء

*دموعٌ في الخدود

*حَكِّم سيوفك

طال الثَّواءُ

سبب هذه القصيدة أن بني عبس قاموا بغزو بني تميم وقد كان سيدهم في ذلك الوقت هو قيس بن زهير، ولكن استطاع بنو تميم أن يردوا الغزو عن أنفسهم وانسحبت بنو عبس، فخرجت ورائهم مجموعةٌ من الفرسان ولم يتصدى لهم إلا عنترة لوحده، ورجع لقومه سليماً فقال سيدهم قيس: ما حمى القوم إلا ابن السوداء، فساء هذا القول عنترة كثيراً وأحزنه جداً، فقال على إثره هذه الأبيات.

طَال الثَّواءُ على رُسوم المنْزل *١* بين اللَّكيكِ وبين ذَاتِ الحَرْمل

فوقفت في عَرَصَاتِها مُتَحَيِّراً *٢* أَسَلُ الديارَ كفعل من لم يَذهَلِ

لَعِبَتْ بها الأَنْواءُ بعد أنيسها *٣* والرَّامساتُ وكل جونٍ مُسبِلِ

لقد طالت مدة الثواء أي: الإقامة على رسوم أي: آثار وبقايا منازل الأحباب التي بين منطقتي اللُّكَيكِ وذاتِ الحرمل، وقد وقفت في عرصات أي: ساحات هذه الديار متحيراً بحزني على فراق الأحباب، وأظل أسأل الديار عنهم باستمرار وحالي كحال من لم يذهل أي: لم يكف ويترك السؤال والأمر برمته، وللأسف

فقد لعبت الأنواء أي: الأمطار بملامح آثار الديار هي والرامسات أي: الرياح، وكل جونٍ مسبل أي: السحب السوداء المحملة بالأمطار الكثيفة.

أفَمِنْ بكاءِ حمامةٍ في أيكةٍ *٤* ذَرَفتَ دموعكَ فوق ظهر المِحمَلِ

كالدرِّ أو فَضَضِ الجُمانِ تقطَّعت *٥* منهُ عَقائِدُ سِلْكِهِ لم يُوصل

فما الذي دعاك للبكاء يا عنترة؟ أهو صوت بكاء الحَمامِ على الأيك أي: الأشجار الملتفة الغصون، لما سَمِعتُهُ فاضت دموعُكَ من عينيك وانسابت على ظهر المِحمَل أي: الدابة التي يُحمَلُ عليها المتاع، فكانت هذه الدموع من الدُرِّ أي: اللؤلؤ أو قطع متناثرة من الجُمَانِ أي: حب من الفضة مثل اللؤلؤ، تقطعت من سلكِ عِقدٍ لم يتم وصله.

لما سمعتُ دعاءَ مرَّة إذ دعا *٦* ودُعاءَ عبْسٍ في الوَغى ومُحلِّلِ

ناديتَ عبساً فاستجابوا بالقنا *٧* وبكلّ أبيضَ صارمٍ لم يَنْجَلِ

حتى استباحوا آلَ عوفٍ عُنوَةً *٨* بالمَشْرَفيّ وبالوشيج الذُّبَّل

وعندما سمعت دعاء مرة أي: بنو مرة -وقد كانوا حلفاءاً لتميم ضد عبس- وسمعت بني عبسٍ ينادون جميعاً للحرب والقتال،

قمت منادياً في بني عبسٍ أن انفروا، فاستجابوا لندائي بالقنا أي: الرماح وبكل سيفٍ قاطعٍ لم ينجلِ أي: لم يَنقُص من سُمكِهِ شئ، حتى استباح القوم أموال وأنعام آل عوفٍ عُنوةً أي: بالقوة والقهر، فقد غلبوهم بالمشرفي أي: السيف والوشيج الذبل أي: الخشب الذي تُصنَعُ منه الرماح، وأُرِيدَ به الرماح نفسها.

إني امرؤُ منْ خير عبسٍ منصباً *٩* شطري وأحمي سائري بالمِنصَلِ

إنْ يُلحَقُوا أكْرُرْ وإنْ يُستلحَمُوا *١٠* أشددْ وإنْ يُلفَوا بضنكٍ أنزِل

حين النزول يكونُ غايةَ مثلنا *١١* ويَفرُّ كلُّ مُضَلَّلٍ مُستَوْهِلِ

فأنا رجلٌ كريمٌ من خيار بني عبس ومنصبي عالٍ رفيع الشأن، وشطري أي: نسبي من ناحية أبي كريمٌ مرتفع، وأحمي سائري أي: نسبي من ناحية أمي من كل سفيهٍ أو جاهلٍ يتطاول عليه، أما بني عبس إذا ما كانوا في حربٍ ولحقهم الأعداء، أُسرِعُ إليهم لأدافع عنهم، وإن تلاحم الفريقان واشتبكا أَشدُد أي: أُقاتِلُ الأعداء بقوةٍ وشجاعة، وإن يُلفَوا بني عبسٍ أي: يحاطوا ويُبتَلَوا بضائقةٍ وضنكٍ في الحرب، أَنزِلُ إليهم وأكون عوناً لهم، وإن النزول في الحرب للقتال لهو غايةُ الشجعانِ من أمثالنا، ويفر منه كل جبانٍ مضلل يتيه في الجهل والحيرة.

ولقد أبيتُ على الطَّوى وأَظَلُّهُ *١٢* حتى أنال به كريمَ المأكلِ

وإذا الكَتيبةُ أحْجَمتْ وتلاحظَتْ *١٣* ألفيتُ خيراً منْ معمَّ مخول

وإني رجلٌ قد أبيت اليوم والليلة على الطوى أي: الجوع لا آكل شيئاً، حتى أنال شرف النفس وكريم المأكل إذا أكلت فيما بعد، وإذا الكتيبة أي: الفرقة من الفرسان أحجمت أي: تراجعت وجبنت في الحرب، وجدتني خيراً من الذين يتفاخرون بكرم أنسابهم من العم والخال، ويعرضون بأن نسبي هجين.

والخيلُ تَعلمُ والفَوارسُ أنني *١٤* فرَّقْتُ جمعهم بطعنةِ فيصل

إذ لاَ أبادرُ في المضيق فوارسي *١٥* ولاَ أُوكلُّ بالرعيل الأوَّل

وراكبي الخيل من جيوش الأعداء وبالأخص الفرسان الأشداء منهم، يعلمون تمام العلم أنني عند ملاقاتي للكتيبة الواحدة فيهم، فرقت جمعها عن طريق قتل قائدهم، فكانت طعنة فيصل أي: فاصلة لا تردد بعدها، وذلك لأني فارسٌ شجاعٌ عندما يكون قومي مولين هاربين لا أسابق معهم في مضمار الهرب، ولكن أتأخر عنهم لأحميهم، ولا أكون أبداً من الرعيل الأول أي: أول من يهزم من القوم.

ولقد غدوت أمامَ رايةِ غالبٍ *١٦* يوْمَ الهياج وما غَدَوْتُ بأَعْزل

بَكَرَتْ تخوفني الحتوفَ كأنني *١٧* أَصْبحْتُ عن غَرض الحَتوفِ بِمَعْزِل

فأَجَبْتُهَا إنْ المَنيَّة مَنْهلٌ *١٨* لا بدَّ أنْ أُسْقَى بكأْس المنْهل

فاقني حياءك لا أبا لكِ واعلمي *١٩* أني امرؤ سأموتُ إنْ لم أُقتَلِ

وفي ساعة هياج أي: اشتداد الحرب وازدياد حدة القتال، كنت صاحب الراية المنتصرة الغالبة، وكنت حاملاً سلاحي غير أعزل ولم أهرب كالذين هربوا، وها هي الحتوف أي: المهالك تحاول أن تَبُثَّ الخوف والرعب في داخلي، ألا يعلم من يخاف موارد الموت أنها مثل موارد الماء لا غنى عنها ولا بد قادمة، لذلك أجبت تلك الحتوف أن اقني أي: امتلكي بعض الحياء، وكفي عن تخويفي وإرهابي، فأنا رجلٌ إن لم يكن موتي عن طريق القتل سأموت موتاً عادياً، ولن أموت إلا في ساعتي فلا داعي للخوف.

إنَّ المنيَّة لو تُمثَّلُ مُثِّلتْ *٢٠* مثلي إذا نزلوا بضنك المنزل

والخيلُ ساهِمةُ الوجُوهِ كأَنَّما *٢١* تُسقَى فَوارِسُهَا نَقيعَ الحنظل

وإذا حَمَلتُ على الكريهِة لم أقلْ *٢٢* بعد الكريهةِ ليتني لم أفعل

وإن المنية أي: الموت في ساعة الحرب وهي مشتدة والفرسان في ضنك وضيقٍ شديد، لو تَصَوَّرَت وَتَمَثَّلت بصورة إنسان لكانت مثل صورتي وشكلي وذلك لشدتي وكره أعدائي لي، وفي ساعات الحرب يكون أصحاب الخيل ساهمون أي: متعبون ويائسون من شدة القتال، إذا نظرت إليهم تحسب أنهم قد شربوا من شراب الحنظل الذي هو شديد المرارة، أما أنا إذا حَمَلتُ: أكرهت نفسي على الدخول في حربٍ، فأنا على قدر المسؤولية وأبداً لا أتراجع ولا أعض أصابعي من الندم، على دخولي في حربٍ وجدت بعد ذلك شدتها وصعوبتها، ولم أقل ليتني لم أفعل.

دموعٌ في الخدود

قال عنترة هذه القصيدة من جملة القصائد التي قالها في صِباه.

دُموعٌ في الخدودِ لها مَسيلُ *١* وعينٌ نَوْمُها أبداً قليلُ

وصبٌّ لا يَقَرُّ له قرارٌ *٢* ولا يسْلو ولو طالَ الرَّحيلُ

ما وصف حالي إلا كالآتي: فأنا رجلٌ امتلأت عينه بالدموع وسالت بكثرة من على الخدود، وعيني لم تذق طعم النوم ولا تنال منه إلا القليل، فحالي حال صبٍ أي: عاشقٍ لا يستقر له قرارٌ أي: لا تستقر نفسه على راحة بال، فهو دوماً مضطرب ولا يسلوا أي: يتسلى عن مفارقة الأحباب أبداً مهما طال الابتعاد عنهم، ذلك الابتعاد الذي من شأنه أن يخفف من وطأة الشوق.

فَكم أبكي بإبْعادٍ وَبينٍ *٣* وتشجيني المنازلُ والطلول

وكم أبكي على إلْفٍ شجَاني *٤* وما يُغني البكاء ولا العويل

تلاَقَيْنا فما أطْفى التَّلاقي *٥* لهيباً، لا ولا بَرَدَ الغَليلُ

فكم من مرةٍ أبكي بكاءاً شديداً بسبب بعد الأحباب وبَينِهِم أي: ابتعادهم واغترابهم، وتشجيني أي: تصيبني بالحزن تلك المنازل والطلول أي: آثارها وبقاياها التي كان يسكن فيها الأحباب، وأتذكرهم كلما نظرت إليها فيزداد حزني ويشتد بكائي على إلفٍ أي: حبيبٍ أحزنني بعده عني، ولكن لا يفيد البكاء في شئٍ ولا يغني العويل أي: شدة البكاء، وقد تلاقيت أنا والمحبوب بعد فراقٍ واشتياق فما أطفأ هذا اللقاء لهيب العشق في داخلي، وما برد الغليل أي: مشاعر العشق الملتهبة في قلبي.

طَلبتُ من الزمانِ صفاءَ عَيْشٍ *٦* وَحَسْبُكَ قدْرُ ما يُعْطي البَخيلُ

وها أنا ميتٌ إن لم يعُني *٧* عَلَى أسر الهوى الصَّبْرُ الجَميل

وقد طلبت من الزمان وتمنيت عليه أن أحيا حياةً طيبةً وأعيش عيشةً صافيةً لا كدر فيها ولا غم، ولكن حالي وحاله كحال من يسأل العطاء من البخيل فحسبك أي: يكفيك ما يعطي الزمان فما عطاؤه إلا كعطاء البخيل، وإن لم يكن الصبر الجميل عوناً لي على التحكم في هواي وفي عشقي فأنا ميت لا محالة، إذ لا طاقة لي على تحمل كل هذه النيران الملتهبة في قلبي جَرَّاءَ عشقي.

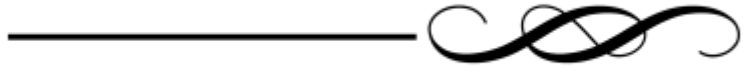

حَكِّم سيوفَكَ

قال عنترة هذه القصيدة عندما أغاروا على بني حريقة.

حَكِّم سيوفَكَ في رِقابِ العُذَّلِ *١* وإذا نَزلتَ بِدارِ ذُلٍّ فارحلِ

وإذا بُلِيتَ بظالمٍ كُن ظالماً *٢* وإذا لَقيتَ ذوي الجَهَالةِ فاجهَلِ

إذا ما كُنتَ فارساً شديد البأس ماضي السيف فلا تُحَكِّم أي: تضع سيفك إلا فوق رقاب العُذَّلِ أي: الحاسدين واللائمين، الذين لا يتمنون لك إلا كل سوء وشر لذا هم أحق بسيفك، وإذا كنت في موضعٌ فيه ذلٌ لك فاتركه فوراً ولتؤثر كرامتك وعزة نفسك، وارحل عن مواطن الذل والهوان، وإذا ما بلاك الزمان وتسلط عليك أحد الظالمين فعامله بنفس الظلم الذي يعامل الآخرين به، وإذا ما تسلط عليك أصحاب الجهالة والسفاهة، فلا تعاملهم إلا بجهالتهم لتذيقهم من الكأس التي يسقون الناس منها.

وإذا الجبانُ نَهاكَ يومَ كَريهَةٍ *٣* خَوفاً عَليكَ منَ ازدحامِ الجَحفَلِ

فَاعصِ مَقالَتَهُ ولا تَحفَل بها *٤* واقدِم إذا حَقَّ اللِّقا في الأوَّلِ

وإذا جاءك أحد الجبناء في يوم الكريهة أي: الحرب ونهاك عن الخوض فيها والقتال والمدافعة، خوفاً من ازدحام الجحفل أي: ازديدا العدد الكبير من جيوش الأعداء، فاعصه فيما يقول لك بل لا تحفل أي: لا تعبأ ولا تهتم بما يقول، وسر قُدُماً عند التقاء الصفوف ولا تكن إلا في صفوف المقاتلين الأولى.

واختَر لنَفسِكَ مَنزلاً تعلو بهِ *٥* أو مُت كَريماً تَحتَ ظِلِّ القَسطَلِ

فالموتُ لايُنجيكَ مِن آفاتِهِ *٦* حصنٌ ولو شيّدتهُ بِالجَندَلِ

موتُ الفتى في عِزَّةٍ خيرٌ لهُ *٧* من أن يَبِيتَ أَسيرَ طَرفٍ أَكحَلِ

وكن دقيقاً في انتقاء الكلمات وفي صدور الأفعال التي قد ترفع من قدرك أو تحط منه، فمن خلالها تختار لنفسك منزلةً ومكانةً تعلوا بها بين الناس، وإن لم تستطع تَخَيُّرَ المنازل فَأكرَمُ لكَ أن تموت شريفاً حميد الخُلُقِ والقول، تحت ظل القسطل أي: غبار الحرب المتصاعد، والموت لا بد قادمٌ وإذا ما أتى لا تستطيع النجاة من أياديه، حتى لو كنت في حصنٍ مشيد بالجندل أي: الصخور العظيمة في الحجم، ولا شئ أفضل من الموت عزيز النفس، فإن الموت في عزةٍ خيرٌ للمرءِ من أن يبيت عبداً لعشقٍ تَمَلَّكَهُ لِطَرفٍ أي: عين حسناء مكحلة.

إن كنــتُ فِـي عَددِ الـعَبيدِ فَهِمَّتِـي *٨* فَـوقَ الـثُّرَيَّــا والـسَّمَــاكِ الأَعـزَلِ

أَو أَنكَـرَت فُـرسـانُ عَبـسٍ نِسبَتِـي *٩* فَسَنَـانُ رُمحِــي والحُسـامُ يُقِـرُّ لــي

وَبِـذَابِلِــي ومُـهنَّــدِي نِلــتُ الـعُلا *١٠* لا بـالقَرَابَـــةِ والـعَديــدِ الأَجـزَلِ

وإن كُنتُ أُحسب وأُعَدُّ من جملة العبيد فإن لي هِمَّةً عَاليةً بلغت من ارتفاعها، أن فاقت علو الثريا أي: النجوم وارتفعت فوق السماك الأعزل -وهو نجمٌ معروف عند العرب بهذا الاسم هو ونجم آخر يُسمَّى بالرامح- وإذا أنكر فرسان بني عبس نسبي إليهم، فإن لي شهوداً هم سيفي ورمحي يُقِرُّونَ لي بفروسيتي ونسبتي للأبطال والشجعان، وبِذَابِلي أي: رمحي ومهندي أي: سيفي اللذان أقاتل بهما نلت المكانة العالية والشرف الرفيع، ولم أنلهما بقرابةٍ إلى أحدٍ ولا بالعديد الأجزل أي: الكثير من الرجال والتابعين.

وَرَميتُ مُهرِي في العَجَاجِ فَخاضَهُ *١١* والنارُ تقدَحُ مِن شِفارِ الأنصُلِ

خَاضَ الـعَجاجَ مُحجَّـلاً حتــى إذا *١٢* شَهِدَ الوقِيعةَ عَاد غير مُحَجَّــلِ

وقد ركبت خيلي ورميت به وبنفسي في العَجاج أي: غبار الحرب فخاضه أي: اخترقه بكل شجاعة، وتكاد ترى النار

تشتعل من شفار أي: أطراف الأنصل أي: الحديد المسنون في السهم والرمح، أما فرسي فقد اخترق غبار الحرب وهو مُحَجَّل أي: في قدمه بياض وصار يَكِرُّ ويَفِرُّ، وبعد أن شهد المعركة عاد منها وهو غير مُحَجَّلِ إذ صارت قدمه سوداء من لون الدم والوحل.

وَلَقَـد نَكَبـتُ بَنـي حَريقَـةَ نَكبَـةً *١٣* لمَّا طَعَنتُ صَميمَ قَلـبِ الأَخيَـلِ

وقَتلـتُ فَـارِسَهُـم ربـيعـةَ عُنـوةً *١٤* والهَيذُبَـانَ وجَابـرَ بـن مُـهَلهـلِ

وابنـي رَبيعَـةَ والـحَريشَ ومَـالِكـاً *١٥* والزُبرُقانُ غدا طـريـح الـجَنـدلِ

ولقد نكبت أي: ألحقت المصائب والضرر ببني حريقة وجعلتهم في هَمٍّ وَذُعرٍ عندما قابلني فرسانهم، فقاتلتهم وطعنت قلب الأَخيَلِ أي: المتكبر فيهم والمغتر بنفسه، وقتلت من فرسانهم المبرزين ربيعة وولداه والهيذبان وجابر بن مهلهل والحريش ومالك، وكلهم أبطالٌ في قومهم لهم شأن ومكانة، وتركتهم كذا الزبرقان صار مطرحا على الجندل أي: الصخور الكبيرة، جثةً هامدةً لا حول له ولاقوة.

وأنـا ابـنُ سَـوداءِ الـجبينِ كأنَّهـا *١٦* ضَبعٌ تَرَعرَعَ في رُسومِ الـمَنزلِ

الساقُ مِنها مِثلُ ساقِ نعامةٍ *١٧* والشعرُ مِنها مِثلُ حَبِّ الفُلفُلِ

والثغرُ مِن تَحتِ اللثامِ كأنَّهُ *١٨* بَرقٌ تلألأ في الظَّلامِ المُسدَلِ

وأن ابن تلك المرأة السوداء التي تعايرونني بها والتي هي كأنها ضبعٌ تربى ونشأ في بقايا المنازل المهجورة، فكانت نشأةً شاقةً وعسيرةً وهذه المرأة لها ساقٌ مثل ساق النعامة خفةً وسرعةً، في السعي عل معاشها ومعاش من تعول، ولها شعرٌ مُتَلَوِّ مثل حَبِّ الفُلفُل، ولها ثغرٌ أي: أسنانٌ إذا رأيتها باديةً من تحت اللثام وجدتها تلمع كأنها برقٌ أضاء في وسط الظلام المسدل أي: المنتشر الواسع.

يانازلينَ على الحِمَى وديارِهِ *١٩* هَلاّ رأيتُم فِي الديارِ تقَلقُلي

قَد طالَ عِزُّكُمُ وذُلِّي في الهَوى *٢٠* وَمِنَ العَجائِبِ عِزّكُم وتذَلّلي

فيا أيها الأحباب النازلين في حمى بني عبسٍ والديار التي فيها، هَلَّا نظرتم إلى تقلقلي أي: قلقي على المطلوب، فقد طال عزكم بمحبتي وعشقي لكم الذي هو عين الذل الذي أنا فيه، ويا أيها الملأ من قومي النازلين في حمى بني عبس، هَلَّا رأيتم قلقي

وصبري إلى متى تنكرون فضلي وتجحدون نسبي وأصلي، وإنه لمن العجائب عِزُّ أمثالكم وذل من هو مثلي.

لا تَسقِنـــي مَـــاءَ الـحَيـــاةِ بِـذِّلَـــةٍ *٢١* بل فاسقِني بِالعِزِّ كـأس الحَنظَـلِ

مـــاءُ الـحيـــاةِ بِـذِّلَـــةٍ كـجَهنَّـــمٍ *٢٢* وجَـهنَّـمٌ بِـالعِـزِّ أطيـبُ مَنـــزلِ

فيا أيها الزمان لا أريد منك أن تَهَبَنِي الحياة بالتذلل والمهانة، ولكن إن شئت فارمني بكل مُرٍّ وعسيرٍ مثل كأس الحنظل ولكن وأنا عزيزٌ كريم، فإن الحياة بالذل والمهانة مَثَلُهَا كَمَثَلِ جهنم وإن جهنم نفسها بعز النفس وكرمها أطيب منزلِ.

قافية الميم

***هل غادر الشعراء(المعلقة)**

***أتاني طيف عبلة**

***قِفا خليلَيَّ**

***سأُضمرُ وجدي**

هل غادر الشعراء (المُعَلَّقَة)

قال عنترة هذه القصيدة بعد أن اعترف به شداد ونسبه لنفسه، وكانت بسبب أنه كان جالساً في مجلسٍ مع القوم، فقام أحد بني عبسٍ وأهانه وعَيَّرَهُ بِأُمِّهِ وأنَّ لهُ إخوةً عبيداً منها، فقام إليه عنترة وتفاخر عليه وذكر من صفاته الحميدة وأخلاقه، فقال له الرجل: أنا أَشعَرُ منك فقال عنترة: ستعرف ذلك، وأنشأ يقول هذه القصيدة.

هَلْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ *١* أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ

أَعْيَاكَ رَسْمُ الدَّارِ لَمْ يَتَكَلَّمِ *٢* حَتَّى تَكَلَّمَ كَالأَصَمِّ الأَعْجَمِ

وَلَقَدْ حَبَسْتُ بِهَا طَوِيلاً نَاقَتِي *٣* أَشْكُو إلى سُفْعٍ رَوَاكِدِ جثَّمِ

هل ترك الشعراء السابقين أي غرضٍ للشعر من مدحٍ وذمٍّ وغيره ولم يتكلموا فيه، بل استوفوا كل الأغراض وردموها أي: أصلحوها وزادوا فيها، وهل يا عنترة استطعت أن تعرف لمن هذه الدار إلا بعد أن توهمت فيها، ولم تتعرف عليها في أول الأمر، لقد أعياك أي: حيَّرك أثر الدار الصامت الذي لم يدلك على نفسه، حتى توهمت أنه ليس هو وما تعرفت عليه إلا كما تعرف

المعنى من الأصم الذي لا يتكلم أو الأعجم الذي لا تفهم لغته، وما ذلك إلا لصعوبة معرفة هذه الديار وهذه الآثار، أما هذه الديار التي هجرها أهلها كم كُنتُ أربِطُ فيها ناقتي عندما أتوقف عندها لأرى الأحباب، والآن صِرتُ أشكوا فراقهم إلى السفع أي: الأحجار السوداء، التي كانت توضع عليها آنية طبخ الطعام.

يَــادَارَ عَبْلَــةَ بِــالـجَوَاءِ تَكَلَّمِــي *٤* وَعِمِّــي صَبَاحَـاً دَارَ عَبْلَـةَ وَاسْلَمِـي

دَارٌ لآنِسَــةٍ غَضِيْــضٍ طَرْفُـهَــا *٥* طَـوْعَ الـعِنــاقِ لـذيــذةِ الـمُتَبَسَّــمِ

فيا دار عبلة الموجودة في الجواء -وهو اسم موضعٍ في نجد- تكلمي وحدثيني بأخبار الأحبة، وكيف هي أحوالهم وأيامهم وانعمي صباحاً يا دار عبلة، ولتسلم أركانُكِ من المحو والخراب، فهذه الدار مِلكٌ لامرأةٍ حسناءَ تسكن فيها، ومن مظاهر جمالها أنه غضيضة الطرف أي: تكون عينيها مثل عين الذي به نعاس فتكون نصف مفتوحة، وهي امرأةٌ يسعد بها من يتزوجها ويأوي إليها، كما أنها حسنة المنظر عندما تبتسم فابسامتها حلوةٌ لذيذة.

فَوَقَفْــتُ فِيهَــا نَاقَتِــي وَكَأَنَّــهَــا *٦* فَــدَنٌ لأَقْضِــي حَـاجَــةَ الـمُتَلَــوِّمِ

وَتَحُلُّ عَبْلَــةُ بِالجَــوَاءِ وَأَهْلُنَــا *٧* بِــالْحَــزْنِ فَــالصَّمَــانِ فَــالمُتَثَلَّــمِ

وقد توقفت عند دار عبلة لأبكي ما بي من شوقٍ للأحباب وربطت فيها ناقتي، التي من ضخامتها كأنها فدنٌ أي: قصرٌ وظللت بالدار ماكثاً وحالي وحالها كحال المُتَلَوِّمِ أي: الذي يُصِرُّ على شخصٍ أو على شئ ويمكث عليه إلى أن تُقضَى حاجته، وأظل هكذا حتى تأتي عبلة وتَحُلُّ في أرض الجواء وتأنس بها، وأهلنا أي: قومنا ماكثون في أرض الحَزَن –وهي أرضٌ لتميم- والمتلثم- أرضٌ لتيم كذلك وعندهما جبل الصمان.

حُيِّيْتَ مِــنْ طَلَــلٍ تَقَــادَمَ عَهْــدُهُ *٨* أَقْــوَى وَأَقْفَــرَ بَـعْــدَ أُمِّ الـهَيْثَــمِ

حَلَّتْ بِأَرْضِ الزَّائِرِينَ فَأَصْبَحَتْ *٩* عَسِرَاً عَلَــيَّ طِلاَبُــكِ ابْنَــةَ مَــخْرَمِ

عُلِّقْتُهَــا عَرَضَــاً وَاقْتُــلُ قَوْمَهَــا *١٠* زَعْمَاً لَعَمْــرُ أَبِيــكَ لَيْــسَ بِمَزْعَــمِ

فحياك الله أيها الطلل من ديار الأحبة الذي تقادم أي: طال عهده وزمنه، ولكنه أقوى وأقفر أي: هجره أهله وصار خالياً لا سكان فيه، بعد ما كان معموراً بأم الهيثم وهي المحبوبة، وقد حَلَّت وقَدِمَت بأرض الزائرين أي: قومها وهم أعداء عنترة، فصار طلب ودادُكِ ورؤيتُكِ عسيراً علَيَّ يا ابنة مَخرَمِ، ولقد عَلِقَ بي

عشقها وأصابتني محبتها عرضاً أي: بدون قصدٍ مني، ولكن ما أزعُمُهُ من محبتي لها ليس له صِدقٌ وبُرهانٌ فها انا اقتل قومها، فلذلك أصبح زعمي زعماً باطلاً.

وَلَقَدْ نَزَلْتِ فَلا تَظُنِّي غَيْرَهُ *١١* مِنِّي بِمَنْزِلَةِ المُحِبِّ المُكْرَمِ

كَيْفَ المَزَارُ وَقَدْ تَرَبَّعَ أَهْلُهَا *١٢* بِعُنَيْزَتَيْنِ وَأَهْلُنَا بِالغَيْلَمِ

ولقد نزلت بهذه الدار وأقمت فيها فلا يساوِرُكِ الشك وتظني أن غير هذا المنزل وهذا الربع أعز إلي قلبي منه وأقرب إلى نفسي منه، فكيف تكون الزيارة التي تسر القلب برؤية الأحباب وأهل الدار قد تركوها وتربعوا أي: استقروا، بمكانٍ شديدِ البعد عني في أرض الغيلم.

إِنْ كُنْتِ أَزْمَعْتِ الفِرَاقَ فَإِنَّمَا *١٣* زُمَّتْ رِكَابُكُم بِلَيْلٍ مُظْلِمِ

مَا رَاعَنِي إلاَّ حَمُولَةُ أَهْلِهَا *١٤* وَسْطَ الدِّيَارِ تَسَفُّ حَبَّ الخِمْخِمِ

لذا فإن كُنتِ قد أزمَعتِ أي : نويتِ الفراق رغم ما يحمله من آلام، فقد قام أهلُكِ بالفعل بِزَمّ أي: تجهيز الركاب للسفر أثناء الليل المظلم، فساءني ذلك وما راعني أي: أهمني وأشغلني إلا المحبوبة التي حُمِلت على هذه الركاب، وهي الآن سائرةٌ في

طريقها تَسُفُّ أي: تلتَقِطُ بفمها حب الخَمخَمِ وهو: نبات شوكي يكون في الصحاري.

فِيهَا اثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ حَلُوبَةً *١٥* سُودَاً كَخَافِيَةِ الغُرَابِ الأَسْحَمِ

إِذْ تَسْتَبِيْكَ بِأصلَتِيٍّ نَاعِمٍ *١٦* عَذْبٍ مُقَبَّلُهُ لَذِيذِ المَطْعَمِ

وهذه الركائب التي رحلت عن هذه الديار والتي يملكها أهل المحبوبة، كثيرة العدد فهي تحوي اثنتان وأربعون ناقةً حلوبةً من النوع الأسود الذي هو شديد الندرة، فما بالك بباقي النوق التي لديهم، وهذه النوق الحلوبة كانت شديدة السواد مثل خافية الغراب أي: أطراف الريش الأسود من الغراب الأسحم أي: الأسود، أما المحبوبة فإنها بلغت من الجمال أنها تأسر عقلك بأصلَتِيٍّ أي: سيفٍ ناعمٍ -ويقصد الشفاه- وهو حلو المذاق لذيذ المطعم.

وَكَأَنَّمَا نَظَرَتْ بِعَيْنَيْ شَادِنٍ *١٧* رَشَأٍ مِنَ الْغِزْلانِ لَيْسَ بِتَوْأَمِ

وَكَأَنَّ فَأْرَةَ تَاجِرٍ بِقَسِيْمَةٍ *١٨* سَبَقَتْ عوَارِضَهَا إِلَيْكَ مِنَ الْفَمِ

وإذا ما رأيتُ المحبوبة ماثلةً فكأني رأيت أمام ناظري شادناً أي: وليد الغزال الذي وقف على قدميه تواً، فهو يبدوا حسناً جميل

المظهر، ومن كمالات حسنه أنه رَشَأٌ أي: شديد الحسن وقد وُلِدَ وحده دون شريكٍ له في بطن أمه فكانت خِلقَتُهُ تامةٌ حسنةٌ، وإذا شممتُ أنفاس المحبوبة فكأنني أمام فأرة أي: رشَّاشَةِ عطرِ تاجرٍ يحمل العطر معه في القسيمة أي: ما يُحمل فيها العطور، وقد سارعت هذه الرائحة الطيبة إلى أنفي وقد خرجت من فم المحبوبة.

أَوْ رَوْضَـةً أُنُفَـاً تَـضَمَّـنَ نَبْتَهَـا *١٩* غَيْثٌ قَلِيـلُ الدِّمْـنِ لَيْـسَ بِمُعْلَـمِ
جَادَتْ عَلَيْـهِ كُـلُّ عَيْـنٍ ثَـرَّةٍ *٢٠* فَتَرَكْـنَ كُـلَّ حَدِيقَـةٍ كَالدِّرْهَـمِ
سَحَّـاً وَتَسْكَابَـاً فَكُـلُّ عَشِيَّـةٍ *٢١* يَجْـرِي عَلَيْهَـا المَـاءُ لَـمْ يَتَصَـرَّمِ

وإن جمال عطر أنفاس المحبوبة مثل الروضة أي: الحديقة من الزرع، التي تَضَمَّن أي: تولى رعاية نباتها وسقايته غيثُ مطرٍ من السماء، وهذه الروضة قليلة الدِمَن أي: النبات المتعفن وذلك لقلة من يطأ هذه البقعة، فهي في موضعٍ غير معلوم فهذه الحديقة قد جادت عليها كل عين ماءٍ ثرية بما فيها، فأصبحت البحيرة في الحديقة في بياض لونها واستدارتها مثل شكل الدرهم، وما ذلك إلا لأن الماء يَسِحُّ فيها وينسكب في كل يومٍ

وليلةٍ لم يَتَصَرَّمِ أي: ينقطع، وكل ذلك من مظاهر حسنها وجمالها.

وَخَلاَ الذُّبَابَ بِهَا فَلَيْسَ بِبَارِحٍ *٢٢* غَرِداً كَفِعْلِ الشَّارِبِ المُتَرَنِّمِ

هَزِجَاً يَحُكُّ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ *٢٣* قَدْحَ المُكِبِّ عَلَى الزِّنَادِ الأَجْذَمِ

وهذه الروضة الطيبة بلغت من روعتها وبهاءها أن صار الذباب يألفها ويهوى الحياة فيها فهو غير بارح أي: تاركٍ إياها، ويظل فيها مغرداً أي: مغنياً وحاله كحال الذي أفرط في الشراب فيظل يغني ويترنم بدون وعيٍ وإدراك، ويغني الذباب فيها هزجاً أي: يمدد في الصوت ويجوده ويحك ذراعه بالأخرى، فأصبح في صورته هذه مثل رجلٍ أجذم أي: مقطوع اليدين يمسك بالزناد أي: العصا بما تبقى من ذراعيه، ويقوم بلفها ليشعل بها النار.

تُمْسِي وَتُصْبِحُ فَوْقَ ظَهْرِ حَشِيَّةٍ *٢٤* وَأَبِيتُ فَوْقَ سَرَاةِ أَدْهَمَ مُلْجَمِ

وَحَشِيَّتِي سَرْجٌ عَلَى عَبْلِ الشَّوَى *٢٥* نَهْدٍ مَرَاكِلُهُ نَبِيلِ المَحْزِمِ

وهذه المحبوبة لا يليق بها أقل من حياتها المترفة التي تحياها، فهي تمسي وتصبح على ظهر حَشِيَّة أي: فراشٍ ناعمٍ مريح، أما أنا فأمسي وأصبح فوق ظهر حصانٍ أدهمٍ أي: أسودٍ ملجَّمٍ، وما

فراشي الذي أنام عليه إلا سرجٌ مربوطٌ على الشّوى أي: الموضع في الفرس الذي يركله الفارس بمؤخر قدمه، وهذا الموضع نهد المراكل أي: كبير الحجم ونبيل المَحزَمِ أي: موضع ربط حزام السرج في الفرس.

هَــلْ تُبْلِغَنِّــي دَارَهَــا شَدَنِيَّــةٌ *٢٦* لُعِنَــتْ بِمَحْرُومِ الــشَّرَابِ مُصَــرَّمِ

خَطَّــارَةٌ غِــبَّ السُّــرَى زيــافــةٌ *٢٧* تَطِسُ الإِكَامَ بِــذَاتِ خُــفٍّ مِيْثَــمِ

وَكَأَنَّمَــا أَقِــصَ الإِكَــامَ عَشِيَّــةً *٢٨* بِقَرِيــبِ بَيْــنَ المَنْسِمَيْــنِ مُصَلَّــمِ

فهل تحملني على ظهرها وتوصلني إلى دارها شَدَنِيَّةٌ أي: ناقةُ من وصفها أنها قد انقطع اللبن من ضرعها، فكان هذا القطع أدعى لقوتها ونشاطها، ولكنه عيبٌ لُعِنَت أي: سُبَّت بهِ، وهذه الناقة خَطَّارة أي: تهز ذيلها يمنةً ويسرةً أثناءَ سيرها دلالةً على نشاطها، فهي تُزَيِّفُ أي: تقطَعُ الطريق بسرعةٍ أثناء المسير بالليل، ومن قوتها أنها تَطُسُّ أي: تَطأُ الإكام أي: الصخور التي يصعب السير فيها بخفٌّ ميثَمٍ أي: شديد الوطئ والقوة، وعندما أرى هذه الناقة على هذه الصورة كأنني أرى ذكر النعام الذي هو شديد السرعة، ومن صفاته أنه قريبُ بين المِنسمين أي: أقدامه قريبةٌ جداً من بعضها، كما أنه مُصلَمِ أي: مقطوع الأذن.

تَـأْوِي لَـهُ قُلُـصُ النَّعَامِ كَمَـا أَوَتْ *٢٩* حِـزَقٌ يَمَانِيَـةٌ لأَعْجَـمَ طِمْطِـمِ

يَتْبَعْـنَ قُلَّـةَ رَأْسِـهِ وَكَأَنَّـهُ *٣٠* حِـدْجٌ عَلَـى نَعْـشٍ لَهُـنَّ مُخَيَّـمِ

صَعْلٍ يَعُودُ بِذِي العُشَيـرَةِ بَيْضَـهُ *٣١* كَالعَبْدِ ذِي الفَرْوِ الطَّوِيلِ الأَصْلَـمِ

وذكر النعام هذا تأوي وتلتف حوله قُلَصُ أي: جُموعُ النعام فكانت في صورتها هذه كصورة حِزقٍ أي: جموعٌ أيضاً، ولكن من أهل اليمن تلتف حول رجلٍ أَعجَمَ طَمطَمِ أي: لا يُفهَمُ من قوله شئ -ذلك أن أهل اليمن قريبين من الأحباش الذين هم أعاجم، وقد ذكر ذلك الخطيب التبريزي في شرحه- وهذه الجموع من النعام يسيرون خلف هذا الأعجم ويتتبعون قُلَّةَ رأسه أي: مُرتَفَعَ رأسهِ وذلك كنايةً عن طوله، وهو في قامته هذه كأنه جالسٌ على نعشٍ محمول وفوقه خيمة يتظلل بها، أما ذكر النعام المقطوع الأذن هذا يعود أي: يزور ويتعهد بَيضاً له في موضعٍ يُسمَّى ذو العُشَيرة، وحاله كحال العبد الأصلم أي: مقطوع الأذن الذي يرتدي الفرو فوق ملابسه، فقلق هذا الظليم أي: ذكر النعام على بيضه يدفعه للإسراع في الوصول إليه، وذلك حال الناقة التي يركبها عنترة.

شَرِبَتْ بِمَاءِ الدُّحْرُضَيْنِ فَأَصْبَحَتْ *٣٢* زَوْرَاءَ تَنْفِرُ عَنْ حِيَاضِ الدَّيْلَـمِ

وَكَأَنَّمَا تَنْأَى بِجَانِبِ دَفِّهَا الـــ *٣٣* وَحْشِيِّ مِنْ بعد مخيلة وتزغم

هِرٍّ جَنِيبٍ كُلَّمَا عَطَفَتْ لَـــهُ *٣٤* غَضَبْى اتَّقَاهَا بِاليَدَيْنِ وَبِالفَمِ

أَبْقَى لَهَا طُولُ السِّفَارِ مُقَرْمَداً *٣٥* سَنَداً وَمِثْلَ دَعَائِمِ المُتَخَيِّمِ

وعندما بلغت بي الناقة ماء الدُحرِضَين وهما عينا ماءٍ لبني سعد، شربت من هذا الماء صارت الناقة زوراء أي: باديةً ظاهرةً تّنفِر أي: تدافع عن حياضها كدفاعها ضد الديلم وهم: ظائفة من الأتراك ضربهم عنترة مثلاً للأعداء، ثم هذه الناقة إذا رأيتها وهي تختال في مشيتها كأن هناك قِطٌّ يسير بجانبها الأيسر فدفعها إلى أن تميل إلى دَفِّهَا أي: جانبها الوحشي أي: الأيمن بسرعةٍ وتزغم أي: نشاط، وكلما مالت عليه الناقة لتزيحه عنها قابلها بمخالبه وأنيابه، وقد بلغت من قوة تحملها وصبرها من طول السفر والعناء أن صارت من بعده كبيتٍ بارز القراميد أي: الطوب مشيد البنيان، لعظم حجم الناقة وضخامتها وهذا البيت له دعائم تُنصَبُ عليها الخيام.

بَرَكَتْ عَلَى مَاءِ الرِّدَاعِ كَأَنَّمَا *٣٦* بَرَكَتْ عَلَى قَصَبٍ أَجَشَّ مُهَضَّمِ

وَكَأَنَّ رُبَّاً أَوْ كُحَيْلاً مُعْقَداً *٣٧* حَشَّ الوَقُودُ بِهِ جَوَانِبَ قُمْقُمِ

يَنْبَاعُ مِنْ ذِفْرَى غَضُوبٍ حُـرَّةٍ *٣٨* زَيَّافَـةٍ مِـثْـلَ الـفَنِيـقِ الـمُكْـدَمِ

وبعد أن وقفت الناقة على عين الماء حريصةً كأنها تدافع عنها ضد عدوٍ قويّ، بركت عليه بلهفةٍ لتشرب منه وتروي ظمأها كأنها بركت على قصبٍ أي: حنين، وهو الصوت الذي تصدره الناقة عند شوقها أو حزنها على ولدها، وهو صوتٌ أَجَشٌّ مُهَضَّمِ أي: به خشونةٌ وقوَّة، وإذا رأيت صورتها وهي مُجهَدةٌ يسيل العرق منها، كأنك ترى رُبًّا أو كُحَيلاً معقداً أي: قطراناً مطبوخاً، وذلك لأن عرق الناقة عند سيلانه من قُمقُمِها أي: قفاها يكون لونه أسوداً مثل القطران، ثم يَصفَرُّ بعد أن ييبس فهو عرقٌ ينباع أي: يسيل من قفا ناقةٍ غضوبٍ أي: بها غضبٌ كنايةً عن نشاطها، حرةٍ أي: كريمة الأصل زيافةٌ أي: تقطع الطرق بسرعةٍ مثل الفنيق المُقرَم أي: فحل الإبل الذي عوفي من الحمل عليه لكرمه وأصالته.

إِنْ تُغْدِفِي دُونِـي القِنَـاعَ فإِنَّنِـي *٣٩* طِـبٌّ بـأخـذِ الـفَـارسِ الْـمُسْتَلْئِـمِ

أَثْنِـي عَلَـيَّ بِمَـا عَلِمْـتِ فَإِنَّنِـي *٤٠* سَمْـحٌ مُخَالَقَتِـي إِذَا لَـمْ أُظْلَـمِ

فَإِذَا ظُلِمْـتُ فَـإِنَّ ظُلْمِـي بَاسِـلٌ *٤١* مُـرٌّ مَـذَاقَتُـهُ كَـطَعْـمِ الـعَلْقَـمِ

فيا أيها المحبوبة اعلمي أنك لو أرسلتي أي: أسدلتي القناع على وجهك وجعلتيه حائلاً بيني وبين رؤيته، فإنني طِبٌ أي: خبيرٌ ولطيفٌ بمثل هذه الأحوال، وأعرف كيف أتعامل مع الفارس المستلئمِ أي: الذي كسا نفسه بالدروع، ومن ثَمَّ فَلَكِ أن تُثنِي عَلَيَّ أي: تمدحيني بما عرفتيه عني وعلمتيه علم اليقين من شمائلي، فأنا رجلٌ سمحٌ مخالقتي أي: حسن المعشر والمعاملة مع الناس إلا إذا تعرضت للظلم، ففي هذه الحالة أرد عليه بظلمٍ باسلٍ أي: شديدٍ لا قوة لأحدٍ به، لأن مذاقه شديد المرارة مثل مذاق العلقم وهو: نبات الحنظل الذي يعرف عنه أنه شديد المرارة.

وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ المُدَامَةِ بَعْدَمَا *٤٢* رَكَدَ الهَوَاجِرُ بِالمَشُوفِ المُعْلَمِ

بِزُجَاجَةٍ صَفْرَاءَ ذَاتِ أَسِرَّةٍ *٤٣* قُرِنَتْ بِأَزْهَرَ فِي الشِّمَالِ مُفَدَّمِ

فَإِذَا شَرِبْتُ فإِنَّنِي مُسْتَهْلِكٌ *٤٤* مَالِي وَعِرْضِي وَافِرٌ لَمْ يُكْلَمِ

وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أُقَصِّرُ عَنْ نَدَىً *٤٥* وَكَمَا عَلِمْتِ شَمَائِلِي وَتَكَرُّمِي

ولقد شربت في حانة الساقي من المدامة أي: الخمر المعتقة، وذلك في الوقت الذي ركد فيه الهواجر: أي: وقت الظهيرة، وأنا

بالمَشُوفِ أي: ملابسي البارزة المعلم أي: المميزة، وقد شربت هذه المدامة من زجاجة صفراء نظراً للون الخمر فيها، وكانت مقرونة أي: مصاحبة لـ أزهرَ أي: إبريقٌ كامنٌ في يسار الساقي وهو مُفدَم أي: على فتحته قطعة قماش تغلقها، وعند شربي الخمر إذا ما سكرت فأنا أهلك مالي أعطية لهذا وذلك وللساقي كذلك، إلا أن عرضي وحسبي وشرفي وافرٌ سليمٌ معافي لم يُكلَمِ أي: يجرح ويُمسُ بسوء، وفي حال صحوي لا أُقَصِّرُ أبداً عن ندى أي: الكرم والأعطيات فالكرم والجود ملازمان لي في حال سكري وصحوي، ولقد علمتِ يا عبلة شمائلي أي: أخلاقي وإكرامي لغيري وجودي للناس.

وَحَلِيلِ غَانِيَةٍ تَرَكْتُ مُجَدَّلاً *٤٦* تَمْكُو فَرِيصَتُهُ كَشِدْقِ الأَعْلَمِ

سَبَقَتْ يَدايَ لَهُ بِعَاجِلِ طَعْنَةٍ *٤٧* وَرَشَاشِ نَافِذَةٍ كَلَوْنِ العَنْدَمِ

وكم من مرَّةٍ قام لمحاربتي حليلُ غانيةٍ أي: رجلٍ متزوج من امرأة شابة، فقاتلته وتركته مجدلاً أي: مطروحاً على الأرض مهزوماً تمكو فريصته أي: تهتز مؤخرة ظهره، ويخرج منها دمه ولها صوتٌ مثل شدق الأعلم وهو: الصوت الذي يخرج من أشفار أي: أطراف شفاه البعير، فهذا الرجل قد سبقت يداي إليه

بطعنةٍ نافذةٍ اخترقت جسده فخرج الرشَاشُ أي: الدم من جسده، ولونه مثل لون العندم وهو: خشبٌ يُستَخرجُ منه صبغات للأقمشة.

هَلاَّ سَأَلْتِ الخَيْلَ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ *٤٨* إِنْ كُنْتِ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي

إِذْ لا أَزَالُ عَلَى رِحَالَةِ سَابِحٍ *٤٩* نَهْدٍ تَعَاوَرُهُ الكُمَاةُ مُكَلَّمِ

طَوْرَاً يُجَرَّدُ لِلطِّعَانِ وَتَارَةً *٥٠* يَأْوِي إِلى حَصِدِ القِسِيِّ عَرَمْرَمِ

يُخْبِرْكِ مَنْ شَهِدَ الوَقِيعَةَ أَنَّنِي *٥١* أَغْشَى الوَغَى وَأَعِفُّ عِنْدَ المَغْنَمِ

فهلا قُمتِ بسؤالِ الفرسان الذين يركبون الخيل في الحرب عني يا بنة مالكٍ وعن بلائي وأحوالي إن كنتِ جاهلة بها، فأنا كنت ولا أزال في الحرب راكباً على رحالة أي: سرجٍ سابحٍ أي: فرسي الذي من صفاته أنه نهدٌ أي: ضخم الهيئة تعاوره أي: يتبادل عليه الكماة أي: شجعان الحرب من هنا وهناك، وهو مكلم أي: مجروح فيكون تارةً صامداً أمام الطعان من فرسان الأعداء وتارةً ينطلق إلى حصد القسي أي: رماة الأسهم المتجمعين معاً ليقاتلهم وهم عرمرم أي: كثيرون في العدد، فعندئذٍ يقوم بإخبارِكِ من شهد وقيعة الحرب معي بأني أغشى

أي: أخترق صفوف الحرب والوغى أي: أصوات الفرسان المتعالية فيها، وعند انتهاء الحرب أعف وأنأى بنفسي عن الطمع في المغانم والأسلاب.

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكِ وَالرِّمَاحُ نَوَاهِلٌ *٥٢* مِنِّي وَبِيضُ الْهِنْدِ تَقْطُرُ مِنْ دَمِي

فَوَدِدْتُ تَقْبِيلَ السُّيُوفِ لأَنَّهَا *٥٣* لَمَعَتْ كَبَارِقِ ثَغْرِكِ الْمُتَبَسِّمِ

وفي ساعة اشتداد الضرب والطعن والكر والفر بين الفرسان في الحرب، تذكرتكِ يا عبلة والرماح من حولي ومن فوقي قريبة مني وبعضها نال من جسمي، وبيض الهند أي السيوف في يد الأعداء يقطر منها دمي الذي أصابت منه، وعند ذلك أحببت ورغبت في تقبيل هذه السيوف لأنها لمعت فذكرتني باللمعة البارقة من ثغرك أي: فمك المتبسم.

وَمُدَّجِجٍ كَرِهَ الكُمَاةُ نِزَالَهُ *٥٤* لا مُمْعِنٍ هَرَباً وَلاَ مُسْتَسْلِمِ

جَادَتْ لَهُ كَفِّي بِعَاجِلِ طَعْنَةٍ *٥٥* بِمُثَقَّفٍ صَدْقِ الكُعُوبِ مُقَوَّمِ

بِرَحِيبَةِ الفَرْغَيْنِ يَهْدِي جَرْسُهَا *٥٦* بِاللَّيْلِ مُعْتَسَّ الذِّئَابِ الضُّرَّمِ

وفي ساعات الحرب يتجنب الرجال الكماة أي: الشجعان لقاء فارسٍ مدجج أي: محمل بالسلاح والعتاد ويكرهون منازلته

وقتاله، فهذا الفارس الشجاع الذي لا يمعن أي: يقصد الهرب من القتال ولا يستسلم، أقاتله بينما الجميع يتجنبه وتجود له كفي بطعنةٍ عاجلةٍ بمثقف صَدقٍ أي: رمحٍ شديد الصلابة مقوم أي: مستقيم غير مُعوَجّ، فتكون الطعنة التي أطعنه بها رحيبة الفرغين أي: واسعة المنفذ الذي اخترقته في جسد العدو، ويكون للدماء التي تسيل منه جَرسٌ أي: صوتٌ يعرفه ويُهدى إليه مُعتَسُّ الذئاب الضُرَّمِ أي: الذئاب التي نال منها الجوع، وتَعتَسُّ أي: تتجسس موضع الطعام الذي تزيل به ما ألمَّ بها من جوع.

فَشَكَكْتُ بِالرُّمْحِ الأَصَمِّ ثِيَابَهُ *٥٧* لَيْسَ الكَرِيمُ عَلَى القَنَا بِمُحَرَّمِ

فَتَرَكْتُهُ جَزَرَ السِّبَاعِ يَنُشْنَهُ *٥٨* يَقْضِمْنَ حُسْنَ بَنَانِهِ وَالمِعْصَمِ

وعند طعني لهذا الفارس برمحي الطويل الصلب قد قام الرمح بتكميش أي: رفع ثيابه حينما اخترق جسده وأسال دمه، فلا عَجَبَ أن يَموتَ فارسٌ بمثل صفاته وقوته وشجاعته، فليس الكريم من الرجال والفرسان مُحَرَّمٌ على الموت بالسيوف أو الرماح، وبعدما هزمته تركته غارقاً في دمه والسباع من حوله

يَنُشنَهُ أي: يمزقون جسده بأفواههم، ويقضمون أي: يقطعون من جسده حسن بنانه أي: أصابعه والمعصم.

ومِشَكِّ سَابِغَــةٍ هَتَكْــتُ فُرُوجَهَــا *٥٩* بِالسَّيْفِ عَنْ حَامِـي الحَقِيقَـةِ مُعْلِمِ

رَبِــذٍ يَـدَاهُ بِـالقِــدَاحِ إِذَا شَتَــا *٦٠* هَتَّــاكِ غَـايَـاتِ التِّجَــارِ مُـلَــوَّمِ

لَـمَّـا رَآنِــي قَــدْ نَـزَلْـتُ أُرِيــدُهُ *٦١* أَبْــدَى نَـواجِــذَهُ لِـغَيــرِ تَـبَسُّــمِ

فَطَعَنْتُــهُ بِـالرُّمْـحِ ثُــمَّ عَـلَوْتُــهُ *٦٢* بِـمُهَنَّـدٍ صَـافِـي الـحَدِيـدَةِ مِـخْـذَمِ

وكم قابلت في الحرب فرساناً يحمل الواحد منهم درعاً سابغةً أي: كاملة الصنع، فقمت بهتك فروج أي: فجوات مَشَكِّها أي: المسامير المتشابكة في الدرع بسيفي، الذي هو بمثابة الحارس والحامي للحق والعدل وهو معلومٌ مشهور، ويكون الفارس من هؤلاء رَبذٍ يداه بالقداح أي: سريع في حركة يديه عند استعماله القداح وهي الأسهم، وذلك إذا شتا أي: في حال اشتداد الصعوبات والنوائب، كما أنه في حال يسره مسرفٌ في هتك الخمر الذي هو بضاعة التجار فيستجلب اللوم لنفسه، وإذا قابلني الواحد منهم في ساحة القتال يبدي ويظهر لي نواجذه أي: أسنانه، ولكن ليس بنية التبسم لي والتلطف معي وإنما

ليبرز لي غضبه وكرهه وعزمه على القضاء عَلَيَّ، فلما تقاتلنا قمت بطعنه بالرمح ثم هويت من فوقه بسيفٍ مهندٍ صافي الحديدة أي: مجلو ليس به صدأ مخذم أي: قاطعٌ نافذ

عَهْدِي بِـــهِ مَـــدَّ النَّهَـــارِ كَأَنَّمَـــا *٦٣* خُضِـــبَ البَنَـــانُ وَرَأْسُـــهُ بِالعِظْلِـــمِ

بَطَلٍ كَـأَنَّ ثِيَابَـــهُ فـــي سَرْحَـــةٍ *٦٤* يُحْذَى نِعَـالَ السِّبْـتِ لَيْـسَ بِـتَوْأَمِ

فعهدي بهذا الفارس الذي واجهته في وقت اشتداد أي: ارتفاع النهار والذي غطت الدماء رأسه وبنانه أي: أصابعه، بالرغم من أنه كان من أبطال الفرسان وله هيئةٌ عظيمة، فهو فارع الطول وإذا رأيت ثيابه عليه كأنك ترى ثياباً معلقةً على سرحةٍ أي: شجرةٍ طويلة، وهو رجلٌ لا يرتدي من الثياب إلا أفخمها ولا يحذي أي: يرتدي أحذية إلا مثل أحذية السبت أي: الملوك وأكابر القوم، كما أنه وُلِدَ وحيداً في بطن أمه ليس معه توأم وهذا أدعى لكمال خِلقَتِهِ وتمام عافيته، وبالرغم من كل هذه الصفات كان مصيره الموت على يدي.

يَا شَـاةَ قَنَـصٍ لِمَـــنْ حَلَّـــتْ لَـــهُ *٦٥* حَرُمَـتْ عَلَـيَّ وَلَيْتَهَـــا لَـــمْ تَحْـــرُمِ

فَبَعَثْتُ جَارِيَتِـي فَقُلْـتُ لَهَـا اذْهَبِـي *٦٦* فَتَجَسَّسِـي أَخْبَارَهَـا لِـيَ واعْلَمِـي

قَالَتْ : رَأَيْتُ مِـنَ الأَعَـادِي غِـرَّةً *٦٧* وَالشَّـاةُ مُمْكِنَـةٌ لِمَـنْ هُـو مُرْتَـمِ

وَكَـأَنَّمَـا التَفَتَـتْ بِجِيـدِ جَدَايَـةٍ *٦٨* رَشَـأٍ مِـنَ الـغِزْلانِ حُـرٍّ أَرْثَـمِ

فواعجباً لحال تلك المحبوبة التي يرغب في الزواج منها الكثير فكانت مثل شاة قنصٍ أي: طريدة صيد ولكنها حَرُمَت علَيَّ وليتها لم تَحرُمِ، ولمَّا أردت أن أعرف أخبارها أرسلت إليها جاريتي لتعرف لي أخبارها وتأتيني بها، فأتت إليَّ وأخبرتني أنها رأت حول هذه الشاة -ويعني المحبوبة- الكثير ممن يرومون صيدها، والنيلُ منها مُمكنٌ ومُتاحٌ ولكن لمن هو مُرتَمِ أي: لمن يتحلي بالقدر الكافي من الشجاعة والقوة، لينالها بها ويذود عنها غيره، أما المحبوبة فإن من مظاهر حسنها وجمالها أن لها جِيداً أي: عُنُقاً مثل عُنُقِ جَدَايةٍ رَشَأٍ أي: غزالة فَتِيَّةٍ حُرَّةٍ أَرثَمِ أي: في أنفها شئ من السواد أو البياض، وذلك من صور جمالها.

نُبِّئْتُ عَمْـرَاً غَيْـرَ شَاكِـرِ نِعْمَتِـي *٦٩* وَالـكُفْـرُ مَـخْبَثَـةٌ لِـنَفْـسِ المُنْعِـمِ

وَلَقَدْ حَفِظْتُ وَصَاةَ عَمِّي بِالضُّحَى *٧٠* إِذْ تَقْلِصُ الشَّفَتَانِ عَنْ وَضَحِ الفَمِ

فِي حَوْمَةِ الْـمَوْتِ التـي لا تَشْتَكِـي *٧١* غَـمَرَاتِهـا الأَبْـطَـالُ غَيْـرَ تَغَمْغُـمِ

إِذْ يَتَّقُونَ بِـيَ الأَسِنَّـةَ لَـمْ أَخِـمْ *٧٢* عَنْهَـا وَلَو أنِّـي تَـضَايَـقَ مُقْدَمِـي

ولقد ساءني ما نُبِّئتُ به ووصل إلي مسامعي من أن عمرو بن مالك شقيق عبلة غير شاكر نعمتي عليه، حينما دفعت عنه الموت وأنقذته من الأعداء في ساحة الحرب، وكفر أي: إنكار النعمة أمرٌ به مَخبَثَةٌ وَضِيقٌ لنفس صاحب النعمة، فهو كان يرجوا أن يرى عرفاناً بها، أما أنا فقد حفظت لعمي وصيته ورغبته في حماية أبناءه، ونحن في ساحة القتال التي تَقلُصُ أي: تَيبسُ فيها الشفتان من هول الضرب والطعن، وفي حلبات الموت هذه لا يستطيع الفارس البطل أن يشتكي ما به من كربٍ لمن معه، إلا تغمغماً أي: بكلامٍ منخفضٍ غير مرتب، وهؤلاء الأبطال لهول ما يرون ويعيشون يجعلونني أمامهم يتقون بي أسنة الرماح، فلم أَخُم أي: أتراجع وأجبن حتى ضاقت مساحة قتالي ولم أملك سوى الدفاع.

ولقَـدْ هَمَمْـتُ بِـغَارَةٍ فـي لَيْلَـةٍ *٧٣* سَـوْدَاءَ حَـالِكَـةٍ كَـلَـوْنِ الأَدْلَـمِ

لَمَّـا سَمِعْـتُ نِـدَاءَ مُـرَّةَ قَدْ عَلاَ *٧٤* وَابْنَـيْ رَبِيعَـةَ فـي الغُبَـارِ الأَقْتَـمِ

وَمُحَلِّـمٌ يَسْعَـوْنَ تَحْـتَ لِوَائِهِـمْ *٧٥* وَالْـمَـوْتُ تَحْـتَ لِـوَاءِ آلِ مُحَلِّـمِ

أَيْقَنْــتُ أَنْ سَيَكُون عِنْــدَ لِـقَائِـهِمْ *٧٦* ضَـرْبٌ يُـطِيـرُ عَـنِ الـفِـرَاخِ الـجُثَّــمِ

ولقد هممت وعقدت العزم على القيامِ بغارةٍ على بني ذبيان من شدة وقعها عليهم تكون سوداء مثل لون الأدلم وهي: الحية السوداء، وما عقدت العزم على ذلك إلا عندما سمعت نداء بني مرة من ذبيان ينادون للحرب، وابني ربيعة في الغبار الأقتم أي: الشديد الذي لا يستطيع المرء أن يرى من خلاله، وقد انضم تحت لواء بني ذبيان بنو مُحَلَّمٍ يأتمرون بأمرهم وما الموت إلا تحت هذا اللواء الذي اختاروه لأنفسهم، فقد أيقنت أن الضرب والطعن الذي سيكون عند لقاءنا شديداً، لدرجة أن الفِرَاخَ وهي: صغار الطيور يذهب عنها ريشها وهي جاثمةٌ أي: راكدةٌ في مكانها.

لَـمَّــا رَأيْـتُ الـقَـوْمَ أقْـبَـلَ جَمْعُهُـمْ *٧٧* يَـتَذَامَـرُونَ كَـرَرْتُ غَـيْـرَ مُـذَمَّــمِ

يَـدْعُـونَ عَنْـتَـرَ وَالـرِّمَـاحُ كَـأَنَّـهَـا *٧٨* أَشْطَـانُ بِـئْـرٍ فــي لَـبَــانِ الأَدْهَــمِ

مَــا زِلْـتُ أَرْمِيهُمْ بِثُغْــرَةِ نَحْــرِهِ *٧٩* وَلَبَانِــهِ حَـتَّــى تَـسَرْبَــلَ بِــالــدَّمِ

فَــازْوَرَّ مِــنْ وَقْــعِ الـقَنَــا بِلَبَانِــهِ *٨٠*وَشَكَــا إِلَــيَّ بِـعَبْــرَةٍ وَتَـحَمْحُــمِ

ولمَّا رأيتُ القوم من بني عبس في ساحة الحرب جاءوا بكثرةٍ يتذامرون أي: يتصايحون في المعركة، كررت أي: هجمت أنا على الأعداء بقوةٍ وإقدامٍ غير مُذَمَّمٍ أي: بدون شكوى أو سَبٍّ وَطَعن، والقوم ينادون علَيَّ يقولون يا عنتر والرماح من حولي كأنها أشطان أي: حبال بئرٍ قد أحاطت بلبان الأدهم أي: صدر حصاني الأسود، وما زلت أنا أقاتلهم وأرميهم بالرماح والطعنات وأنا على ظهر الخيل وهو يهجم معي بثغرة نحره أي: مقدمة صدره، حتى تسربل أي: تَلَطَّخَ كاملاً بدمه ودم الأعداء فكان الدم كالثوب له، وقد ازوَرَّ أي: خفت صوته من شدة ما ألمَّ به من وقع القنا أي الرماح التي تخترق صدره، وكأنه يشكوا إلَيَّ ما به بعَبرَةٍ رأيتها في عينيه وتحمحم أي: صوتٍ منخفضٍ عليل.

لَوْ كَانَ يَدْرِي مَا المُحَاوَرَةُ اشْتَكَى *٨١* وَلَكَانَ لَوْ عَلِمْ الكَلامَ مُكَلِّمِي

وَلَقَدْ شَفَى نَفْسِي وَأَبْرَأَ سُقْمَهَا *٨٢* قِيْلُ الفَوارِسِ وَيْكَ عَنْتَرَ أَقْدِمِ

وَالخَيْلُ تَقْتَحِمُ الخَبَارَ عَوَابِساً *٨٣* مِنْ بَيْنِ شَيْظَمَةٍ وَأَجْرَدَ شَيْظَمِ

ذُلَلٌ رِكَابِي حَيْثُ شِئْتُ مُشَايِعِي *٨٤* لُبِّي وَأَحْفِزُهُ بِأَمْرٍ مُبْرَمِ

ولو كان فرسي على دراية بالمحاورة أي: الرد والجواب لكان اشتكى لي ما به من أَلَمٍ وشدة، ولو كان على عِلمٍ بالكلام ويقدرُ عليه لكان يكلمني ويحادثني، ولقد شفى غليلي وأبرأ سقم نفسي مقولة الفرسان الأبطال من بني عبس: ويك عنتر أي: تهيأ يا عنترة واقدم أي: تقدم الفرسان والخيول وقاتل وجندل الأبطال، ففي هذا عِزٌ لي وفخرٌ واعترافٌ من بني عبس بمكانتي ومقامي الذي أستحقه، فهم ينادون علَيَّ ويريدون مني التقدم في مواطنٍ شديدة الوطأ حتى على الخيل، فهي تقتحم ميدان المعركة والأرض خَبَارٌ أي: بها لينٌ وممتلئةٌ بالصخور، وهذا صعبٌ شديدٌ على الخيل ولكنها تقتحم هذا الميدان عوابسأ، وهي ما بين شَيظَمةٍ أي: فرسةٍ طويلة الجسد وأجرد شيظمِ أي: فرسٌ قليل الشعر طويل الجسد أيضاً، أما خيلي وركابي فإنها مُذَلَّلةٌ سَهلَةٌ تذهب بي إلي حيث أريد دون عناء، وَلُبّي أي: عقلي مُشايِعِي أي: مُسانِدِي وفي صَفّي بأمرٍ نافذٍ مُبرمِ.

إِنّــي عَدَانــي أَنْ أَزوَركِ فَاعْلَمِـي *٨٥* مَا قَدْ عَلِمْتُ وبَعْضُ مَـا لَـمْ تَعْلَمِـي

حَالَـتْ رِمـاحُ ابْنَـي بغيـضٍ دُونَكُـمْ *٨٦* وَزَوَتْ جَوَانِي الحَرْبِ مَنْ لم يُجْرِمِ

فيا عبلة اعلمي أن ما عداني أي: منعني وحال بيني وبين زيارتك، هو الذي قد علمتيه من أمر الحرب والقتال وهناك أموراً أخرى لم تعلمي عنها شيئا، فقد حالت رماح ابني بغيضٍ أي: عبسٍ وذبيان وما بينهما من بغضٍ هو سبب هذه الحرب الشعواء، وزوت أي: آذت جواني أي: فعال الحرب مَن فيها وَمَن ليس له فيها ذنبٌ ولم يُجرمِ

وَلَقَدْ خَشَيْتُ بِأَنْ أَمُوتَ وَلَمْ تَدُرْ *٨٧*لِلْحَرْبِ دَائِرَةٌ عَلَى ابْنَي ضَمْضَمِ

الشَّاتِمَيْ عِرْضِي وَلَمْ أَشْتِمْهُمَا *٨٨*وَالنَّاذِرِيْنَ إِذْا لَقَيْتُهُمَا دَمِي

إِنْ يَفْعَلا فَلَقَدْ تَرَكْتُ أَبَاهُمَا *٨٩* جَزَرَ السِّبَاعِ وَكُلِّ نَسْرٍ قَشْعَمِ

ولقد خشيت من أن تأتي منيتي وتحين ساعتي وأموت قبل أن تدور الحرب أي: تنقلب على ابني ضمضم، وهما حُصين ومُرَّة من بني مرة الذبيانيين فقد قاما بشتمي وسبوا عرضي وأساءوا إليَّ في غيبتي، ونذروا على أنفسهم أن يسفكوا دمي إذا التقيا بي في الحرب، ولو كانا أمامي ما استطاعا أن يقولا مثل هذا القول، فإن فعلا ذلك وقاموا بشتمي وسبي في غيبتي فلقد فعلت بهما ما هو أسوأ من ذلك، فقد تركت أباهما مقتولاً في ساحة

الحرب وصار جزرأ أي لحماً مقطوعاً تنال منه سباع الفيافي، وكل نسرٍ قشعم أي: كبيرٍ في السن.

أتاني طيف عبلة

أتاني طَيْفُ عبْلـةَ فـي المَنـامِ *١* فقبَّلنـي ثلاثـاً فـي اللثـامِ

وودَّعنـي فأودعنـي لـهيبـاً *٢* أستّرُهُ ويَشْعُلُ فـي عِظامـي

أتاني طيف عبلة تلك التي يهواها قلبي وتحن إليها نفسي زائراً في ساعات نومي وغفوتي، فقام بتقبيلي ثلاث قبلاتٍ وهو مُستتِرٌ خلف اللثام على وجهه، ثم قام بتوديعي وذهب تاركاً في قلبي وديعةً هي نار العشق والشوق الملتهبة، التي كلما أحاول أن أُستِّرُها أي: أُخفيها وأكتمها تزداد وتشتعل في لحمي وفي عظامي.

ولـولا أننـي أخْلـو بـنفْسـي *٣* وأطفي بالدُّموع جوى غرامي

لَمـتُّ أسـىً وكـم أشْكـو لأَنـي *٤* أغـار عليـك يـا بـدر التمـام

ولولا أنني أستعين بالخلوة لأُفرِغَ ما بي من أشواقٍ وأعهد بها إلى دموع العشق التي تسيل لتطفئ جوى أي: لهيب الغرام، الذي يتملكني تجاه عبلة ابنة مالك، لولا أنني أفعل ذلك لملأ

الأسى أركاني وجوانحي ولَمِتُّ قتيلاً بسبب ذلك، وكم اشكوا ما بي من نيرانٍ هي نيران الغيرة عليك يا عبلة يا بدر التمام.

أيــا ابنــةَ مــالــكٍ كيـفَ التَّسلّــي *٥* وعهـدُهـواك مـن عهـدِ الفِطام

وكيفَ أرُومُ منْـكِ الـقُرْبَ يوْمــاً *٦* وحــولَ خبــاكِ آســادُ الإجــام

فيا ابنة مالك بن قراد قولي لي وأخبريني كيف يكون التسَلِّي عن عشقِكِ وهواكِ، وهو قديمٌ في قلبي من عهد فطامي عن لبن أمي، وكيف أروم أي: أريد النيل من قربك وأن تتمتع عيناي برؤيتكِ وتطيب نفسي بلقياكِ ويوجد حول خِباكِ أي: خيمتكِ التي تسكنين فيها من يحولون بيني وبينك، فكانوا في قسوتهم وغلظتهم مثل أساد الأجام أي: الصحاري.

وحقّ هـواكِ لا داوَيْـتُ قلبــي *٧* بغيـرِ الصبـر يــا بنــتَ الكــرام

إلــى أنْ أرتقـي درجَ الـمعالــي *٨* بطعن الرُّمح أو ضربِ الحســام

وحق هواك الذي يسكن في فؤادي أنني لا أداوي ألم العشق والشوق الذي في قلبي إلا بالصبر عليه وليس بغير ذلك، فاعلمي ذلك مني يا بنت الكرام وسوف أظل أفعل ذلك إلى أن أعلو وأرتقي درج المعالي وأكون رفيع الِشأن عالي المقام، ولن

يكون ذلك إلا بصنع مجدي بضرب الحسام أي: السيف في الحروب والمعارك وطعن الرماح.

أنـا الـعبدُ الـذي خُبّرْتِ عنـــه *٩* رَعيْتُ جِمالَ قوْمي منْ فِطامــي

أروحُ من الصَّبـاح الـى مغيـبٍ *١٠* وأرقُـدُ بيــنَ أطْنــابِ الـخِيــامِ

سأصل إلى تلك الغاية وأبلغ ما أنال حتى وإن كنت في الوقت الحالي العبد الذي تعلمين من خبره وأحواله، فأنا أرعى جمال قومي بني عبس مذ تركتُ لبن أمي ومذ وعيت إلى هذه الدنيا، فأنا أروح وأسوق الجِمالَ مع باقي العبيد من أول الصباح وأظل في المرعى إلى وقت المغيب، فآتي بها ثم آوي إلى خيمتي فأرقد بين أطنابها أي: أعمدتها.

أذِلُّ لعبْلـةٍ مـنْ فَـرْطِ وجْــدي *١١* وأجعلها مــن الدُّنيــا اهتمامــي

وأمْتثِـلُ الأَوامـرَ مــنْ أَبيهــا *١٢* وقد مَلـكَ الهـوى منــي زمامــي

رضيـتُ بحبّهـا طوْعـاً وكُرْهــاً *١٣* فهـلْ أحظـى بهــا قبـلَ الحمــام

وبالرغم من أنني رجلٌ تَعِزُّ عليه كرامته ولا أرضي الذُّلَّ والضيم فإنني أذِلُّ لعبلة، من فرط وجدي أي: حبي وعشقي لها ولا أجعل من الدنيا شيئاً أهتم به سواها، وأمتثل طائعاً لأوامر أبيها مالك

بن قراد إذا ما أمرني بشئ، فقد تَمَلَّكَ عشقها وهواها مني وصار متحكماً بي وممسكاً بزمامي، فقد رضيت بهذا الحب الذي أورثني كل ذلك طوعاً وكرهاً فيا ترى هل أحظى بوصل عبلة والقرب منها من قبل أن يحين مماتي؟

وإنْ عابتْ سوادي فهو فخري *١٤* لأنـي فـارسٌ مـن نسـل حـام

ولـي قلْـبٌ أشَـدُّ مـنَ الرّواسـي *١٥* وذكري مثلُ عرْفِ المسْـكِ نـام

أمَّا إن فعلت عبلة مثل باقي بني عبسٍ وعابت عَلَيَّ لوني وسواد جلدي ورأت أنه عيبٌ ومَذَمَّة، فقد خاب ظنها فما هذا اللون وهذا السواد إلا فخري الذي أفخر به، لأني فارسٌ شديدٌ من نسل حام ابن نبي الله نوح وهو الذي من نسله السود، كما أن لي قلباً شديداً أشد من الجبال الرواسي وأكثر منها ثباتاً، ولي ذِكرٌ بين الناس طيبٌ وحسنٌ وهو في حسنه مثل عَرف أي: رائحة المسلك تنمو وتنتشر.

ومنْ عَجبي أَصيدُ الأُسْد قَهْـراً *١٦* وأَفتَـرسُ الـضَّواري كـالـهوَام

وتقنصني ظبا السَّعدي وتسطو *١٧* علـيَّ مهـا الشَّرِبَّـةِ والـخُزام

ومن الأمور التي أتعحب منها ويتحير فيها عقلي كيف أني أصيد الأسود بالقوة والقهر، ولا تستطيع معي شيئاً وأفترس كل وحشٍ ضارٍ مثل الوحوش الهائمة ثم تقوم بقنصي واصطيادي ظَبَا أي: غزالةُ الجبل السعدي، وتسطو أي: تَغلبُ علَيَّ وتقهرني مَهَا أي: بَقرُ الشربةِ والخَزَامِ الوحشية وهما: موضعان في بادية نجد.

لَعَمْـرُ أبيـكَ لا أَسْلـو هَـواهـا *١٨* ولو طحنـتْ محبَّتهـا عظامـي

عليْـكِ أَيـا عُبيْلـةُ كـلَّ يـوْمٍ *١٩* سـلامٌ فـي سـلامِ فـي سـلامِ

فأقسم لكِ يا عبلة بعمر أبيك مالك بن قراد أنني لا أتسلى أبداً عن هواكِ أيتها الغزالة التي اصطادتني، حتى لو تسببت محبتي لكِ في أذيتت وطحن عظامي، ولكِ من كل يومٍ وليلةٍ يا عبيلة سلامٌ يتبعه سلامٌ يتبعه سلام.

قِفا يا خليليَّ

قفـــا يـــا خليلـــيَّ الـــغداةَ وسلمـــا *١* وعُوجا فإن لـم تَفْعلا اليـوْم تَنْدمـا

علـى طلـلٍ لـــو أنـــهُ كـــان قبلـــهُ *٢* تَـكـلَّـــمَ رَسْـــمٌ دارسٌ لَـتَـكَـلَّـمـــا

أيا عزَّنا لا عزَّ فـــي النـــاس مثلـــه *٣* على عهْدِ ذي القرْنيـن لـن يتَهدَّمـا

يُجَرِّدُ عنترة من نفسه رفيقين له يخاطبهما فيقول: قفا يا خليلَيَّ الآن وقوما بإلقاء السلام على طلل الأحبة ذاك، فإن لم تفعلا ذلك اليوم ستندمان، وهذا الطلل لو أنه كان يوجد من قَبلِهِ رسمٌ دارسٌ أي: آثار ديارٍ زائلة تكلمت، لتكلم ذلك الطلل وأخبرنا بأحواله وأيامه، فلله درك يا أيها العِزُّ الذي هو لنا وليس للناس عزٌ مثله منذ أن مضى عهد الملك ذو القرنين، ذاك الذي حكم بلاد الأرض وإن كان عزُّهُ قد تهدَّمَ وزال فإن عِزَّنَا لن يتهدَّما.

إذا خطرتْ عبـسٌ ورائـــي بالقنـــا *٤* علَوْتُ بها بيتـاً مِـنَ المجـدِ مُعْلمـا

تراهُـمْ يَـعدُّون العناجيـجَ والقنـــا *٥* طـوال الـهوادي فـوقَ وردٍ وأدهمـا

إذا ما ابتدرنا النَّهب من بعد غارةٍ *٦* أثرنـــا غبـــاراً بالسَّنابـــكِ أقتمـــا

فإذا ما قام بنو عبسٍ باتباعي في القتال وخطروا أي: تأهبوا واستنفروا خلفي، لعلوت وصعدت بهم بيتاً من المجد والعز معلوماً لا يجهله أحد، فترى بني عبس عند خروجهم للحرب والقتال يعدون العناجيج أي: الإبل التي يحملون عليه السلاح والمتاع، والقنا أي: السيوف والرماح وهم طوال الهوادي أي: كثيروا الهدي والذبح جوداً وكرماً، ويركبون من الخيل ورداً وأدهما أي: أبيضاً وأسودا.

ألاّ ربَّ يومٍ قد أنخنا بدارهم *٧* أقيمُ بهمْ سيفي ورُمحي المقومَّا

وما هزَّ قومٌ رايةً للقائنا *٨* من النَّاسِ إلاّ دارهمْ ملئتْ دما

فإذا خرجنا نحن بنو عبس لمحاربة قوم أنخنا أي: نزلنا بدارهم، فإن فعلنا ذلك فإني أقيم أي أُسَلِّطُ عليهم سيفي القاطع ورمحي المُقَوَّم أي: الصلب المستقيم وأُعمِلُ فيهم الطعن والضرب، وما قام قومٌ برفع رايات الحرب ضدنا وساروا للقائنا إلا سرنا إليهم ونزلنا بدارهم وملئنا هذه الديار بدمائهم.

وإنَّا أبَدْنا جمَعَهُمْ برماحِنا *٩* وإنا ضَربْنا كَبْشَهُمْ فتحطَّما

بكلّ رقيقِ الشَّفرتينِ مهنَّدٍ *١٠* حُسامٍ إذا لاقى الضَّريبةَ صمَّما

يُفلِّــقُ هــامَ الــدَّارعيــنَ ذُبابُــهُ *١١* ويَفْري مِنَ الأَبطالِ كفّاً ومِعصَما

وإنا قد قمنا بتحطيم كبشهم أي: سلاحهم الذي اتخذوه لتحطيم أبواب منازلنا وربما دروعهم القوية والمقصود غالباً سيد القوم وقائدهم، فعلنا ذلك بكل رقيق الشفرتين أي: حادِّ الطرفين مُهَنَّدٍ حسام، إذا التقى بالضرب في الميدان صمَّمَ على ملاقاته فهو سيفٌ قد فَلَّقَ أي: حَطَّمَ ذُبابُهُ أي: طرفه القاطع، هام أي: رؤوس الفرسان المتدرعين وفرى أي: ثَقَبَ كُفوفَ الأبطال ومعاصمهم فلله دره من سيف.

سأُضمرُ وجدي

سأُضْمِرُ وجدي فــي فؤَادي وأكْتُـم *١* وأَسْهــرُ ليلــي والـعــواذلُ نــوَّم

وأطْمعُ مــن دَهـري بمــا لا أنالــهُ *٢* وألــزمُ منــه ذلَّ مــن ليـسَ يرحــمْ

إن من الشجاعة وكرم الأخلاق الصدق مع النفس وهذا هو حالي، يملؤني الوجد والعشق ولا أستطيع إلا أن أضمره في فؤادي وأكتم خبره عمن سواي، وأسهر بسببه الليالي والعواذل أي: الحساد واللائمين نائمون لا يدرون بشئ، وإني طموحٌ أمتلك أحلاماً وغاياتاً مثل الجبال، وأطلبها من الدهر وأسعى لتحقيقها ولا أنالها من هذا الدهر اللئيم، بل يُلزِمُنِي مذلةً ومهانةً لا تصدر إلا من شخصٍ لا يعرف الرحمة.

وأرجو التداني منكِ يـا ابنـة مالـكٍ *٣* ودونَ الـتَّدانــي نــارُ حَـرْبٍ تُضَـرَّمُ

فمنــي بطيفِ مــن خيالكِ واسألـي* ٤* إذا عـادَ عنـي كـيـفَ بـاتَ الـمتيَّـمُ

ولا تَجْزَعي إنْ لَجَّ قوْمُكِ فــي دَمي *٥* فما لـي بعْدَ الـهجـرِ لَحــمٌ ولا دَمُ

وأرجوا دائما الوصل والقرب والتداني منكِ يا عبلة ابنة مالكٍ يا من هام قلبي بعشقها، ولكن بيني وبين هذا القرب منكِ نيران حربٍ تشتعل في الأفق تكون بيني وبين أهلك، فَهَلَّا مننتِ علَيَّ بطيفٍ من خيالكِ يأتيني لأمتع ناظري بكِ، وإذا ما عاد إليك فاسأليه عن حال المتيم بعشقكِ وهواكِ كيف يكون، ولا تجزعي أو تحزني أو ينفطر قلبكِ إن قام قومكِ بقتلي ولجُّوا أي: خاضوا في دمي، فلم يعد في جسمي لحمٌ أو دمٌ يخوضون فيه من بعد ما كان الفراق حائلاً بيني وبينك.

ألم تسمعي نوحَ الحمائمِ في الدجى *٦* فمنْ بعض أشجاني ونوحي تعلّموا

ولم يبْقَ لي يا عبلَ شخْصٌ معَرَّفٌ *٧* سوى كبدٍ حَرَّى تذوبُ فأَسقمُ

وتلكَ عِظامٌ باليـاتٌ وأَضْلعٌ علـى *٨* جلدِها جيْشُ الصُّدودِ مخيِّمُ

ألم تسمعى يا عبلة يوماً وأنت في ديارِكِ أو تَرحَالِكِ نوح الحمائم في وقت الدجى، ألم تَرِقّي لهُ وتأخُذُكِ الشجون، إن فعلتِ فاعلمي أن هذه الحمائم ما تعلَّمت النوح الذي شجاكِ إلا من نوحي وأحزاني، فلم يعد يا عبلة في جسمي وملامحي شخصٌ يُمكِنُكِ التعرف عليه إلا كَبِدٌ حارَّة تذوب من الحزن وتمرض، أما عظامي فصارت بارزةً من أثرِ النحول وأضلعي ويبرز عليها،

ويُثقِلُ كاهلي جيشُ الهمومِ التي تُحبِطُ الإنسان وتصدُّهُ عمَّا يريد وهو مُخَيِّمُ أي: مستقر.

وإنْ عشْتُ منْ بَعد الفراقِ فما أنا *٩* كما أدَّعي أنـي بعبلةَ مُغْرَمُ

وإنْ نامَ جفني كانَ نومي علالةً *١٠* أقولُ لعلَّ الطَّيف يأتي يسلّم

والذي يدَّعي أنه عاشِقٌ ومُغرَمُ فليس أقلَّ من أن يموت عِشقاً وغراماً في محبوبه وهذا حالي مع محبوبتي عبلة أموت في عشقها وهواها، وإن تسلَّيتُ عنها أو حَييتُ بغير حُبِّها وبعد فراقها فلا أستحق أن أقول وأدَّعي أنِّي مُغرمٌ بعبلة، وإذا ما نمت بعد سهري بسبب التفَكُّرِ فيها فليس نومي إلا حُجَّةً وذَريعَةً فلعَلَّ طيفَ عبلة يأتي ويزورني في المنام، ويُسلِّمُ علَيَّ فيُهَوِّنُ علَيَّ بعض ما أنا فيه.

أَحِنُّ إلى تلكَ المنازلِ كلّما *١١* غدَا طائرٌ في أيكَةٍ يترَنَّمُ

بكيتُ من البيْنِ المُشِتِّ وإنني *١٢* صبورٌ على طعن القنا لو علمتُم

وفي ليلي الذي أسهر فيه أتفكَّرُ في عبلة وفي نهاري وسط الإبل والمراعي، كلَّمَا سَمِعتُ طائراً فوق غُصنِهِ يترَنَّمُ يُثيرُ فِيَّ أشجاني وأحزاني، ويُثيرُ فِيَّ الحنين إلى تلك المنازل وتلك الديار

التي كُنتُ أرى فيها عبلة، وقد أبكاني وفَطَرَ قلبي هذا البينُ أي: البعدُ والفِراق المُشِتُّ أي: الشديد المُفَرِّقُ بين الأحبة، ورغم كل ذلك فأنا مُداومٌ على الصبر ضِدَّ طعن القنا في الحرب والقتال ولم يؤلمني هذا الطعن، بقدر ما آلمني فراق الأحبة لو علمتم يا من تسمعون قولي ويطربكم شعري.

قافية النون

*سلي يا ابنة العبسي

*البرق اليماني

*يا أيها الملك

*كل يوم مع زماني

سَلِي يا عبلة الجبلين

سلي يـا عبلةَ الجبليـنِ عنَّــا *١* ومـا لاقـتْ بنــو الأعجــام منَّــا

أَبَدْنَــا جَمْعَهُــمْ لـمـا أَتـوْنــا *٢* تــمـوجُ مـواكــبٌ إنــسـاً وجـنــا

قومي يا عبلة إن كنتِ جاهلةً بمدى قوة قومُكِ بني عبس وشدة بأسهم في الحرب والقتال، وأسألي عنا الجبال الرواسي الشامخات لتخبِركِ بما لاقاه الأعاجم حينما تجرأوا على محاربتنا، فقد لاقيناهم وقاتلناهم وأبدنا أي: أهلكنا جموعهم التي أتت لحربنا، حتى ماجت أي: اضطربت هذه الجموع وتشتَّتت الإنس منهم والجن على حدٍّ سواء.

وراموا أكلنا من غير جوع *٣* فـأشبعنـاهــم ضـربــاً وطـعنــا

ضربناهــم ببيـضٍ مرهفـاتٍ *٤* تَقُـدُّ جُسُومَـهُـمْ ظـهْـراً وَبَطْنــا

وفرقنا المواكـبَ عـن نسـاءٍ *٥* يزدْنَ على نساءِ الأَرْض حُسنـا

وقد تبادر إلى العقول القاصرة التي يمتلكها هؤلاء الأعاجم أننا لقمةٌ سائغة، ولن يجدوا في أكلنا أي مشقة فبادروا إلى ذلك مبادرة من لا يشتكي ألم الجوع ولكنه الطمع، فقمنا بإشباعهم

ولكن ضرباً بالسيوف وبالخيول وطعناً بالرماح المُقَوَّمَة، وأعملنا فيهم سيوفنا البيضاء المرهفات أي: الرقيقة الحادة فصارت تَقُدُّ أي: تقطع منهم الظهور والبطون، وفرقنا جموعهم التي جمعوها لنا وفَرُّوا هاربينَ تاركينَ خلفهم سبايا نساء يزدن في الجمال والحسن على باقي نساء الأرض.

وكم منْ سيدٍ أضحى بسيفي *٦* خضيبَ الراحتين بغير حنا

وكم بطلٍ تركتُ نساهُ تبكى *٧* يردّدنَ النُّواحَ عليه حزنا

وحجَّارٌ رأى طعني فنادى *٨* تأَنى يا بنَ شدَّادِ تأَنى

وكم من سيّدٍ مُطاعٍ في قومه ذو قوةٍ وبأس لما لاقاني في ساحة القتال أرديته، وأضحى بسبب سيفي مُخَضَّب أي: مُلَطَّخ الراحتين أي: الكفين من غير حِنَّاء ولكنه الدم الذي سال منه، وكم من بطلٍ صِنديدٍ شديدٍ في الحرب والقتال، لمَّا لاقاني وقاتلني تركته والنساء من حوله يبكين وينوحون عليه مِراراً وتَكراراً من شدة الحزن عليه والألم، وَحَجَّاراً -وهو كناية عن الفارس الشديد وربما يكون شخصاً بعينه- لمَّا قاتلني ورأى من شِدَّتي، أدرك أن لا سبيل له ليغلبني فتوَسَّلَ إِلَيَّ قائلاً: تأنَّى يا ابن شداد تأنَّى، وقد يكون حَجَّاراً أحد فرسان عبس ولما رأى

فعل عنترة بالقوم أشفق عليهم لهول ما هم فيه، فنادى عنترة لكي يُخَفِّفَ عنهم وطأة ما حلَّ بهم.

خلقتُ من الجبالِ أشدَّ قلباً *٩* وقد تفنى الجبالُ ولستُ أفنى

أنا الحصنُ المشيدُ لآلِ عبسٍ *١٠* إذا ما شادتِ الأبطالُ حصنا

ومن يجهل عنترة ولا يدرى مدى شدة قلبه فليعلم أني خُلِقتُ شديداً، ولي قلبٌ هو أكثرُ قُوَّةً وَشِدَّةً من الجبال الرواسي وقلوب هذه الجبال قد تفنى وتنصدع وقلبي لا، فأنا الحصن المُشَيَّد الشديد الذي يُدافِعُ عن بني عبس ويحمي أعراضهم، إذا كان للأقوام أبطالٌ وفرسانٌ هم بمثابة الحصون المنيعة لأقوامهم.

شبيهُ اللّيلِ لوني غيرَ أَنّي *١١* بفعلي منْ بياض الصُّبح أَسنى

جوادي نسبتي وأبي وأمي *١٢* حُسامي والسنانُ إذا انْتسبْنا

نعم لون جلدي أسودٌ مثل لون الليل ولكن ذلك ليس عيباً أُعابُ به ولا مَذمَّةٌ لشخصي، غير أن أفعالي وخصالي أسنى أي: أشد ضياءاً وبياضاً من بياض وضياء الصباح، وإذا كان القوم يتفاخرون بأنسابهم ويتباهون بها على بعضهم البعض، فإن فرسي الذي أحارب على ظهره هو نسبي وفخري وأبي شداد

فارس عبس، وأمي هما السيف والرمح اللذان أفخر بهما ونسبي إذا انتسبت.

البرق اليماني

طربتُ وهاجني برق اليماني *١* وذكرني المنازلَ والمغاني

وأضرمَ في صميمِ القلبِ ناراً *٢* كضربي بالحُسامِ الهنْدُواني

لما رأيت البرق يلمع من ناحية اليمن تذكرت منازل الأحباب وطربت وهاجني أي: أثار في داخلي الحنين إلى منازلهم وأغانيهم، وكما يضرم البرق في الأخشاب ناراً أضرمَ في قلبي نيران الشوق إلى الأحباب ومنازلهم، وهذه النار في قوتها مثل قوة ضربي بالسيف الهندواني، فهي شديدة الوقع والأثر في نفسي.

لَعَمْرُكَ ما رِمَاحُ بني بَغيضٍ *٣* تخونُ أكفهمْ يوم الطعان

ولا أسيافُهُم في الحرب تَنبو *٤* إذا عرف الشجاعُ من الجبان

ولكنْ يضربون الجيشَ ضرباً *٥* ويَقْبرُونَ النُّسورَ بلا جِفانِ

ويقتحمون أهوال المنايا *٦* غداةَ الكرِّ في الحربِ العوان

لعمرُكَ يا من تَسمعُ قولي ويصلك شعري أن رماح بني بغيض - أي أعداء عنترة في الحرب، وربما المقصود الطرفين المُتَحارِبَين فليس بينهما إلا العداوة والبغضاء- لا تخون أكفهم فتخطئ هدفها في ساعة زحام الحرب والقتال، أما سيوفهم فهي لا تختلف عن هذه الرماح فهي لا تنبو أي: تجبن وتتراجع عن إصابة هدفها في ساحة الحرب واشتداد الكرب حيث يعرف الشجاع من الجبان، لذلك هم في أوقات الحرب إذا ما التقوا بجيش الأعداء يضربونهم ضرباً شديداً، وإذا كانت النسور يُعرفُ عنها قوتها وبطشها عن سائر الطيور فإنهم يصيدونها ويقبرونها أي: يقضون عليها بدون أن ترق لهم أجفان أي: عيون، وما ذلك إلا لقسوتهم وغلظتهم فهم يقتحمون غمرات الحرب التي تنتشر فيها المنايا أي: المهالك المؤدية للموت، في ساعة الكرِّ أي: الهجوم في الحرب العوان أي: الشديدة الضارية.

أعبلةُ لو سألتِ الرمح عني *٧* أجابكِ وهو منطلق اللسان

بأَني قد طَرَقتُ ديارَ تيمٍ *٨* بكلَّ غضنفرٍ ثبتِ الجنان

وخُضتُ غُبارها والخيلُ تَهوي *٩* وسيفي والقَنا فَرسا رهانِ

فيا عبلة اعلمي أنك لو سألتِ عني الرمح الذي أقاتل به أعدائي وأطعنهم وأهلكهم به، لأجابك عن كل ما تريدين وهو منطلق اللسان أي: بدون تلعثم أو طمطمة أو تردد، وسيخبركِ بأني قد طرقت ديار القوم من تيم -ويعني بني ذبيان- لأحاربهم ومن خلفي جنودٌ الواحد منهم مثل الأسد الغضنفر، وَهو ثَابِتُ الجَنَان أي: سليم العقل والفكر والتركيز على قتال الأعداء، وخضت غبار هذه الحرب معهم والخيل تهوي إليها وسيفي والقنا أي: رمحي ونبلي كأنهما فرسا رهان، كلٌ منهما ينافس الآخر أيهم يقتل في القوم أكثر.

وإن طَرِبَ الرِّجالُ بشُرْبِ خَمْرٍ *١٠* وغيبَ رشدهمْ خمرُ الدنــان

فَـرُشْــدي لا يُـغيِّبُــهُ مُــدَامٌ *١١* ولا أُصْغي لِقَهْقَهـةِ القنانــي

وإذا ما كان الرجل من القوم يطرب ويفقد تركيزه ووعيه بسبب شرب الخمر، وقد غاب رشده فلم يعد يفرق بين الصواب والخطأ لكثرة شربه من الخمر المعبأة في الدنان أي: أوعية الخمر، فإن رشد عنترة لا يغيبه شرب الخمر ولا يؤثر عليه ولا يطرب عنترة له، ولا أصغي لقهقهة أي: صوت الضحك المرتفع

الخاص بالقناني أي: النساء العاملات في حانات الشرب والسهر.

وبــدرٌ قــد تركنــاهُ طـريحــاً *١٢* كــأن عليــهِ حلــة أرجــوان

شككــتُ فــؤادهُ لــمــا تــولــى *١٣* بصـدر مثقَّفٍ مـاضي السنان

فخَرَّ على صَعيدِ الأَرْض مُلْقىً *١٤* عفير الخدّ مخضوبَ البنـان

وعُدْنــا والــفَخــارُ لنــا لِبــاسٌ *١٥* نسـودُ بــهِ على أهل الزَّمان

وفي حربنا مع بني ذبيان قاتلناهم وهزمناهم شر هزيمة، أما سيدهم بدر بن عمرو الذبياني قد تركناه من خلفنا طريحاً على الأرض بين القتلى غارقاً في دماءه كأنها حلة أي: رداء لونها أرجواني، وقد قاتلته بنفسي ووَلَّى هارباً فلحِقتُهُ وشككتُ أي: ثقبتُ فؤاده برمحي المُثقَف، الذي هو ماضي السنان أي: يخترق كل ما يعترض طريقه، فلما طعنته بهذا الرمح خرَّ أي: سقط على الأرض فتعفَّرَ خدُّهُ بالتراب وتخضبت بنانه أي: أصابعه بدماءه، ثم عدنا نحن بنو عبسٍ والنصر من نصيبنا والفخر والعِزَّة لباسٌ لنا نسود به على أهل هذا الزمان.

يا أيها الملك

قال عنترة هذه القصيدة يمدح فيها كسرى أنوشروان حينما قدم عليه ضيفاً.

يــا أيهــا الـملكُ الــذي راحاتُــهُ *١* قامَتْ مَقـامَ الغيْـثِ فـي أزمـانِهِ

يا قِبْلَةَ القُصَّــادِ يــا تـاجَ الــعُلا *٢* يا بدْر هذا العصـر فـي كيوانـه

يا مُخجِلاً نـوْءَ السَّمــاء بجُـودهِ *٣* يا مُنْقذَ المحزونِ مـنْ أحزانــه

يا أيها الملك العالي القدر الذي يعظمه أتباعه والذي راحاته أي: كفوفه ممدودةٌ دائماً بالعطاءِ للناس، فقامت مقام الغيث في هذا الزمان أي: المطر الذي يسقي الناس به أنفسهم وزروعهم وأنعامهم، ويا من يأتي إليه الناس قاصدين منه العطاء والمِنَح فكان قِبلَةً لهم، يا من هو يضيئ للناس في هذا الزمان ومن هو مميزٌ فيهم ومُفَضَّلٌ عنهم فكان كالبدر، ويا أيها الملك الذي بجوده وكرمه الغزير الذي هو مثل الغيث قد أخجل نَوءَ أي: غَيثَ السماء، ويا من هو باعثٌ للسرور في نفوس الناس فكان منقذاً للمحزون والمهموم من همومه وأحزانه.

يـا ساكِنيـنَ ديــارَ عبْــسٍ إننـــي *٤* لاَقيْتُ منْ كِسرى ومنْ إحْسانه

ما ليْس يوصَفُ أو يُقَدَّرُ أوْ يَفي *٥* أوْصافَـهُ أحدٌ بوَصْـفِ لسانـــه

فيا أهلي وقومي الذين يسكنون في ديار ومضارب بني عبس، اعلموا أنني عندما قابلت كسرى أنوشروان قد لاقيت منه إحساناً وترحيباً، لا أستطيع أن أصفه الوصف الذي يلائمه ويقدر هذا الإحسان قدره ويوافيه، لأنه لا يستطيع أحدٌ أن يفعل ذلك إذا وصفه بلسانه.

ملكٌ حوى رتـبَ المعالــي كلّهــا *٦* بسمــوِّ مجدٍ حلَّ فــي إيوانـــه

مولى به شرفَ الزَّمـانُ وأهلــهُ *٧* والدَّهْرُ نـالَ الفَخْـرَ مـن تيجانــه

فهذا الملك كسرى الذي حللت عنده قد حوى واشتمل على كل رُتبةٍ عالية الشأن رفيعة المقام، وما ذلك إلا لسمو وارتفاع مجده وعِزِّهِ الذي تراه حَالًّا في إيوانه أي: مقرِّ ملكه وحكمه، وتشعر به فهو مَلِكٌ من مكانته ومقامه كان بمثابة الفخر والشرف الذي يتشرف به الزمان وأهل الزمان، والدهر يفخر به وبتيجانه أي: ملكه وعزه.

وإذا سطا خافَ الأنـامُ جميعهــم *٨* منْ بأْسـهِ واللّيثُ عنْـد عِيانِـــه

المظهـرُ الإنصــاف فــي أيَّامــهِ *٩* بخصالــهِ والــعدلَ فــي بلدانــهِ

وإذا ما غضب هذا الملك فقام بالسطو أي: القهر والغلبة يخاف من قهره وبطشه الأنام جميعهم، لأنه سطوته شديدة وبأسه شديد لدرجة أن الليث أي: الأسد يتملكه الخوف عندما يعاين هذا الملك أثناء سطوته فيؤثر السلامة، وبالرغم من شدة سطوة هذا الملك فهو دائماً ما يُظهرُ الإنصاف في أيام حكمه ودولته، وذلك تراه عن طريق خصاله الكريمة وعدله في البلدان التي هي تحت حكمه.

أمسيتُ فـي ربـعٍ خصيـبٍ عنـدهُ *١٠* متنَزِّهـاً فيــه وفــي بسْتانــهِ

ونظَرْتُ برْكَتـه تَفيـضُ وماؤهـا *١١* يَحْكي مواهِبَــه وجـودَ بنانــه

في مَربَـعٍ جمَـعَ الـرَّبيـعَ بربْعـهِ *١٢* من كـلِّ فـنٍّ لاحَ فــي أفنانــه

وطُيــورُهُ مـنْ كـلِّ نـوْعٍ أَنْشَـدَتْ *١٣* جهراً بانَّ الدَّهرَ طوعُ عنانــه

عندما أمسيت عند هذا الملك وقضيت ليلي في رحابه قضيته في رَبعٍ أي: مكانٍ خصيبٍ طَيِّبٍ يملكه كسرى، وقضيت ليلي أتنزه بين طَيَّاتِ هذا الربع والبساتين التي تملؤه، وألقيت ناظِرِيَّ في هذا الربع فإذا به يقع على بِركةٍ تفيض بالماء الغزير، وهذا

الماء كأنه راوي أو حاكي يحكي لمن يراه جود كسرى وما تمتد به بنانه أي: يداه من عطاءٍ ومِنَح، ونحن في وسط بقعةٍ خصيبةٍ جمعت كل صفات الربيع من بهجةٍ وخضرةٍ وزهورٍ ورياحين، والربيع نفسه قد بعث إلى هذه البقعة كل فَنٍّ أي: جَمَالٍ من جمالاته المتعددة، وترى بعينِكَ في هذه الأرض الخصيبة الطيور بمختلف أشكالها وألوانها فتبهجك وتسر ناظريك، وتسمعها بأذنيك تغرد وتزقزق وتنشد لكل من يأتي عند كسرى، بأن الدهر له مثل الفرس يمسك بعنانه ويتحكم فيه ويقوده إلى حيث شاء.

ملكٌ إذا مـا جالَ فـي يـوم اللّقـا *١٤* وَقَفَ العدُّو مُحيَّراً فـي شانـــه

والنَّصْرُ من جُلَسائِهِ دونَ الورى *١٥* والسَّعد والإقبالُ من أعوَانـــه

فلأشكـرنَّ صنيعــه بيــنَ الـمـــلا *١٦* وأُطاعِنُ الفُرْسانَ في مَيْدانِــهِ

وهذا الملك إذا ما خرج للحرب والقتال وجال فيها بفرسه وسيفه وصال، تجد العدو يقف أمامه ذاهلاً مُتَحيِّراً لا يعلم ماذا يفعل وكيف يتصرف من هيبة الملك، وهذا الملك ليس النصر حليفاً له ومن نصيبه فقط بل هو من جلسائه دوناً عن جميع الورى فلا يفارقه، وكذلك السعد والأقبال أي: المستقبل المشرق من جلسائه وأعوانه، فوجب عَلَيَّ بعد كل ما رأيت بين يدي الملك

وحظيت من نواله وعطائه، أن أشكر صنيعه معي بين كل الملأ من الناس وأن أكون وسيفي وفرسي تحت أمره وبكلمته، وأن أقاتل الفرسان وأطاعنهم في ميدان الحرب تحت لوائه وجيشه.

كل يوم مع زماني

قال عنترة هذه القصيدة في يوم كان بين بني عبس وبني ذبيان يسمى يوم جَبَلَة.

أَرى لـي كُلَّ يَـومٍ مَـع زَمانـي *١* عِتاباً فـي البِعـادِ وَفـي التَداني

يُريـدُ مَذَلَّتـي وَيَـدورُ حولـي *٢* بِجَيـشِ النـائِبـاتِ إِذا رَآنـي

إن الزمان مُتَقَلِّبٌ وله أحوالٌ وأيامٌ ودائماً يفاجئ المرء بما لا يتصوَّر وهذا هو حالي معه، فأنا أرى لنفسي كل يومٍ مع الزمان أحوالاً مختلفة ولي كل يومٍ عليه عتاباً سواءاً في لحظات التداني أي: قربي مما أريد وأبتغي أو البعاد، وهذا الزمن رأيته دوماً معادياً لي فهو دوماً يريد لي المذلةً والهوان والإنكسار ويسعى إلى ذلك، ويدور حولي بجيش النائبات أي: المصائب والمصاعب إذا ما رآني ليحقق هذه الرغبة التي يتمناها.

كَأَنّي قَد كَبِرتُ وَشابَ رَأسي *٣* وَقَلَّ تَجَلُّدي وَوَهى جَناني

أَلا يا دَهرُ يَومي مِثلُ أَمسي *٤* وَأَعظَمُ هَيبَةً لِمَنِ اِلتَقاني

وقد أثقلت الأحزان والهموم كاهلي وأرهقت روحي فكأني قد كبر سني وشاب شعر رأسي ووهن عظمي، وقل تجلدي أي: صبري على الاهوال ووهى أي: ضعف جناني أي: عقلي وفكري، لذا فاعلم أيها الدهر أن يومي الذي أعيشه لا يختلف عن أمسي الذي مضى وفات، إلا أنني أزداد كل يوم هيبةً وعظمةً عن اليوم الذي يمضي، ويعلم ذلك جيداً كل من التقاني ويشعر به.

وَمَكروبٍ كَشَفتُ الكَربَ عَنهُ *٥* بِضَربَةِ فَيصَلٍ لَمّا دَعاني

دَعاني دَعوَةً وَالخَيلُ تَردي *٦* فَما أَدري أَبِاسمي أَم كَناني

فَلَم أُمسِك بِسَمعي إِذ دَعاني *٧* وَلَكِن قَد أَبانَ لَهُ لِساني

فَفَرَّقتُ المَواكِبَ عَنهُ قَهراً *٨* بِطَعنٍ يَسبُقُ البَرقَ اليَماني

وفي إحدى أيام الحرب وأنا منشغلٌ في القتال والضرب والطعن والكرّ والفرّ، وإذ بي أسمع دعوة امرئٍ في كربٍ يدعوني لأكشفه عنه فلبيته وكشفت عنه كربه، وفرقت الذين أرادوا هلاكه من حوله بضربي لزعيمهم ضربة قاتلةً ففرقتهم من حوله وقد هربوا خوفاً، وعندما دعاني هذا المكروب دعاني في ساعةٍ كانت الخيل فيها تردى أي: تجري بسرعةٍ وقوَّةٍ فلم أكن

واعياً هل ناداني باسمي أم كنَّاني بكنية، وعلى كلٍّ فلم أمسك سمعي عنه وأتجاهل نداءه واستغاثته فليس ذلك من أخلاق الفرسان وليس من المروءة في شئ، بل لبيته بلساني أولاً وذهبت إليه ثانياً وفرَّقتُ المواكب التي أرادت قتله قهراً أي: بالقوة والغلبة فلم يستطيعوا معي شئ، وكيف ذلك وقد عاجلتهم بطعنٍ من رمحي بلغ من سرعته أنه يسبق البرق اليماني.

وَمـــا لَـبَّـيـتُـــهُ إلّا وَسَـيـفـــي *٩* وَرُمحي في الوَغى فَرَسا رِهـانِ

وَكـــانَ إجـابَتـــي إيّـــاهُ أَنّـــي *١٠* عَطَفـتُ عَلَيـهِ خَـوّارَ العِنـانِ

بِأَسمَرَ مِـن رِمـاحِ الخَـطِّ لَـدنٍ *١١* وَأَبيَضَ صـارِمٍ ذَكَـرٍ يَمـانِ

وما لبَّيتُ هذا المكروبَ وكشفتُ عنه كربَهُ إلا وأنا في الحرب أقاتل بسيفي ورمحي، وقد صارا من كثرة الضرب الطعن وسرعته كأنهما فرسا رهان، يسابق كل منهما الآخر أيهم يضرب أكثر، وكانت إجابتي للمكروب أنني لبيته فوراً وعطفت إليه بفرسي الذي هو خَوَّارُ العنانِ أي: طيّعٌ سهل الانقياد لي، فقد عوَّدتُه الكرَّ والفرَّ فلا يعصيني في أمر، وزدت عن المكروب بأسمر أي: رمحٍ من رماح منطقة الخط التي هي معروفة بالرماح الجيدة، وهو رمحٌ لَدِنٌ أي: مَرِنٌ وسريعٌ وكذلك بأبيضٍ

صارمٍ أي: سيفٍ قاطعٍ شديدٌ حديدُهُ ذَكَرٌ من السيوف اليمانية، التي هي جَيَّدةُ الصُّنعُ والسَّبك.

وَقِـرنٍ قَـد تَرَكـتُ لَـدى مَكَـرٍّ *١٢* عَلَيـهِ سَبائِبـا كَـالأُرجُـوانِ

تَرَكـتُ الـطَيـرَ عـاكِفَـةً عَلَيـهِ *١٣* كَما تَردي إِلى العُرسِ البَوانـي

وَتَمنَـعُـهُـنَّ أَن يَـأكُـلـنَ مِنـهُ *١٤* حَيـاةُ يَـدٍ وَرِجـلٍ تَركُضـانِ

وفي الحرب أقاتل الفرسان والأبطال وأصرعهم وقد قاتلت قِرناً أي: فارساً شديداً يكافئني في ساعة الكر أي: الإقدام في الحرب، ولكن قمت بهزيمته وصرعته أرضاً فتركته وعليه سبائباً أي: بقعاً من الدم كأنها أُرجوان، وقد تركته والطير عاكفةً من حوله يريدون أكله، وكانوا في إقبالهم عليه مثل البواني أي: النساء اللاتي يكن مع العروس ويحجلون في مشيتهِنَّ، وما منع هذه الطيور من أكل لحمه إلا بقيَّة روحٍ وفضلٌ من حياة يحرك بهما يده ورجله، فيجعل الطير تركض منه خوفاً ولكن يرقبون موته.

فَما أَوهى مِراسُ الحَربِ رُكني *١٥* وَلَكِـن مـا تَقادَمَ مِـن زَمـانِ

وَما دانَيتُ شَخصَ المَوتِ إِلّا *١٦* كَما يَدنو الشُجاعُ مِنَ الجَبانِ

لذا فليعلم من يظن بي الجبن والخوف أنني لم تضعف قوتي من مراس الحرب والقتال، ولكنه الزمن الذي شَيَّبَ رأسي ولحيتي وأوهى قوتي وجسدي، أفلا يعلم من يظن بي الجبن أني ما دانيت أي: اقتربت من الموت في الحرب الضروس، إلا مقدماً غير آبهٍ ولا مُتَرَدِّدٍ، بل إقدامي على الموت مثل إقدام الشجاع واقترابه من عدوٍّ جبان.

وَقَـد عَلِمَـت بَنـو عَبسٍ بِأَنّــي *١٧* أَهُـشُّ إِذا دُعيـتُ إِلــى الطَعـانِ

وَأَنَّ المَـوتَ طَـوعُ يَـدي إِذا مـا *١٨* وَصَلَـتُ بَنانَهــا بِـالهِندُوانـــي

وقد عَلِمَت بنو عبسٍ وباقي قبائلِ العرب من شجاعتي وإقدامي ما ينزع أَيَّ شبهةٍ في خوفي وجبني من الحرب والقتال، وأني أَهَشُّ أي: أفرح وأسعد إذا ما دُعِيتُ للحرب والطِّعان، وأن الموت طَيِّعٌ في يدي سهلٌ إذا ما اتصلت أصابع هذه اليد بسيفي الهندواني، الذي أهلك به كل من تجرَّأ على قتالي وحربي.

وَنِعمَ فَوارِسُ الهَيجـاءِ قَومــي *١٩* إِذا عَلِقــوا الأَعِنَّــةَ بِـالبَنـانِ

هُـمُ قَتَلـوا لَقيطـاً وَابـنَ حُجـرٍ *٢٠* وَأَردَوا حـاجِبـاً وَابـنــي أَبــانِ

وَنِعمَ فَوارِسُ الحربِ والطِعانُ قومي بنو عبس، في قوتهم وشجاعتهم وإقدامهم الذي تدركه إذا ما رأيتهم يُعَلِّقونَ أَعِنَّةَ الخيل في بنانهم، استعداداً للذهاب إلى الحرب والقتال، ففي حربنا مع تميم هم من قتلوا فرسانهم وساداتهم، لقيطاً وابن حجر وحاجباً وابني أبان، أردَوهُم وأهلكوهُم وتركوا تميماً في حزنٍ أليمٍ وخوفٍ شديد فلله درُّ بني عبس.

قافية الهاء

*صِح إلى بيداها

*كتيبةٌ شهباء

صِح إلى بيداها

قفْ بالدّيار وصحْ إلى بَيْداها *١* فعسى الديار تجيبُ منْ ناداها

دارٌ يفوحُ المِسْك من عَرَصاتِها *٢* والعودُ والندُّ الذكيُّ جناها

دارٌ لعبلةَ شَطَّ عنْكَ مَزارُها *٣* ونأْتْ لعمْري ما أراكَ تراها

ما بالُ عيْنِكَ لا تملُّ من البُكا *٤* رمدٌ بعينكَ أمْ جفاكَ كراها

يُجَرِّدُ عنترة من نفسه شخصاً ويُخاطبه: قف أيها العاشق الذي أحرقه لهيب العشق عند ديار الحبيب، وصح ونادي عليها في البيداء التي تقبع فيها، واسألها عن الحبيب لعلك تسمع الديار وهي تجيبك يا من تناديها وتشفي غليلك، ولله درها من دارٍ يفوح من بين عرصاتها أي: ساحتها ريحُ المسك الذي هو من أطيب العطور التي يحب المرء أن يستنشقها، وليس المسك فقط بل يفوح العود وكذا الندّ الزكي أي: ما نبت من ندى المطر، وهو جنى أي: ما يُجنَى من الزروع فالنّدُّ هو جنى هذه الدار وهذه الدار هي التي تسكن فيها عبلة التي تيمتني بحبها، وقد شطَّ أي: بَعُدَ عنك مكان زيارتها أيها العاشق ونأت أي: ابتعدت،

فلا أظن بعد ذلك أنك تراها في يوم، فما بالك أيها العاشق الحزين وما الذي ألَمَّ بك، فَمَالِ عَينِكَ دائمةُ البكاءِ لاتكلُّ منه ولاتملّ، هل أصابك رمدٌ بعينِكَ فصارت تبكي كل هذا البكاء أم أنه الكرى أي: النوم والثبات، هو الذي جفاك وابتعد عن عينيك.

يـــا صاحبـــي قـــفْ بالمطايـــا ساعةً *٥* فـــي دَار عبْلـــة سائـــلاً مغْناهـــا

أم كيـــفَ تســـأل دمنـــةً عـاديـــةَ *٦* سفت الـجنوبُ دمائهـــا وثراهـــا

فيا صاحبي يا من أذلَّه العِشقُ وأرهقه قف بمطيتك أي: دابتك التي أتيت بها قليلاً من الوقت، لا تتعجل في الذهاب وانتظر في دار عبلة سائلاً مغناها أي: ديارها عنها، ولكن ما الذي أنصحك به؟ كيف تسأل دمنةً أي: بقية آثار الديار عمن كان يسكن فيها، ما هي إلا دمنةٌ عاديةٌ قد أتت عليها رياح الجنوب فسفت أي: محت دِمان أي: آثار هذه الديار، وثراها أي: رمالها.

يـا عبـلَ قـد هـامَ الـفُؤَادُ بذِكْركـــم *٧* وأرى ديونـي مـــا يحـــلُّ قضاهـــا

يـــا عَبـلَ إنْ تبكـــي علـــيَّ بحُرْقَـــةٍ *٨* فلطالمـــا بكـــتِ الرجـــالُ نـساهـــا

اعلمي يا عبلة أن الفؤاد الذي أحمله بين أضلعي قد هام وتاه بحبك وذِكرِكِ ولا يكاد ينفك عن ذلك، فَحَمَّلنِي أثقالاً فوق كاهلي

مثل أثقال الديون التي يحملها الرجل على كاهله ولا يستطيع أن يقضيها، فيا عبلة إنك إن علمتِ بحالي فبكيتي على فراقنا بحرقةٍ وأسى حُزناً وألماً، فاعلمي أنه طالما بكت النساء على أحوال رجالها.

يا عَبْلَ إنـي فـي الكريهـةِ ضَيْغَـمٌ *٩* شَرسٌ إذا مـا الطَّعْنُ شـقَّ جباهـا

وَدَنَـتْ كِبـاشٌ مـن كِبـاشٍ تصْطلـي *١٠* نارَ الكريهةِ أوْ تخُوضُ لَظاهـا

ودنا الشُّجاعُ من الشُّجاع وأُشْرِعَتْ *١١* سمر الرماح على اختلافِ قناها

فهناك أطعنُ فـي الوغـى فرْسانهـا *١٢* طَعْنـاً يَشـقُّ قُلوبَهـا وكُلاهـا

ولكن لا عليكِ يا عبلة واعلمي أني لا أيأس بهذه السهولة، وكيف ذلك؟ وأنا في الكريهة أي: الحرب ضيغمٌ شرسٌ أي: أسدٌ شديدٌ على من يقاتلني، إذا ما الطعن في الحرب شق الجباه من القوم ودنت الكباش –وهي آلات لتدمير الأسوار والجدران وقد تستعمل لضرب الجمع من الناس في الحرب- من بعضها لتصلي أي: لتشعل نار الكريهة والبغضاء بين المتحاربين، أو تخوض هي في لظى أي: لهيب هذه الكراهية، وفي الحرب يدنوا الشجاع من الشجاع ليتقاتلا، وقد أُشرِعَت الرماحُ السوداء من كلا

الطرفين من مختلف الأنواع والأشكال، ففي هذه الأجواء أطعن في الوغى أي: صيحات القتال فرسانَ الحرب من أعدائي طعناً من شدته أنه يشق قلوب الفرسان وكُلاهم.

وسلي الفوارس يـخبروكِ بهمتـي *١٣* ومواقفي في الحربِ حين أطاها

وأزيدهـا مـن نـار حربـي شعلةً *١٤* وأثيرها حتـى تـدورَ رحاهـا

واسألي يا عبلة الفرسان كذلك يخبروكِ أنهم في الحرب قد رأوا من عُلُوِّ همَّتي ما لايوصف، ومن مواقفي وإقدامي في الحرب حين أطأ ميدانها ونارها تشتعل وترتفع، بل أزيدها من نار همتي وشجاعتي شعلةً أخرى، وأثير هذه النار حتى تدور رحا الحرب فتفني الأعداء ولا تبقي منهم أحدا.

وأكرُّ فيهم فـي لهيب شعاعها *١٥* وأكـون أوَّل وافـدٍ يصلاها

وأكـون أول ضـاربٍ بـمهنـدٍ *١٦* يفري الجماجمَ لا يريـدُ سواها

وأكون أولَّ فارسٍ يغشـى الوغـى *١٧* فـأقـود أوَّل فـارسٍ يغْشاها

والخيـلُ تعْلـم والـفوارسُ أننـي *١٨* شيـخ الـحروب وكهلها وفتاها

وفي الحرب الشديدة التي تشتعل فيها نار الكراهية أكُرُّ في لهيب هذه النيران لأحارب وأقاتل، وأكون أول من يقتحمها ويذوق لهيبها وما ذلك إلا لشجاعتي وإقدامي، وأكونُ أول من يضرب في هذه الحرب بسيفٍ مهندٍ من قوته أنه يفري جماجم من أضربهم لا يريد غير ذلك، وأكون أول فارسٍ من قومي يخترق صيحات الحرب ويصول ويجول وأقود كل الفرسان الذين يأتون بأمري ويغشون أي: يخترقون ساحة الحرب، والخيل كذا الفرسان يعلمون علم اليقين أن عنترة شيخُ الحروب في مهارة الكرِّ والفرِّ والضرب والطعن، وكهلها حيث أنه علم خبايا الحروب والمعارك وأسرارها، وفتاها حيث أنه أقوى فارسٍ يضربُ ويصارعُ ويَغلِبُ من يواجهه.

يا عبلَ كم منْ فارس خلَّيْتُهُ *١٩* في وسْطِ رابيةٍ يَعُدُّ حصاها

يا عبلُ كم من حرَّةٍ خلَّيتُها *٢٠* تبكي وتنعي بعلها وأخاها

يا عبلُ كم من مُهرةٍ غادرتُها *٢١* من بعد صاحبها تجرُّ خطاها

يا عبلُ لو أني لقيتُ كتيبةً *٢٢* سبعين ألفاً ما رهبت لقاها

وأنا المنَّية وابن كلِّ منيةٍ *٢٣* وسواد جلدي ثوبها ورداها

ويا عبلة كم من فارسٍ قد لاقاني في ساحة الحرب وأراد قتالي فغلبته وتركته بحسرته في وسط رابيةٍ أي: صحراء، يَعُدُّ الحصى الذي فيها من حزنِه، ويا عبلة كم من امرأة حُرَّةٍ تركتها وهي تبكي حزناً على أخٍ لها أو زوجٍ أو أبٍ أو ولدٍ كان لها في الحرب وقد قمت بقتله، ويا عبلة كم من مُهرةٍ كان يمتلكها أحد الفرسان يمتطيها ويحارب ويصول ويجول بها، قد تركتها تجر خطاها وحيدة بدون صاحبٍ لها، لذا فاعلمي يا عبلة أنني لا آبه بمن أُلاقي وبعدد من أُلاقي، فلو أنني لاقيت في الحرب كتيبةً مكونةً من سبعينَ ألفِ رجل ما رهبت قتالها ومواجهتها، فما أنا إلا المَنِّية أي: الموت وأنا ابن كل مصيبةٍ تؤدي إلى الموت، وما لون جلدي الأسود هذا إلا ثوب الموت ورداءه.

كتيبةٌ شهباء

وَكَتيبَـــةٍ لَبَّستُهـــا بِـكَتيبَـــةٍ *١* شَهبـــاءَ باسِلَـــةٍ يُخـــافُ رَداهـــا

خَرســـاءَ ظـــاهِـــرَةِ الأَداةِ كَـأَنَّهـــا *٢* نـــارٌ يُشَـــبُّ وُقـــودُهـــا بِلَظاهـــا

وفي الحرب ألتقى بكتيبةٍ من جيش الأعداء تتوجه لقتالى فألبسها أي: أقابلها، بكتيبةٍ مِمَّن معي من فرسان عبس شهباء أي: كثيرة السلاح والعتاد الذي يبهرك بريقه ولمعانه، وهم فرسانٌ بواسل أي: شجعان فهي كتيبةٌ يَخافُ مَن يواجهها مِن رَدَاها أي: أذاها وبطشها، وهي كتيبةٌ تُثير الرعب في النفس لقوة جلجلة الأصوات فيها فلا تكاد تميز أي صوت فصارت كأنها خرصاء، وهي ظاهرة الأداة أي: كاملة العتاد والسلاح لا ينقصها إلا قتال الأعادي، وفي صورتها هذه كأنها نارٌ يزيد وقودها أي: ما يشعلها بلظاها أي: رغبة القتل والكراهية في نفوس الفرسان.

فيها الكُماةُ بَنـــو الكُمـــاةِ كَأَنَّهُـــم *٣* وَالخَيـلُ تَعثُرُ فـــي الوَغـــى بِقَناهـــا

شُهُـبٌ بِأَيدي القابِسيـنَ إِذا بَـــدَت *٤* بِـــأَكُفِّهِـــم بَهَـرَ الـظَّـلامَ سَنـاهـــا

وهذه الكتيبة الشديدة ترى فيها الكُماة أي: الفرسان الأشداء المدججين بالسلاح وقد ورثوا شدتهم من آبائهم، وعندما تراهم في ساحة الحرب والخيول تتعثر في القنا أي: السيوف والرماح الملقاة من أيادي أصحابها الذين قتلوا أو ماتوا، فكأنهم شُهُبٌ نارية بأيدي القابسين أي: الحاملين للمشاعل التي إذا بدت ظاهرة في أياديهم، بهر الظلام أي: أزاله سنا ضوء هذه الشهب.

صُبــــرٌ أَعَدّوا كُــلَّ أَجـرَدَ سابِـحٍ *٥* وَنَجيبَـةٍ ذَبَلَـت وَخَــفَّ حَشـاهــا

يَعــدونَ بِالمُستَلئِميــنَ عَوابِســا *٦* قــوداً تَشَكّــى أَينَهــا وَوَجاهــا

يَحمِلــنَ فِتيانــاً مَداعِـسَ بِالقَنــا *٧* وُقُراً إِذا مــا الحَـربُ خَـفَّ لِواهــا

مِـن كُلِّ أَروَعَ مـاجِـدٍ ذي صَولَــةٍ *٨* مَـرِسٍ إِذا لَحِقَـت خُـصــىً بِكُلاهــا

وهؤلاء الفرسان الذين أقودهم في الحرب من صفاتهم أنهم شديدوا الصبر على قسوة القتال، وقد أعدوا للحرب كل أجرد سابح أي: خيلٍ سريع كما أعدوا النجائب أي: الدواب التي يحملون عليها المتاع، ومن صفات الواحدة منهن أنها ذبلت وخفَّ حشاها أي: ليست ثقيلة الخطى بسبب الشحوم والدهون بل متناسقة، أما الفرسان فهم يمتطون المستلئمين العوابس أي:

الخيول التي عَبَّسَت الحُروبُ وجوهها، ويعدون أي: يسرعون بها في ميدان القتال وهي منقادةٌ لهم سريعةٌ الاستجابة، ومن قوتها وصبرها أن الأين أي: الألم والوجى أي: الجرح، قد اشتكوا من أنهم لا يؤثِّرونَ بهذه الخيول العوابس فهي خيولٌ شديدة، وتحمل فوق أظهُرِهَا فِتياناً مَداعِسَ بالقنا أي: متمرِّسينَ بالحرب والقتال، غير أنَّهم وُقرٌ أي: ثابتون إذا ما كانت الغلبَةُ للأعداء غير خائفين ولا مترددين، فهم فتيةٌ قد اجتمعوا من كل أروع ماجدٍ أي: حسن الهيئة كريم النسب، وهو صاحب صولةٍ في الحرب متمرِّسٌ فيها ولا يهرب إذا ما لحقت خُصيٌّ بكُلاها: وهو وصفٌ لشدة الجبن والخوف.

وَصَحابَـةٍ شُـمَّ الأُنـوفِ بَعَثْتُهُـم *٩* لَيلاً وَقَـد مـالَ الكَـرى بِطُلاهـا

وَسَرَيتُ في وَعثِ الـظَلامِ أَقودُهُم *١٠* حَتّى رَأَيتُ الشَمسَ زالَ ضُحاهـا

ولي أصحاب من الفرسان من صفاتهم أنهم شُمُّ الأنوف أي: أصحاب عزّة نفس، قد قمت بقيادتهم للخروج في سرية في جُنح الليل وقد مال الكرى أي: النوم وغلب عليهم، وسرت بهم في وعث أي: صعوبة الطريق في الظلام وأنا أقودهم فلم يضلوا أو

يتيهوا، وإنما تجلدوا معي وساروا إلى أن رأيت الشمس قد زال ضحاها وأنارت الأرجاء، فَصَبَّحنَا الأعادي بسيوفنا ورماحنا.

وَلَقيتُ في قُبُلِ الهَجيرِ كَتيبَةً *١١* فَطَعَنتُ أَوَّلَ فارِسٍ أَولاها

وَضَرَبتُ قَرنَي كَبشِها فَتَجَدَّلوَا *١٢* وحَمَلتُ مُهري وَسطَها فَمَضاها

وفي قِبَلِ وقت الهجير أي: قرب وقت الظهر قد التقينا بكتيبة الأعداء فاشتبكنا معهم، وقمتُ بطعن أول فارس لقيته من هذه الكتيبة وعملت فيهم الضرب والطعن حتى، ضرب قرني كبشها أي: قائدها وكبيرها فتجدَّلوا أي: تخبَّطوا واحتاروا، فمضيت بمُهري فيهم أُعمِلُ فيهم الضرب والتقتيل.

حَتّى رَأَيتُ الخَيلَ بَعدَ سَوادِها *١٣* حُمرَ الجُلودِ خُضِبنَ مِن جَرحاها

يَعثُرنَ في نَقعِ النَجيعِ جَوافِلا *١٤* وَيَطَأنَ مِن حَميِ الوَغى صَرعاها

فَرَجَعتُ مَحموداً بِرَأسِ عَظيمِها *١٥* وَتَرَكتُها جَزَراً لِمَن ناواها

وظللنا على هذه الحال حتى رأيت الخيل التي دخلت للمعركة وهي سوداء اللون، خارجةً وقد تخضَّب جِلدها باللون الأحمر بسبب دماء الجروح والجرحى، ورأيت الخيل وهي تتعثَّرُ في نقع النجيع أي: الدم المنقوع في الأرض، والخيل جوافِلٌ أي:

مسرعاتٌ، ويطأون في سيرهم وهم لا يشعرون صرعى الحرب وكل ذلك بسبب حُمَّي الوغى أي: شدة الحرب وقسوتها، أما أنا فقد رجعت بفرساني منتصراً وقد ظفرت برأس عظيم أي: كبير هذه الكتيبة، ثم تركتها مع بقية القتلى جَزَراً أي: طعاماً لمن ناواها أي: تصارع عليها من السباع والطيور.

ما اِستَمتُ أُنثى نَفسَها في مَوطِنِي *١٦* حَتّى أُوَفّــي مَـهرَهــا مَـولاهــا

وَلَـمــا رَزَأتُ أَخــاً حِـفـاظَ سِلعَـةً *١٧* إلّا لَـــهُ عِنـــدي بِـهــا مِثلاهـا

ومن كان مثلي فارساً شديداً لأُبدَّ له من مكارم الأخلاق، ومن أخلاقي أنني ما استَمتُ أنثى يوماً أي: راودتها عن نفسها وأنا أقدر على ذلك، ولكن أن أردتُ وصالها أُوفي مولاها أي: ولي أمرها مهرها، فآخذها من طريقٍ مشروعٍ وعن طيب خاطر، وما ضاقت بي الأيام واحتجتُ إلى معونةٍ من امرئٍ من صفاته أنه حريصٌ على عرضه وماله، إلا رددت له ما أخذت منه ضِعفَيه كرماً مني ونبلا.

أَغشـى فَتـاةَ الـحَيِّ عِنـدَ حَليلِهــا *١٨* وَإِذا غَزا فــي الجَيشِ لا أَغشاهــا

وَأَغَضُّ طَرفـي ما بَدَت لي جارَتي *١٩* حَتّــى يُـواري جـارَتــي مَـأواهــا

إنّـي اِمـرُؤٌ سَمـحُ الخَليقَـةِ ماجِـدٌ *٢٠* لا أُتبِعُ الـنَفـسَ اللَجـوجَ هَـواهــا

ومن أخلاقي أنني أغشى فتاة الحي أي: أزورها واصلاً للرحم الذي بيني وبينها، وذلك عندما تكون في صحبة حليلها أي: زوجها، أما إن غاب عنها زوجها بسبب غزوٍ في الجيش أو لسببٍ آخر فلا أزورها حفاظاً على عرضي وعرضها، وإذا ما رأيت جارةً لي خارجةً من خِبائها فإنني أَغُضُّ عنها بصري حتى تتوارى في خِبائها مرةً أخرى، وما ذلك إلا لأنني رجل سمح الخليقة ماجدٌ أي: أخلاقي عاليةٌ رفيعة، ذو حِلمٍ وشرف ولا أصغي لما تأمرني به نفسي التي من صفاتها أنها لجوج، تأمر بالسوء والشر فلا أتبعها هواها الذي تطلبه.

وَلَئِن سَأَلـتَ بِـذاكَ عَبلَـةَ خَـبَّرَت *٢١* أَن لا أُريدُ مِـنَ النِسـاءِ سِواهــا

وَأُجيبُهــا إِمّــا دَعَــت لِـعَظيمَــةٍ *٢٢* وَأُغيثُهــا وَأَعِـفُّ عَمّــا ساهــا

وإن لم يكن إخباري إياك عن أخلاقي وأفعالي كافياً فدونَكِ عبلة إن سألتها، أخبرتك أنني لا أريد من النساء امرأةً سواها ولا أبغي غيرها، وإذا ما كانت في كربٍ أو همٍّ عظيمٍ أجيبُ دعوتها وأُلبّيها وأكونُ في عونها حتى يزول عنها ما بها من كربٍ وهم، وأَعِفُّ وأبتعدُ عن كل شئٍ يسيئها ولا ترضاه.

قافية الياء

*الطلول البواليا

*لقينا يوم صهباء

الطلول البواليا

قال عنترة هذه القصيدة عندما كان عائداً مع قومه من معركة مع بني ذبيان، فذهبوا إلى بني سعد فتحالفوا معهم وكان مع بني عبس خيولٌ وأنعامٌ أعجبت بني سعد فأرادوا أن يسلبوها منهم، فلما أحسَّ قيس بن زهير سيد بني عبس بذلك احتال بحيلةٍ وذهب مع قومه بالليل، فلما أدرك بنو سعدٍ ذلك قاموا باللحاق بهم على الخيول فأدركوهم في منطقة تسمى بالفَرُوق، فقاتلهم بنو عبس وهزموهم شر هزيمة.

ألا قاتل الله الطلول البواليا *١* وقاتل ذكراك السنين الخواليا

وقولك للشيء الذي لا تناله *٢* إذا ما هو احلولى ألا ليت ذا ليا

يبدأ عنترة مطلع قصيدته بالدعاء على الأطلال البالية أي: القديمة التي دوما ما تذكره بأحبابه، فيأخذه الشوق والحزن على فراقهم فيدعوا على الطلول ويدعوا كذلك على نفسه عندما يتذكر، فيقول: وقاتل الله يا عنترة مجرد تَذَكُّرِكَ للسنين الخوالي

فتُصابُ بالغمِّ والألم، وقاتل الله يا عنترة مجرد قولك لشئٍ ازداد حلاوةً وجمالاً ولا تستطيع أن تناله ليت ذاك الشئ لي وملكي.

ونحن منعنا بالفروق نساءنا *٣* نطرف عنها مشعلات غواشيا

حلفنا لهم والخيل تردي بنا معا *٤* نزايلكم حتى تهروا العواليا

عوالي زرقا من رماح ردينة *٥* هرير الكلاب يتقين الأفاعيا

ونحن القوم والفرسان من بني عبس قد منعنا نسائنا أي: زُدنَا عنهم كل معتدي، ودافعنا عن أعراضهم فكنا نُطَرِّفُ أي: نُبعدُ عنهن مُشعَلاتٍ غواشياً أي: مهاجمون يأتون إلينا مسرعين، وقد حلفنا أي: أقسمنا لهم ونحن وهم على ظهور الخيول وهي تردى بنا أي: تسرع بنا، أننا نزايلكم أي: نحاوركم ونواجهكم ونقاتلكم حتى تَهِرُّوا أي: تصرخوا خوفاً وكُرهاً من العوالى أي: الرماح العالية، فهي رماحٌ زُرقٌ أي: شديدة السواد وشديدة الجودة، فهي رماحٌ رُدَينِيَّةٌ تجعلكم يا بني سعد تصرخون منها خوفاً مثل صراخ الكلاب، التي تتقى أي: تتفادى خوفاً من الأفاعي السامة.

تفاديتم أستاه نيب تجمعت *٦* على رمة من العظام تفاديا

ألـم تعلمـوا أن الأسنـة أحـرزت *٧* بقيتنـا لـو أن للـدهـر بـاقيـا

أبينـا أبينـا أن تضـب لـثـاتكـم *٨* على مرشقـات كـالـظبـاء عـواطيـا

وها أنتم تحاولون أن تتفادوا رماحنا إلا أن محاولاتكم بدون طائل، فكنت مثل النيب أي: الإبل التي كَبُرَ سنها وهي تجتمع حول العظام البالية فتأكلها، وهذا مما لا يعود عليها بنفع فيبدوا أنكم لم تعلموا أن الأسِنَّةَ أي: الرماح التي نقاتلكم بها، ونقاتل بها غيركم قد أحرزتنا أي: منعتنا ودافعت عنَّا، ولو أن الدهر كان يُبقي أحداً لكُنَّا من الباقين لشدَّة بأسِنا وقوَّةِ رماحنا، وقد أبينا أي: رفضنا بشدةٍ أن يسيل اللعاب من لِثاتِكم أي: أفواهكم وذلك من شدة حرصكم على إبلنا وأنعامنا ونسائنا، اللاتي بلغن من الجَمَالِ أنهم مثل الظِّباءِ رشيقةُ القد والقوام، عواطياً أي: في أعناقهن ظهورٌ وبروزٌ قد زادهن جمالا.

وقلت لمن قد أخطر الموت نفسه *٩* ألا من لأمر حـازم قـد بـدا ليـا

وقلت لهم ردوا المغيرة عن هوى *١٠* سوابغهـا وأقبلـوهـا النـواصيـا

فمـا وجدونـا بـالفروق أشـابـة *١١* ولا كشفـا ولا دعينـا مواليـا

وقد قلت لمن أخطر الموت نَفسَهُ أي: رهن نفسَهُ للموت في سبيل الدفاع عن قومه وعرضه، من ذا يأتي إِلَيَّ ويَلتَفُّ حولي لأمرٍ حازمٍ أي: خطرٍ شديدٍ قد بدا أي: ظهر لي، فنرُدُّهُ معاً وهذا الأمر أن القوم قد أتوا للإغارة علينا وسلبنا ونهبنا، فرُدُّوا معي المُغِيرَةَ أي: الإغارة عن هواهم الذي يريدونه، وقاتِلُوا سوابغها أي: أوائل الخيول التي تأتي إليكم حتى يرتَدَّ معها أواخرُهُا، وأقبلوها أي: أقبلوا أنتم نحوها بنواصي أي: رؤوس خيولكم وهم يَفِرُّون هاربين من أمامكم، أمَّا القوم من بني سعد لمَّا واجهونا فلم يجدونا أُشابةً أي: يختلط بنا غيرنا وذلك أننا من قوتنا لا نحتاج لحليفٍ يحارب معنا، ولم يجدونا كَشفَاً أي: نَفِرُّ عند صدام السيوف ولا ندعوا موالياً أي: حلفاءاً يساندونا.

وإنا نقود الخيل حتى رؤوسها *١٢* رؤوس نساء لا يجدن فواليا

تعالوا إلى ما تعلمون فإنني *١٣* أرى الدهر لا ينجي من الموت ناجيا

وإنا نحن القوم والفرسان من بني عبس نقود خيولنا للحرب فترى رؤوسها شعثاء من كثرة الخروج للحرب، فصارت مثل رؤوس النساء المغتربات اللاتي لايجدن ما يمتشطون به ويُفَلُّونَ به شعر رؤوسهن، لذا فتعالوا إلى ما تعلمون منا من

صعوبة حربنا وشدة قتالنا وقوة بأسنا، واعلموا أننا لا نرهب الموت أو نخافه فهو آتٍ لا محالة، فقد رأيت الدهر لا ينجي أي أحدٍ من الموت إذا ما جاء أجله.

لقينا يوم صهباء

لَقينـا يَـومَ صَهبـاءٍ سَرِيَّـه *١* حَناظِلَةً لَهُـم فـي الحَـربِ نِيَّـه

لَقينـاهُـم بِـأَسيـافٍ حِـدادٍ *٢* وَأُسـدٍ لا تَـفِـرُّ مِـنَ الـمَـنِيَّـه

لقينا نحن فرسان بني عبسٍ في يوم الحرب التي كانت بمنطقة صهباء سريَّةً من القوم الذين يحاربوننا، وكان هؤلاء القوم حناظِلَةً أي: أشِدَّاءَ لهم في الحرب مراسٌ وخبرة، وتبدوا نية الإقدام وعدم الرجوع باديةً عليهم، لذا لقيناهم بأسيافٍ حادةٍ شديدة القطع ولا يحمل هذه السيوف إلا رجالٌ أشداء كالأسود، لا يفِرُّونَ ولا يهربونَ من المنِيَّة.

وَكـانَ زَعيمُهُـم إِذ ذاكَ لَيـثـاً *٣* هِـزَبـراً لا يُـبـالـي بِـالـرَزِيَّـه

فَخَلَّفناهُ وَسطَ القـاعِ مُلقـىً *٤* وَهـا أَنـا طـالِـبٌ قَـتـلَ البَقِيَّـه

وَرُحنا بِالسُيوفِ نَسوقُ فيهِم *٥* إِلـى رَبَـواتِ مُعضِلَـةٍ خَفِيَّـه

وَكَم مِن فـارِسٍ مِنهُـم تَرَكنـا *٦* عَلَيـهِ مِـن صَوارِمِنـا قَضِيَّـه

وكان زعيم هذه السرية من القوم الذين نحاربهم قوياً شجاعاً فكان مثل الليث الهزبر أي: الأسد الشديد البأس، لا يبالي بالرزية أي: ما يجلب الهم والحزن والندم وذلك أدعى لشجاعته وقوته، وبالرغم من ذلك قد خلَّفناهُ أي: تركناه في منتصف القاع أي: ساحة الحرب مُلقىً صريعاً، وها أنا ذا أطلب قتال البقية منهم وهزيمتهم وقد غلبنا هؤلاء القوم، فكنا ندفعهم بسيوفنا دفعاً إلى ربوات أي: ساحات الهم والكرب مما يلاقوه منا، فكنا معهم مثل الرعاة الذين يسوقون الأنعام بالعِصِيّ، وكم من فارسٍ من هؤلاءِ القوم قد قاتلناه وتركناه وقد قضت عليه صوارمنا أي: سيوفنا وأردته قتيلا.

فَوارِسُنا بَنو عَبسٍ وَإِنّا *٧* لُيوثُ الحَربِ ما بَينَ البَرِيَّه

نُجيدُ الطَعنَ بِالسُمرِ العَوالي *٨* وَنَضرِبُ بِالسُيوفِ المَشرَفِيَّه

وَنُنعِلُ خَيلَنا في كُلِّ حَربٍ *٩* مِنَ السادات أَقحافاً دَمِيَّه

فوارسنا هم الأبطال والشجعان من بني عبس وهم فرسانٌ أقوياء أشداء ذوي جرأة وإقدام، فهم ليوثٌ أي: أسودُ الحروب من بين الفوارس، فنحن فرسان بني عبس نجيد الطعن بالرماح العالية الشديدة ونضرب أعدائنا بالسيوف المشرفية التي هي

من أجود أنواع السيوف، وإنا لا نُنعِلُ أي: نُلبِسُ أرجُل خيولنا في الحروب إلا أقحاف أي: القطع المتكسرة، من جماجم أعدائنا الذين كانوا أسياداً في أقومهم.

وَيَومَ البَذلِ نُعطي ما مَلَكنا *١٠* مِنَ الأَموالِ وَالنِعَمِ البَهِيَّه

وَنَحنُ العادِلونَ إِذا حَكَمنا *١١* وَنَحنُ المُشفِقونَ عَلى الرَعِيَّه

وَنَحنُ المُنصِفونَ إِذا دُعينا *١٢* إِلى طَعنِ الرِماحِ السَمهَرِيَّه

وعندما نعود ظافرين منتصرين من الحرب مُحمَّلينَ بالغنائم والأسلاب والنِّعم، يأتي يوم توزيع هذه النعم فنعطي القاصي والداني كما أننا نعطي من أملاكنا الأموال والنعم البهية، ونحن القوم الذين يعدلون إذا ما حكموا ويشفقون على الرعية فلا يظلموهم أو يهضموا حقوقهم، ونحن القوم الذين إذا ما دُعوا إلى حربٍ وقتالٍ بالرماح السمهرية كانوا أشدَّاء شجعان، ولكن يُنصِفُون مَن عاداهم ولا يَجورونَ ويبغون.

وَنَحنُ الغالِبونَ إِذا حَمَلنا *١٣* عَلى الخَيلِ الجِيادِ الأَعوَجِيَّه

وَنَحنُ الموقِدونَ لِكُلِّ حَربٍ *١٤* وَنَصلاها بِأَفئِدَةٍ جَرِيَّه

مَلَأنا الأَرضَ خَوفاً مِن سَطانا *١٥* وَهابَتنا المُلوكُ الكِسرَوِيَّه

سَلوا عَنّـا دِيــارَ الشــامِ طُـرّا *١٦* وَفُرسـانَ المُلـوكِ القَيصَرِيَّــه

ونحن القوم الذين إن أرادوا الحرب حملنا أنفسنا وأسلحتنا على الجياد أي: الخيول الأعوجية -وهو وصف للكرام من الخيل- وتكون الغلبة لنا لا محالة فنحن الذين نوقد النيران لكل حربٍ شديدةٍ ضارية، ونَصلى أي: نَقتحِمُ هذه النيران بأنفسنا فقلوبنا قوية وجريئة، لذا فقد ملأنا الأرض خوفاً من فرسان بني عبس ومن سطوتهم أي: قوتهم وغلبتهم فصار أهل الأرض يهابوننا، حتى الملوك الكسروية الذين هم قوةٌ عظمى في الأرض، وإن لم تعلموا ذلك فاسألوا عن فرسان بني عبس ديارَ الشام ومن فيها، ينبيكُم عن أخبارنا فرسان الملوك القيصرية الذين هم أحدى القوى العظمى في الأرض أيضا.

أَنا العَبدُ الَّــذي بِدِيــارِ عَبــسٍ *١٧* رَبيتُ بِعِــزَّةِ الـنَفــسِ الأَبِيَّــه

سَلوا النُعمانَ عَنّي يَومَ جاءَت *١٨* فَوارِسُ عُصبَةِ النـــارِ الحَمِيَّـه

أَقَمتُ بِصارِمي سـوقَ المَنايــا *١٩* وَنِلتُ بِذابِلــي الرُتَبَ الــعَلِيَّــه

واعلموا أنني انا الذي تنادونه بالعبد في ديارِ عبس، قد ربِيتُ وكَبِرتُ ونشأتُ على عزّة النفس والكرامة التي تأبى كُلَّ ذُلٍّ

وظُلمٍ وإهانة، وإن لم تعلموا ذلك فلكم أن تسألوا عني الملك النعمان الذي قاتلت في جيشه، كيف كان بلائي يوم جائت الفرسان الذين كانوا مثل عُصبَةٍ أي: مجموعَةٍ من النيران الحامية الملتهبة وكيف واجهتهم، فأنا الفارس عنترة أقمت أي: نصبت ووضعت بصارمي أي: سيفي سوق المنايا أي: المهالك التي تؤدي إلى الموت فمن شاء ابتاع من عندي، وقد نلت بذابلي أي: رمحي رتب المعالي والشرف بين العرب والعجم.

خاتمة

استمتعنا بمراحل وأيام ومغامرات عنترة وأفدنا من عبقريته اللغوية وبلاغته وها قد انتهت هذه الرحلة الطيبة مع عنترة وأيامه التي أمتعتنا وملأتنا بالحماس والإثارة ولا يملك من يقرأ لعنترة إلا أن يعجب به وبفروسيته وحسبنا فيه ما قد روي عن سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: "ماوُصِفَ لي أحدٌ من الأعراب قط وأحببت أن ألقاه إلا عنترة".

تم بحمد الله

الخميس

الموافق ٣/ربيع الأول/١٤٤١هـ

والموافق ٢٠١٩/١٠/٣١مـ

المصادر والمراجع

- شرح ديوان عنترة للخطيب التبريزي طبعة دار الكتاب العربي
- شرح مكتبة القاهرة التجارية الكبرى على ديوان عنترة
- المعجم الوسيط
- معجم المعاني الجامع
- معجم لسان العرب
- ترجمة عنترة بن شداد من كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني

قم بتنزيل برنامج QR CODE Scanner من Play Store

ضيف هاتف الدار على موبايلك مباشرة

لزيارة موقع الدار

لزيارة صفحة الدار

للتواصل مع الدار واتس آب

مجلة الدار لإصداراتها الورقية

كان الناس حتى عهد قريب، يعنون بالأدب عناية شديدة، كانت متمثلة في نظم الأشعار، وكتابة المسرحيات والقصص القصيرة والروايات، وإقامة الصالونات الثقافية التي كان يحضرها كبار الكتاب والشعراء والمثقفين، لإبراز مواهبهم وما تجود به قرائحهم، وللنقض والمناقشة لمختلف الأعمال الأدبية .

المؤلف